نور الحياة

سلسلة دراسات فى كلمة الله

الكتاب العاشر

قضايا إيمانية (٣)

الخطية التى لا تغفر

... وقضايا أخرى

دكتور جميل نجيب سليمان

الكتاب العاشر

قضايا إيمانية (٣)
الخطية التي لا تُغفر
٠٠ وقضايا أخرى

دكتور جميل نجيب سليمان

اســـم السلسلـــــــة : نور الحياة

الكتـــاب العاشر : قضايا إيمانية (٣)

الخطية التي لا تُغفر .. وقضايا أخرى

المـــــــــــــؤلف : دكتور جميل نجيب سليمان

www.gamilsoliman.org
gamilnsoliman@yahoo.com

الطبعـــــــــــــة : الأولي ٢٠١٣

الناشـــــــــــــر : بيت مدارس الأحد القبطي (ت : ٢٢٠٢٩٧٤٤)

٧٠ ش روض الفرج – القاهرة

رقـــم الإيـــــداع : ٢٠١٣/١٣٠٨٠

الترقيـــــم الدولـــــي : 978-977-6439-12-2

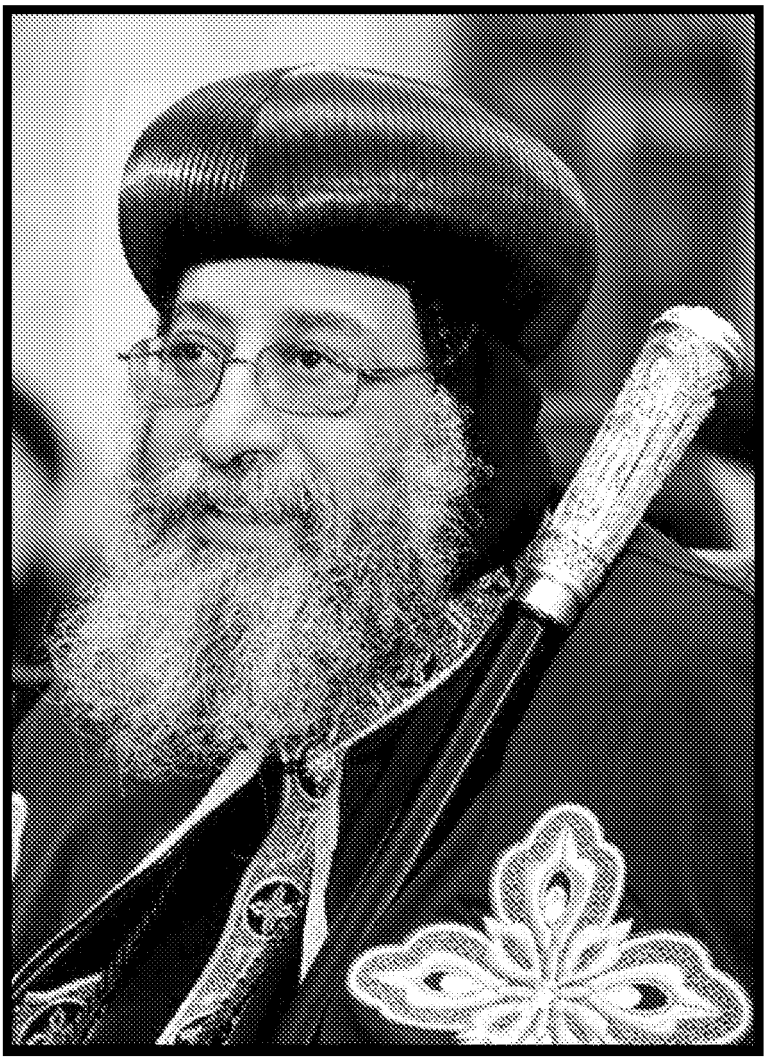

صاحب القداسة والغبطة

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ (١١٨)

المحتويـــات

كلمة إلى القاريء ٧

١ – قضية الثالوث ٩

+ مفاهيم لاهوتية ١٠

+ عن الثالوث الأقدس في العهد القديم ٢٠

+ عن الآب والابن ٢٥

٢ – قضية التجسد والخلاص ٤١

+ معجزة التجسد ٤٢

+ شهادة العهد القديم ٥٣

+ شهادة العهد الجديد ٥٧

+ شهادة المجامع والطقوس والآباء ٦١

+ الآراء المضادة ٦٤

٣ – قضية تحريف الكتاب وإنكار المسيح ٦٧

+ عن تحريف العهد القديم ٦٨

+ ضد المسيح ٧١

+ الذين ينكرون الإيمان ٧٩

٤ – قضية اليهود والمسيح ٨٧

+ المسيح يفسر العهد القديم ٨٨

+ اليهود والمسيح، بحسب القديس بولس ٩٣

+ بين إسرائيل الكتاب وإسرائيل الدولة ١٠٧

٥ – قضية التجديف على الروح القدس ١١٧

+ الخطية التي لا تُغفر ١١٨

٦ – قضية الدين والقانون والدولة ١٣٥

+ الدين والشريعة والقانون ١٣٦

+ الدين والدولة من منظور كتابي ١٤٤

+ الفصل بين السياسة والدين ١٥٥

٧ – قضية العَلمانية ١٦١

+ عن المفهوم السياسي للعَلمانية ١٦٢

+ عن المفهوم الكنسي للعَلمانية ١٧٩

كلمة إلى القارئ

كما يعلم القاريء، فهذه السلسلة من **"نور الحياة"** تقدم دراسات في **كلمة الله** من أكثر من زاوية، سواء ما يتعلق **بسلوكنا المسيحي** الذي يلزم أن يطابق التوجيه الإلهي كما يعرضه الكتاب، أو ما يلقي الضوء على **عمل المسيح** من أجل خلاص الإنسان وحياته الجديدة، أو ما تقوم به **الكنيسة "مملكة المسيح"** من كرازة وممارسات وإذاعة للأخبار السارة من خلال التعليم والصلوات والألحان وتقديم المسيح للعالم، أو ما جاهد فيه **رسل المسيح** من أجل البشارة بكلمة الإنجيل منذ العنصرة، أو بالتصدي **للقضايا الإيمانية** وإزالة الغموض من حولها وإيضاح الحق الذي فيها، وتأكيد صدق إيماننا بشهادة كلمة الله، وأيضاً الرد على المغرضين والمناوئين ومن يسعون لتشويه الإيمان المسيحي زيفاً وإدعاءً وكراهية.

ويضم هذا **الكتاب العاشر** من **"نور الحياة"** جزءاً ثالثاً من **"قضايا إيمانية"** لخدمة القارئ الذي يسعى لمعرفة الحق، وضمنها قضايا **"الثالوث الأقدس"**، **"التجسد والخلاص"**، **"تحريف الكتاب"** و **"إنكار المسيح"**، **"اليهود والمسيح"**، **"إسرائيل الكتاب وإسرائيل الدولة"**، **"الخطية التي لا تُغفر"**، وعدد من القضايا الأخرى التي أثيرت مؤخراً بعد قيام الثورة في بلادنا، مثل **"الدين والقانون والدولة"**. كما نتطرق إلى **"قضية العَلمانية"** في بعديها السياسي والكنسي، وهي القضية التي تعرضت لسوء الفهم والتشويه إنعكاساً لما يسود قطاعات كبيرة من المواطنين من نظرة أحادية وغياب للثقافة العامة وغلبة التعصب الفكري.

ولأن المسيحي المعاصر يعيش في عالم يسوده العداء، وتجـــريح عقيدتـــه والطعن في المسيح هو من الأمور المعتادة في حياتنا اليومية، من هنا فإنه يتحتم إعداد المؤمن للرد على هذا الهجوم الذي لا يهدأ، والدفاع عن سلامة إيمانـــه وصدق كتابه، وفهم جوانب الخلاص. والوحي الإلهي من ناحيته يخاطبنـــا أن كونوا "**مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف**" (١بط ٣:١٥).

وقضايا الإيمان لن تنتهي، فهناك غير ما سبق، وأيضاً ما يستجد في عالم سريع التغير، مما يحتاج للإيضاح وتقديم السند الكتابي، ودحض الآراء المضادة لحماية الإيمان. كما أن أجيالاً جديدة من الشباب تدخل في عضوية الكنيـــسة وهذه تحتاج إلى دعم إيمانها الناشئ بتناول قضايا الإيمان التقليديـــة والطارئـــة لإتاحة فهمها واستيعابها والتعرف على الأدلة المساندة من الكتـــاب والتـــاريخ الكنسي.

❊ ❊ ❊

وأني أقدم هذا الجهد المتواضع سائلاً إلهي المحب أن يستخدمه لمجد اسمه، وأن يحقق هدفه في جذب القلوب والأذهان لمحبة كلمة الله وتفتيش الكتب لأن لنا فيها حياة أبدية، بصلوات **أبينا صاحب القداسة البابا تواضروس الثـــاني**، وصلوات كل القديسين في السماء وعلى الأرض.

مايو ٢٠١٣

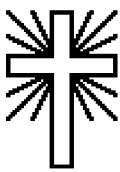

قضية الثالوث

+ مفاهيم لاهوتية
+ الإشارات عن الثالوث الأقدس في العهد القديم
+ عن الآب والابن

مفاهيم لاهوتية

قبل أن نستطرد في محاولة الاقتراب من أسرار طبيعة الله، التي لا يمكن أن نسبر أغوارها إلا بما تكشفه لنا نعمة الله، نورد بعض **المفاهيم والتعاريف اللاهوتية** الأساسية التي تيسر فهم ما نعرض له في الأجزاء التالية عن **أقانيم الثالوث الأقدس "الآب والابن والروح القدس"**، وبعض الآيات ذات العلاقة.

عن الثالوث :

+ **الآب** : كلمة سريانية تعني الأصل أو المصدر. فهو المعبّر عن "**الذات الإلهية الكلية**" أو هو "**نبع الجوهر الإلهي**"[1] الذي منه يولد "**الابن**" وينبثق "**الروح القدس**". والولادة والانبثاق دائمان من الأزل وإلى الأبد. وعندما يذكر اسم "**الله**" في الكتاب، بغير تحديد، أنه قال أو عمل، يكون المقصود هو "**الآب**"، ولكن كلاً من "**الابن**" و"**الروح القدس**" هما "**الله**" أيضاً.

---

(١) "**معجم اللاهوت الأرثوذكسي**" للأب بوريس بوبرينسكوى عميد معهد القديس سرجيوس بباريس (في الستينيات من القرن الماضي) تعريب الأب إبراهيم سروج (١٩٩٩).

+ **الأقنـــوم** : كلمـــة ســـريانية ويقابلـــها باليونانيـــة Hypostasis أو Hypokiemenon، وباللاتينية Prosopon، بمعنى قاعدة الوجود أو الـــشخص الحقيقي Person، ولكنها لا تفيد الاستقلال. ولكل من الأقانيم الثلاثـــة ذات الجوهر كاملاً. وبسبب وحدة الجوهر غير المنقـــسم فالأقـــانيم الثلاثـــة هـــم واحد[٢]. هم يتميزون ولكنهم متحدون وغير منفصلين، فلهم طبيعة واحـــدة وإرادة واحدة وقوة واحدة:

"دُفع إليّ **كل سلطان في السماء وعلى الأرض** فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم **وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس**" (مت ٢٨:١٨، ١٩)؛

"فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : **الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد**" (١يو ٥:٧)؛

"**الرب إلهنا رب واحد**" (تث ٦:٤، مر ١٢:٢٩، ٣٢)؛

"**إلا واحدٌ وهو الله**" (مت١٩:١٧، مر١٠:١٨، لو ١٨:١٩)؛

"**ليس إلهٌ آخر إلا واحداً**" (١كو ٨:٤)؛

"**لأن (ولكن) الله واحد**" (رو ٣:٣٠، غل ٣:٢٠، يع ٢:١٩)؛

"**ربٌ واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة. إلهٌ وآبٌ واحـــد للكـــل**" (أف٤:٥، ٦)

"**بالحقيقة تؤمن بإله واحد الله الآب ضـــابط الكـــل خـــالق الـــسماء والأرض..**" (من قانون الإيمان)؛

"**ولكن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له. ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به**" (١كو ٨:٦)؛

"**محبة الله الآب ونعمة الابن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المـــسيح**

---

(٢) في قانون الإيمان الذي أقرّه مجمع نيقية (٣٢٥م) عن الابن يسوع المسيح أنه "**مساو لـــلآب في الجوهر** Homo-ousios، أو " Consubstantial" **أي** (الطبيعة essence) of the same substance.

وشركة وموهبة الروح القدس تكون مع جميعكم" (من القداس الغريغوري للابن) [٣]

+ الآب هو في الابن (والروح القدس)، والابن (والروح القدس) هما في الآب، بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، وإنما في حركة أزلية أبدية وفي شركة محبة دائمة :

"الآب فيّ وأنا فيه" (يو ١٠:٣٨)؛ **"إني أنا في الآب والآب فيّ"** (يو ١٤:١٠، ١١)[٤]؛

"الآب يحب الابن" (يو ٥:٢٠)؛ **"إني أحب الآب"** (يو١٤:٣١) [٥]؛

+ كل ما هو للآب من أعمال هو للابن والروح القدس **"كل ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي"** (يو ١٧:١٠)، ولكن هناك أعمال بعينها تنسب لأقنوم بعينه، وإن كان الأقنومان الآخران مشاركين نظراً لوحدة الجوهر.

عن أقنوم الآب :

الله الآب هو **الذات الإلهية** ومصدر الوجود، وهو لا يُرى، وله الأبوة وتدبير الخلاص والاختيار والتبني والدعوة:

"وملك الدهور الذي لا يفنى، ولا يُرى، الإله الحكيم وحده، له الكرامة

---

(٣) قداسات الكنيسة توجَّه إلى **الآب** مثل القداسين الباسيلي والكيرلسي، أو إلى **الابن** مثل القداس الغريغوري.

(٤) أن **"الله روح"** (يو٤:٢٤) ييسر لنا أن نستوعب أن الابن هو في الآب والآب هو في الابن، كما أن الروح القدس هو في الآب وفي الابن، وإنما بغير امتزاج أو اختلاط فالأقانيم تظل متميزة، وما يوحدهم هو الجوهر الواحد والمشيئة الواحدة.

(٥) الإنسان خُلق على صورة الله، ومن هنا فهو يجد ملئه في المحبة والشركة مع الله من ناحية، ومع الآخرين إخوته من ناحية أخرى **"كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا.. هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم"** (يو١٥:٩، ١٢). وكأبناء الله نحب أبانا وجميع أبنائه الذين هم إخوتنا **"كل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً"** (١يو٥:١) فمن يحب الآب يحب الابن وكل أبناء الله بالروح.

والمجد إلى دهر الدهور... الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية. آمين" (١تي١:١٧، ٦:١٦).؛

"هكذا أحب الله العالم حتى **بذل ابنه الوحيد...** " (يو٣:١٦)؛

"إذ **أرسل ابنه** في شبه جسد الخطية دان الخطية في الجسد" (رو ٨:٣)؛

"أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس **لننال التبني"** (غل٤:٤، ٥)؛

"اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين... إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه" (أف ١:٤، ٥)؛

"الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق الأمر الذي **دعاكم إليه بإنجيلنا لاقتناء مجد ربنا يسوع المسيح"** (٢تس ٢:١٣، ١٤).

"المختارين بمقتضى علم الله السابق في تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح" (١بط١:١، ٢).

عن أقنوم الابن :

والله الابن هو **العقل الإلهي**، وله البنوة والتجسد والفداء والتبرير والشفاعة والدينونة :

"الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين" (رو ٩:٥)؛

"يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (في ٢:١١)؛

"ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. **هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية"** (١يو ٥:٢٠)؛

"فإن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كو ٢:٩)؛

"**نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور. نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للآب في الجوهر..**" (من قانون الإيمان)؛

"**والكلمة صار جسداً وحل بيننا..**" (يو ١:١٤)؛

"عظيم هو سر التقوى **الله ظهر في الجسد**" (١تي ٣:١٦)؛

"لترعوا كنيسة **الله التي اقتناها بدمه**" (أع ٢٠:٢٨)؛

"**متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه**" (رو ٣:٢٤)؛

"**الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير**" (غل ١:٤)؛

"**المسيح افتدانا من لعنة الناموس** إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عُلّق على خشبة" (غل ٣:١٣)؛

"**الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا**" (أف ١:٧، كو ١: ١٤)؛

"**الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع**" (١تي ٢:٦)؛

"لا بأعمال في بر عملناها نحن بل **بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس... حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية**" (تي٣:٥، ٧)؛

"عالمين أنكم **افتديتم** لا بأشياء تفنى... بل **بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح**" (١بط ١:١٨، ١٩)؛

"له يشهد جميع الأنبياء أن **كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا**" (أع١٠:٤٣)؛

"**لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله (الآب) والناس الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع**" (١تي ٢:٥، ٦ ، ١بط ١:٢)؛

"منتظرين الرجاء المبارك **وظهور مجد الله (إلهنا) العظيم (والظهور المجيد لإلهنا العظيم** Glorious appearing of Our Great God) **ومخلصنا يسوع المسيح**" (تي ٢:١٣)؛

"**وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً**" (١يو٢:١، ٢)؛

"فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته **وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله**" (مت ١٦:٢٧)؛

"لأن الآب لا يدين أحداً بل قد **أعطى كل الدينونة للابن.. كما أسمع أدين ودينونتي عادلة**" (يو ٥:٢٢، ٣٠)؛

"**إن كنت أنا أدين فدينونتي حق**" (يو ٨:١٦).

عن أقنوم الروح القدس :

والله الروح القدس هو **الإرادة الإلهية**، وله الانبثاق والتقديس والحلول في الأسرار وعلى المؤمنين، والقيادة، والوحي بكلمة الله والإعلان والنبوة، والشهادة للحق وللآب والابن، وتعيين الخدام وإرسالهم والتكلم فيهم، والسماح بالخدمة أو المنع عنها، والإنعام بالحياة والمواهب والفضائل، والشفاعة والمعونة والتعزية والتبكيت والحث على التوبة:

"**ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي**" (يو١٥:٢٦)؛

"**نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب. نسجد له ونمجده مع الآب والابن. الناطق في الأنبياء...**" (من قانون الإيمان)؛

"وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان **روح الله** ساكناً فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له **روح المسيح** فذلك (المسيح) ليس له" (الروح

القدس هو روح الآب والابن – رو٨:٩)؛

"لأن لستم أنتم المتكلمين بل **روح أبيكم الذي يتكلم فيكم**" (مت ١٠:٢٠)؛

"**الله روح**" (يو٤:٢٤)؛

"**الروح هو الذي يحيي**" (يو ٦:٦٣)؛

"**روح الحق .. المعزي الروح القدس** الذي سيرسله الآب باسمي فهو **يعلمكم كل شيء ويذكّركم بكل ما قلته لكم**" (يو ١٤:١٧، ٢٦)؛

"**وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا**" (أع ٢:٤)؛

"**فقال الروح لفيلبس تقدم** ورافق هذه المركبة.. ولما صعدا من الماء **خطف روح الرب فيلبس** فلم يبصره الخصي" (أع ٨:٢٩، ٣٩).

"وبينما هم يخدمون الرب ويصومون **قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه**" (أع ١٣:٢)؛

"لأنه **قد رأى الروح القدس** ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة" (أع١٥:٢٨)؛

"وبعد ما اجتازوا في فريجية وكورة غلاطية **منعهم الروح القدس أن يتكلموا** في آسيا" (أع١٦:٦، ٧)؛

"احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية **التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة**" (أع٢٠:٢٨)؛

" **وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة**" (رو١:٤)؛

"الروح نفسه أيضاً **يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله**.. كذلك الروح أيضاً **يعين ضعفاتنا** لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي **ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها**" (رو٨:١٦، ٢٦)؛

"لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على **الروح القدس** وتختلس من ثمن

الحقل... أنت لم تكذب على الناس بل على **الله**" (القديس بطرس لحنانيا - أع ٥: ٣، ٤)؛

"**لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله**.. لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما **يعلّمه الروح القدس**" (١كو ٢: ١٠، ١٣)؛

"**فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل**" (١كو ١٢: ٤-٦)؛ [المواهب الروحية (١كو ١٢-١٤)]؛

"**أما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية**" (٢كو ٣: ١٧)؛

"**وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف**" (غل٥: ٢٢، ٢٣)؛

"مصلّين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح.. ولأجلي لكي **يُعطى لي كلام عند افتتاح فمي** لأعلّم جهاراً بسر الإنجيل"؛

"عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل **تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس**" (٢بط ١: ٢٠، ٢١).

الثالوث والخلاص :

ينسب **القديس بولس عمل الخلاص للثالوث** كما يتضح من الآيات المختارة التالية:

"وأما نحن فينبغي لنا أن نشكر الله كل حين لأجلكم أيها الإخوة المحبوبون من الرب أن **الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق**" (٢تس ٢: ١٣)؛

"ولكن حين ظهر لطف **مخلصنا الله** وإحسانه لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته **خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس** الذي

سكبه بغنى علينا **بيسوع المسيح مخلصنا** حتى إذا **تبررنا بنعمته** نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية" (تي٣:٤-٧).

الثالوث والعمل الروحي :

يكشف القديس بولس أيضاً في رسائله أن الثالوث هو مصدر العمل الروحي والحياة الأبدية(٦):

"حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا **تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا**" (رو٥:٢١)؛

"لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً **ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية**" (غل ٦:٨)؛

"**لأن لي الحياة هي المسيح** والموت هو ربح" (في ١:٢١)؛

"الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً مجاهداً بحسب **عمله الذي يعمل فيّ بقوة**" (كو ١:٢٩)؛

"لكنني لهذا رُحمت ليُظهر يسوع المسيح فيّ أولاً كل أناة مثالاً **للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية**" (١تي ١:١٦)؛

"بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله لأجل **وعد الحياة التي في يسوع المسيح**" (٢تي١:١)؛

"... على رجاء **الحياة الأبدية التي وعد بها الله المتره عن الكذب قبل الأزمنة الأزلية**" (تي١:٢).

---

(٦) قابل مع : "**وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته**" (يو١٧:٣)؛ "**وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن فله الحياة. ومن ليس له ابن الله فليست له حياة**" (١يو ٥:١١، ١٢).

+ كما يَنسب إلهام الأنبياء والخدام للآب والابن (كما هو **للروح القدس**: مت ١٠:٢٠، مر١٣:١١، لو١٢:١٢، يو١٦:١٣، أع١٣:٢، ٢٠:٢٨):

"إذ أنتم تطلبون برهان **المسيح المتكلم فيّ** الذي ليس ضعيفاً بل قوي فيكم" (٢كو١٣:٣)؛

"الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً.. **كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه"** (عب١:١، ٢).

+ ويَنسب إرسال الخدام للابن [كما هو **للآب** (إر ٣:١٥) **والروح القدس**: (أع١٣:٢، ٢٠:٢٨)]:

"**وهو أعطى البعض أن يكونوا** رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين" (أف٤:١١).

+ ويَنسب التعزية لله الآب والابن (كما تُنسب للروح القدس : يو١٤:١٦، ٢٦، ١٥:٢٦):

"أبو الرأفة وإله كل تعزية الذي يعزينا في كل ضيقتنا حتى نستطيع أن نعزي الذين هم في كل ضيقة بالتعزية التي نتعزى نحن بها من الله" (٢كو ١:٣، ٤)؛

"كذلك **بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً"** (٢كو ١:٥).

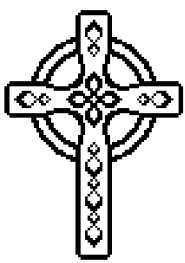

عن الثالوث الأقدس في العهد القديم

لم يعلن الله لشعب إسرائيل وآبائه وأنبيائه بصورة واضحة عن طبيعته كالإله الواحد مثلث الأقانيم لأن الوقت كان مبكراً لهذا الإعلان. ولكننا الآن ونحن نقرأ العهد القديم في ضوء إعلان العهد الجديد بيسوع المسيح عن طبيعة الله التي كانت محجوبة عن الأجيال من قبلنا، نستطيع أن نلتقط إشارات تكشف بصورة ما عن **وحدانية الله وتثليثه** في أكثر من موضع من خلال الكلمات والأحداث والرموز.

+ فكلمة "**الله**" (الواردة في العدد الأول من الأصحاح الأول من سفر التكوين "**في البدء خلق الله السموات والأرض**") هي في أصلها العبري "**إلوهيم**" (وربما اشتقت منها كلمة الدعاء العربية "اللهم") وهي **اسم جمع موحد** uniplural (مفرده "**إلوه**") ويعني "الأسمَى الأقوى القادر" بما يشير إلى **وحدانية جامعة** Unity. ويؤكدها أن الفعل "**خلق**" في الآية هو **للمفرد** إشارة

إلى وحدة الجوهر. وهناك أيضاً الاسم "**يهـــوه**" الـــذي ذكـــره الله لموســـى (خر ٦:٣)، ولم يعرفه الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب، وهو مفـــرد ويعـــني "**الكائن بذاته على الدوام**".

+ ثم كانت الآية "**نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا**" (تك١:٢٦) التي تحتوي **المفرد** (صورة) مع **الجمع** (في ضمير المتكلم بالجمع)، ومثلـــها الآيـــة "**هوذا الإنسان قد صار كواحد منا**" (تك ٣:٢٢)، والآية التي قالها الرب عند محاولة بناء برج بابل "**هلم نترل ونبلبل هناك لسانهم**" (تك١١:٧). ولكـــن صيغة الجمع هنا، مع هذا، لا تعني التعدد، **لأنه إذا كانت الأقانيم ثلاثة فـــإن الله واحد** بحسب قوله "**اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد**" (تث ٦:٤، مر ١٢:٢٩).

+ وعندما ظهر الرب للنبي إشعياء في الرؤيا قال: ".. **من أُرسل ومن يـــذهب من أجلنا**" (إش٦:٨) والقول يجتمع فيه **المفرد** (أُرسل) **والجمع** (أجلنا).

+ ولكن هناك نصوص تشير إلى **التثليث** بالتحديد وليس فقط كوحـــدة جامعة. ففي قول الرب لموسى من وسط العليقة "**أنا إله أبيك. إله إبـــراهيم وإله اسحق وإله يعقوب**" (خر٣:٦ مت٢٢:٣٢، مر ١٢:٢٦، لـــو٢٠:٣٧) اقتران **الوحدانية** (إله أبيك) **بالتثليث** (إله ثلاث مرات).

+ وفي بركة الرب الثلاثية التي أوصى الرب موسى أن يبارك الكهنة بهـــا الشعب وهي "يباركك **الرب** ويحرسك، يضيء **الرب** بوجهه عليك ويرحمك، يرفع **الرب** وجهه عليك ويمنحك سلاماً" (عد ٦:٢٤-٢٦). ففي تكرار كلمة **الرب** في كل من الدعوات الثلاث ما يشي بطبيعة الله المثلثة.

+ وفي هتاف السيرافيم حول العرش الإلهي "**قدوس قدوس قـــدوس رب الجنود**" (إش٦:٣) إشارة إلى تثليث الإله الواحد رب الجنود.

+ وفي النص "**اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوته. أنا هو. أنا الأول وأنا الآخر.. منذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلني وروحه**" (إش٤٨: ١٢، ١٦): الابن (يتكلم) والآب (السيد الرب الذي أرسله) والروح القدس (روحه).

+ وفي آية **المزامير** : "**بكلمة الرب** صنعت السموات **وبنسمة فيه** كل جنودها" (مز٣٣: ٦): فالله (**الآب**) صنع السموات بكلمة الرب (**الابن**) وبنسمة فيه (**الروح القدس**). كما أن الآية "ترسل **روحك** فتخلق" (مز١٠٤: ٣٠) تشير إلى دور **الروح** الذي يرسله (الآب أو الابن) في الخلْق ".. **وروح الله يرف على وجه المياه**" (تك١: ٢).

وفي هذا يتفق الآباء الأوائل على عمل **الأقانيم الثلاثة** في الخلْق : **فللآب** المشيئة **وللابن** الخلق (**كل شيء به كان** – يو١: ٢؛ **الكل به وله قد خُلق** – كو ١: ١٦) **والروح القدس** يبث الحياة ويقدس الكون[1].

+ وفي سفر **الأمثال** "**أنا الحكمة.. الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم. منذ الأزل مُسحت منذ البدء منذ أوائل الأرض.. من قبل أن تقرّرت الجبال قبل التلال أُبدئت... لما ثبّت السموات كنت هناك أنا.. لما رسم أسس الأرض كنت عنده صانعاً وكنت كل يوم لذّته**" (أم٨: ١٢، ٢٢-٣٠).

+ وفي **المزامير** "اللهم أعط أحكامك **للملك** و برك **لابن الملك** ... يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحَق" (مز ٧٢: ١، ٢)، فهو **الملك وابن الملك، الله وابن الله** في ذات الوقت، " يا إله الجنود ارجعن. اطلع من السماء وانظر

---

(١) يقول **القديس أوريجانوس** في تفسير الآية الأولى من سفر التكوين "**في البدء خلق الله السموات والأرض**" ما هو بدء كل شيء سوى ربنا يسوع المسيح مخلص الجميع و"**بكر كل خليقة**" (كو١: ١٥). (**في البدء**) تعني في كلمته وبها، فهو "**البداية والنهاية**" (رؤ١: ٨)، **في المخلص** صُنعت السماء والأرض وكل ما صُنع.

وتعهد هذه **الكرمة**. والغرس الذي غرسته يمينك **والابن** الذي اخترته لنفسك" (مز ٨٠:١٤، ١٥) والكرمة هي الكنيسة والابن هو رأسها.

+ وفي سفر **الأمثال** أيضاً هذه الإشارة الصريحة عن **الآب والابن** المكتوبة بإلهام الروح القدس رغم **حيرة كاتبها في فهمها " من صعد إلى السماوات ونزل. من جمع الريح في حفنتيه. من صرّ المياه في ثوب. من ثبّت جميع أطراف الأرض. ما اسمه و ما اسم ابنه إن عرفت؟"** (أم٣٠:٤) [٢].

+ كما أن الرب استخدم آيات العهد القديم لكي يبرهن لليهود عن لاهوته كابن الله الظاهر في الجسد فسألهم **"ماذا تظنّون في المسيح من هو؟ فقالوا له "ابن داود" فقال لهم فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً** في (المزمور ١١٠:١): **قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه؟** فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة (مت ٢٢:٤١-٤٦). فالحق كان أمامهم ولكنهم أنكروه بإرادتهم. فهو وإن كان ابن داود بتسلسل الأنساب حسب الجسد ولكنه ربه باعتبار لاهوته.

+ وقد استخدم كاتب العبرانيين نفس المزمور (١١٠:١، عب ١:١٧) ليعبّر عن رفعة قدر المسيح المخلص الذي تمت فيه النبوات، والذي هو أعظم من الملائكة وكل الأنبياء بمقدار ما ورث اسماً أعظم من جميعهم.

كما استخدم نصوصاً أخرى لبيان رفعة شأن المسيح وعمله الخلاصي:

"أنت ابني أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض مُلكاً لك" (مز٢:٧، ٨، عب ١:٥)؛ **"كرسيك يا الله إلى دهر**

---

(٢) هذه الشواهد كلها من الناموس والأنبياء مكتوبة في **توراة اليهود** التي لا تختلف عن **"العهد القديم"** الذي بين أيدينا والذي يضمّه مع **"العهد الجديد"** دفتا كتاب واحد هو **"الكتاب المقدس"**. فكل منهما يشهد للآخر ويكمله. فهي إذاً ليست تحريفات أو إضافات للعهد القديم من جانب المسيحيين لتتفق مع العهد الجديد.

الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك" (مز٤٥:٦، ٧، عب ١:٨، ٩)[٣]؛ **"من هو الإنسان حتى تذكره، وابن آدم حتى تفتقده، وتنقصه** (وضعته) **قليلاً عن الملائكة، وبمجد وبهاء** (كرامة) **تكلّله. تسلّطه** (أقمته) **على أعمال يديك.. جعلت** (أخضعت) **كل شيء تحت قدميه"** (مز٨:٤-٦، عب ١:٨، ٩)، ويفسّر ذلك **"ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة نراه مكلّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد"** (عب ٢:٩).

+ على أن أعظم إعلان لسر الثالوث هو ما تم في يوم معمودية المسيح في الأردن من يوحنا المعمدان حيث كان الظهور الإلهي الفريد أمام الكل بالسموات المفتوحة **والروح القدس** آتياً كحمامة على **الابن** وصوت **الآب** يهتف من السماء **"هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت"** (مت٣:١٧، لو٣:٢٢).

+ يمكن القول إنه في أيام المسيح كان قد استقر في فهم اللاهوتيين اليهود (رؤساء الكهنة والفريسيين) أن طبيعة الله هي **آب وابن**، وهذا واضح مما جرى عند محاكمة يسوع من سؤال رئيس الكهنة له **"أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله"** (مت٢٦:٦٣)؛ **"أأنت المسيح ابن المبارك، فقال يسوع أنا هو"**[٤] (مر١٤:٦١، ٦٢).

---

(٣) وهو المزمور الكبير (**بيك اثرونوس**) ذو اللحن الرائع الذي تمجد الكنيسة به الرب المصلوب في صلاة الساعة الحادية عشرة من يوم الثلاثاء والساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة العظيمة في أسبوع آلام المخلص.

(٤) **"أنا هو"** (باليونانية Ego eimi) هي بذاتها اسم الله كما نطقه لموسى في العهد القديم (خر٣:١٤) (**أهْيَه الذي أهْيَه** – أي أكون الذي أكون – أو أنا الكائن بذاتي أو **أنا هو** I am the being)، والتي استخدمها الرب كثيراً (**أنا هو: نور العالم.. الطريق والحق والحياة.. الراعي الصالح..**)، والتي لما سمعها رئيس الكهنة لم يتمالك نفسه ومزّق ثيابه قائلا "قد جدّف.. ها قد سمعتم تجديفه" (مت ٢٦:٦٥، مر١٤:٦٣، ٦٤).

عن الآب والابـــن

الابن يستعلن لنا الآب :

"فيعلن مجد الرب ويراه كل البـــشر معـــاً. لأن فـــم الـــرب تكلـــم" (إش ٤٠:٥)

+ يفتتح **القديس يوحنا** بشارته **بتجسد الكلمـــة** (The Word (Logos، وكيف استعلن لنا **الله** (**الآب**) الذي **"لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب** (بصورة دائمة) **هو خبّر** (بتجسده)" (يو ١:١٨).

وفي بداية رسالته الأولى، يكتب القديس يوحنا أيضاً **"(يـــسوع المـــسيح) الذي كان من البدء** (الأزل)، **الذي سمعناه الذي رأينـــاه بعيوننـــا، الـــذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة** (الكلمة). **فإن الحياة أُظهـــرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا**

(بالمسيح يسوع)... **وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح"** (١يو١: ١-٣) [١].

وهكذا نحن رأينا الله.

+ بالفعل لم ير الله أحدٌ في القديم.

ويوم كلّم الله الشعب بالوصايا العشر حذّرهم قبلها من أن يصعدوا إلى الجبل أو أن يمسوا طرفه، وأن كل من يمس الجبل، بهيمة كان أم إنساناً، يُقتَل رجماً أو رمياً بسهم. وساعتها صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً، وكان جبل سيناء يرتجف ويدخن كأنه أتون، والكل ارتعدوا ووقفوا من بعيد **"حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد"** (عب ١٢: ٢١).

ولما صعد موسى إلى الجبل كي يستلم لوحي الشريعة غطى السحاب الجبل سبعة أيام **"وكان منظر مجد الرب كنار آكلة"** (خر ٢٤: ١٧، عب ١٢: ٢٩).

+ وفيما بعد اشتهى موسى أن يرى الله وهو الذي كان الله يكلمه فماً لفم كما يكلم الرجل صاحبه (خر ٣٣: ١١، عد ١٢: ٨)، فقال له: **"أرني مجدك"** فقال له الرب: **"لا تقدر أن ترى وجهي. لأن الإنسان لا يراني ويعيش. وقال الرب هوذا عندي مكان فتقف على الصخرة. ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز. ثم أرفع يدي فتنظر ورائي. وأما وجهي فلا يُرى"** (خر ٣٣: ١٨-٢٣).

وبعد أربعين يوماً نزل موسى من جبل سيناء من أمام الله ومعه لوحا الشهادة الجديدان، ولما رآه هرون أخوه وجميع بني إسرائيل خافوا أن يقتربوا

---

(١) "أيها الكائن السيد الرب الإله الحقُّ من الإله الحقّ. الذي أظهر لنا نور الآب الذي أنعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية" (**من قداس القديس غريغوريوس للابن**).

إليه لأن جلد وجهه كان يلمع حتى أنه بعد ما كلمهم "**جعل على وجهه برقعاً**" (خر ٣٤:٢٩-٣٥، ٢كو ٣:١٣).

فموسى النبي، الذي وضعه الله في نقرة من صخرة وستره بيده، لم ير الله. فقط عبر عليه مجد الله من الخلف، فصار جلد وجهه يلمع حتى ليصعب على الشعب النظر إليه.

+ بالمسيح يسوع نحن لم نأت كما في القديم "**إلى جبل ملموس مضطرم بالنار وإلى ضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق... بل قد أتيتم إلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية، وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات، وإلى الله ديّان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكملين، وإلى وسيط العهد الجديد يسوع، وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل**" (عب ١٢:١٨، ٢٢-٢٤).

+ **وإشعياء النبي** لما ظنّ أنه رأى الله في الرؤيا وهو بهيئة الجالس على كرسي عالٍ وأذياله تملأ الهيكل صرخ قائلاً: "**ويل لي إني هلكت... لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود**" (إش٦:٥).

+ ويذكر الكتاب أن التلاميذ الثلاثة **بطرس ويعقوب ويوحنا**، الذين كانوا مع الرب على الجبل وقت التجلي، لما سمعوا صوت الآب من السماء "**سقطوا على وجوههم وخافوا جداً. فجاء يسوع ولمسهم وقال قوموا ولا تخافوا**" (مت ١٧:٦).

+ والآن ونحن في محضر الله ترافقنا المخافة مع الفرح والحب، فوجه الله المخلص الذي حل بيننا انتزع من وسطنا الخوف (وإن لم ينزع الخشوع والمهابة). وإذ تحررنا من الخطية بعمل الدم صرنا أولاداً محبوبين ومحبّين. والله حاضر على المذبح والملائكة قيام يسبحون الرب كما في السماء، والحاجز

المتوسط قد تم هدمه (أف ٢:١٤) والكل صاروا واحداً في المسيح يسوع (غل ٣:٢٨).

+ وكما نهج **القديس يوحنا** في كتابة إنجيله، بدأ **القديس بولس** رسالته إلى العبرانيين بما يقارب نفس المعنى وكيف كلمنا الله في ابنه "**الله** (الآب) **بعدما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عمل العالمين، الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره، وحاملٌ كلَّ الأشياء بكلمة قدرته، بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي، صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم**" (عب ١:١-٤).

وهكذا بدأ أيضاً رسالته إلى رومية "**بولس .. المفرز لإنجيل الله، الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة، عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد** (أي الذي تجسد وحل بيننا)" (رو ١:١-٣).

ويختمها بالآيات التالية :

"... **حسب إعلان السر، الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية، ولكن ظهر الآن، وأُعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلي، لإطاعة الإيمان، لله الحكيم وحده، بيسوع المسيح، له المجد إلى الأبد. أمين**" (رو ١٦:٢٥-٢٧).

+ المسيح اختلف عن الأنبياء في أنه ليس فقط نقل مثلهم كلمة الله إلى البشر، وإنما هو استعلن للكل الله (الآب) ذاته الساكن "**في نور لا يُدنى منه. الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه**" (١تي ٦:١٦) لأنه من ذات الجوهر الواحد الذي للآب (والروح القدس).

وعندما يتكلم الابن المتجسد فإن الله الآب يتكلم فيه، فهو إذاً كلام الابن وكلام الآب في الوقت ذاته "**الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني**" (يو ١٤:٢٤). ولأن الابن يتكلم بكلام الله "**الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة**" (يو ٦:٦٣)، فهو بذلك يستعلن لاهوته أيضاً.

وفي هذا قال الرب لفيلبس وسائر تلاميذه بقوة ووضوح "**لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً. ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه.. الذي رآني فقد رأى الآب.. ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيّ. الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال. صدقوني أني في الآب والآب فيّ، وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها...**" (يو١٤:٧-١١).

+ وفي صلاته الشفاعية إلى الآب طلب الرب من أجل وحدة الكنيسة على مثال وحدته مع الآب قائلاً: "**ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا.. أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد**" (يو١٧:٢١، ٢٣).

والرب لا يفتأ يؤكد على وحدته مع الآب في المشيئة والعمل ومن هنا يقول: "**كل شيء قد دُفع إليّ من أبي وليس أحد يعرف من هو الابن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يُعلِن له**" (مت ١١:٢٧، لو ١٠:٢٢).

+ والابن يمجد الآب وهو يبدأ صلاته للآب قبل الصليب بساعات فيقول: "**أيها الآب قد أتت الساعة. مجِّد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً.. أنا مجدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته. والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم**" (يو ١٧:١، ٤، ٥).

والآب يمجد الابن مستجيباً "أيها الآب مجد اسمك. **فجاء صوت من السماء مجدّت وأمجّد أيضاً**" (يو ١٢:٢٨). كما أن الروح يمجّد الابن ويشهد له "**ذاك يمجّدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم**" (يو ١٦:١٤)، وأيضاً فإن الآب يشهد للابن "**الذي يشهد لي هو آخر، وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق.. الآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي**" (يو ٥:٣٢، ٣٧).

+ يترتب على هذه الوحدة بين الآب والابن، أنه كما يُنسب الكلام أو العمل إلى الآب فهو ينسب إلى الابن بغير مفارقة. فالرب طلب أن يُسمع كلامه ويُحفظ لأنه كلام الله (يو١٤:٢٤).

وكما كتب إشعياء "**وأما كلمة الله فتثبت إلى الأبد**" (إش ٤٠:٨) فالرب قال أيضاً عن كلامه "**كلامي لا يزول**" (مت ٢٤:٣٥، مر ١٣:٣١، لو ٢١:٣٣).

وكما علمنا الرب أن نوجه صلاتنا لله الآب "**فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات...**" (مت ٦:٩، لو ١١:٢) فهو أيضاً يقبل الصلاة "**حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم**" (مت ١٨:٢٠)؛

"ليس كل من **يقول لي يا رب يا رب** يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات... كثيرون **سيقولون لي** في ذلك اليوم (يوم الدينونة) **يارب يارب** أليْس باسمك تنبأنا... فحينئذ أصرح لهم: "**إني لم أعرفكم قط**" (مت ٧:٢١، ٢٣).

وهو قال عن نفسه : "**أن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً**" (مت ١٢:٨).

والرب أعلن أنه الطريق إلى الآب "**أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي**" (يو ١٤:٦).

+ وفي نفس الوقت فإن الآب يجتذب النفوس ويحركها الروح القدس كي تُقبل إلى الابن وتؤمن وتتمتع بالخلاص:

"كل ما يعطيني الآب فإليّ يُقبل... لأن هذه هي مشيئة الآب الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير... لا يقدر أحد أن يُقبل إليّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني... أن يأتي إليّ إن لم يُعط من أبي" (يو٦:٣٧، ٤٠، ٤٤، ٦٥).

"وليس أحد يقدر أن يقول "يسوع رب" إلا بالروح القدس" (١كو ١٢:٣).

+ والرب شدد على أن خرافه الخاصة المؤمنة به **"لا تهلك إلى الأبد... ولا يخطفها أحد من يده"** كما قال أيضاً إنه **"لا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي"** (يو ١٠:٢٨، ٢٩). فهي محفوظة في يد الآب والابن لأنهما واحد (يو ١٠:٣٠).

+ وإذا كان الابن، باعتباره رأس الكنيسة (كو ١:١٨) وأن الكنيسة هي جسده (أف١:٢٣، كو١:٢٤)، هو **الكرمة** والمؤمنون هم **الأغصان**، فالآب هو **الكرام**، الذي ينتزع الأغصان الجافة غير المثمرة، وينقي تلك المثمرة لتأتي بثمر أكثر، والروح القدس يعطي الثمر للثابتين في أصل الكرمة. وبالثمر الكثير يتمجد الآب ويفرح الابن (يو١٥:١-٨، غل ٥:٢٢، ٢٣، أف ٥:٩).

عن أزلية الابن :

إن ابن الله، الواحد في الثالوث، الذي صار ابناً للإنسان، هو في حقيقة الأمر لا بداية لأيامه ولا نهاية. إنه **"الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر"** (رؤ ١:٨، ١١، ١٧). وهو ما سجّله سفر إشعياء بنفس النص "هكذا يقول الرب: **"أنا الأول وأنا الآخِر ولا إله غيري"** (إش ٤٤:٦، ٤٨:١٢).

فالحي الذي كان ميتاً وهو "**حي إلى أبد الآبدين**"، الذي ظهر في الرؤيا للقديس يوحنا، هو هو الذي تكلم في العهد القديم. وهو "**الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء**" (رؤ١:٨)، وهو الأزلي الذي "**كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان.. كان في العالم والعالم به كُوّن**" (يو ١:٣، ١٠)، وهو "**صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة. فإن فيه خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين** (رتب الملائكة). **الكل به وله قد خُلق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل**" (كو١:١٥-١٧). وهو "**بهاء مجده** (مجد الله) **ورسم جوهره وحاملٌ كلَ الأشياء بكلمة قدرته**" (عب ١:٣)، وهو استعلن لنا الله الذي "**لم يره أحد قط**" (يو ١:١٨) "**ولا يقدر** (أحد) **أن يراه**" (١تي ٦:١٦).

+ والرب، أيام تجسده على الأرض، أشار إلى سبق وجوده عندما ألمح إلى تهليل إبراهيم بأن يرى يومه (أي مجيئه للخلاص وتحقيق الوعد) "**فرأى وفرح**". ورد على تساؤل اليهود "**أفرأيت إبراهيم؟**" قائلاً: "**الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن**" (يو٨:٥٦-٥٨). وفي حديثه إلى نيقوديموس بيّن أنه وإن كان بالجسد على الأرض فبلاهوته "**هو في السماء**" (يو٣:١٣).

+ والرب نبّه أذهان اليهود إلى التفتيش في الكتب (أي في أسفار العهد القديم) والبحث فيها لأنها تشهد له (يو٥:٣٩). وهو أشار إلى **العليقة** (مر١٢:٢٦، لو ٢٠:٣٧)، **والحية النحاسية** (يو٣:١٤)، وأن موسى كتب عنه (يو ٥:٤٦). وكان يقول كثيراً "**أما قرأتم**" (مت١٢:٣، ١٩:٤، ٢١:١٦، مر٢:٢٥، ١٢:١٠، ٢٦، لو٦:٣) و"**مكتوب**" (مت٤:٤، ٧، ١٠، ٢١:١٣، ٢٦:٣١، مر٧:٦، لو١٩:٤٦، ٢٤:٤٤، يو٦:٣١) و"**لا يمكن أن**

يُنقض المكتوب" (يو١٠: ٣٥). وفي ليلة آلامه أشار إلى تمام النبوات فيه **"وأما هذا كله فقد كان لكي تكمّل كتب الأنبياء"** (مت٢٦: ٥٤، ٥٦، مر١٤: ٤٩).

+ ويحفل العهد القديم بالعديد من الظهورات الإلهية، التي سجلتها الأسفار المقدسة، والتي تنسب إلى الله بغير التمييز الأقنومي. ولكن بعض الظهورات يمكن نسبتها إلى شخص الابن، فهو باعتباره **"الكلمة"** (يو١: ١) يتكلم، أو **"صورة الله"** (كو١: ١٥) يتجسد بصفة مؤقتة ليعلن **"قوة الله وحكمة الله"** (١كو ١: ٢٤)، سواء في هيئة بشرية أو ملائكية أو غيرها، أو بما يرمز إلى مهمته الخلاصية، أو ما تسجله نبوات الأنبياء المسوقين من الروح القدس عنه (٢بط١: ٢١).

+ وهو السر العظيم (١تي ٣: ١٦) الذي ظل غامضاً محجوباً عن الفهم، حتى كشف عنه نور العهد الجديد بتجسد ابن الله بصورة كاملة غير مسبوقة، إيفاءً بالعهد القديم للخلاص، وإعلان العهد الجديد بين الله والناس (إر ٣١: ٣١) بالصليب والموت والقيامة، ومجيئه الثاني في الزمان الأخير ليختم على الخلاص الذي بدأه (في٣: ٢٠، ٢١، عب ٩: ٢٨، ١بط١: ٥)، حيث يضم مختاريه إلى ملكوته، ويرذل الذين رفضوه إلى مصيرهم الأليم. فالرب **"يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد"** (عب ١٣: ٨).

عن لاهوت الابن ووحدته مع الآب :

+ من منظور التجسد، حيث يقول الكتاب عن الابن إنه **"أخلى نفسه آخذاً صورة عبد... وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب"** (في ٢: ٧-٨)، فإنه يصير مفهوماً أن يقول الرب إن **"أبي أعظم مني"** (يو ١٤: ٢٨) بمعنى أن ناسوته المتضع يخفي مجد لاهوته. فحقيقة لاهوته أعظم بما لا يقاس من بساطة مظهره الإنساني، وهو

بالتالي – كالابن المتجسد – يخضع للآب ويحقق مشيئته ويمضي مستسلماً نحو الصليب والموت[٢].

+ ويصير مقبولاً أيضاً أن يقال إن الله أرسل ابنه، أو أعطاه سلطاناً أو أن يعمل عملاً، أو أقامه من الموت (رو ٤:٢٤، ٨:١١، ١كو ٦:١٤، عب ١٣:٢١)، هذا رغم وحدته الجوهرية الدائمة في الآب بغير افتراق للحظة واحدة.

+ وصراخ الرب بصوت عظيم نحو الساعة التاسعة وهو على الصليب، ونداؤه للآب (بالآرامية) **"إيلي إيلي** (أو إلوي إلوي) **لما شبقتني، أي إلهي إلهي لماذا تركتني"** (مت٢٧:٤٦، مر ١٥:٣٤) لا يعني انفصالاً للآب عن الابن، وإنما هو، من ناحية، ترديد للمزمور (٢٢:١) تحقيقاً لما كتبه داود بروح النبوة قبل ألفي عام[٣]، كما أنه تعبير عن آلام حقيقية ساحقة يجوزها الرب بالجسد، وهو من ناحية أخرى، إعلان عن تخلّي الله المقصود عنه بالجسد، وعدم التدخل الإلهي لإنقاذ الابن المتجسد (الذي كان سيؤدي إلى إجهاض خطة الخلاص، وضد القصد الإلهي الأزلي). فهي المشيئة المشتركة للآب والابن أن يبذل الآب ابنه (يو ٣:١٦) وأن يقبل الابن بكامل إرادته أن يقدم نفسه فدية عن خلاص

---

(٢) ولكن ليس رغماً عنه وإنما بكامل حريته وإرادته حباً في الآب وكل البشر **"لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً"** (يو١٠:١٧، ١٨). ومكتوب أن الرب عندما تقدم إلى الذين جاءوا لتسليمه خرج **"وهو عالم بكل ما يأتي عليه"** (يو ١٨:٤). وهو في صلاته للآب يقول: **"يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك"** (مت ٢٦:٤٢). والرب قال لبطرس المدافع عنه بسيفه مؤنّباً ومنبّهاً **"الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها"** (يو ١٨:١١). وفي حواره مع بيلاطس الذي كان يتكلم عن سلطانه أن يصلبه أو يطلقه واجهه الرب بقوله القاطع: **" لم يكن لك عليّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق"** (يو ١٩:١١).

(٣) وهو أحد المزامير التي تحتوي نبوات كثيرة عن آلام الرب يوم الصليب. واختارت منه الكنيسة الآيات التالية لتُتلى في صلاة الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة **"ثقبوا يدي ورجلي. أحصى كل عظامي.. يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون... يفغرون الشفاه وينغضون** (يحركون) **الرأس قائلين اتكل على الرب فلينجّه لينقذه لأنه سُرّ به"** (مز٢٢:١٦-١٨، ٧، ٨).

العالم (مت ٢٠:٢٨). والرب انتهر بطرس عندما تدخل بسيفه دفاعاً عن سيده قائلاً له: "**رد سيفك إلى مكانه... أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثنى عشر جيشاً من الملائكة** (للتدخل والإنقاذ) **فكيف تُكمّل الكتب** (والتدبير الإلهي) **أنه هكذا ينبغي أن يكون** (وأن تبلغ الخطة غايتها)" (مت٢٦:٥٢-٥٤).

+ **ولكن المسيح لم ينكر أبداً لاهوته** بل كان يكشف عنه بالأعمال والكلمات ليؤكد أنه الله الظاهر في الجسد، وأن الخلاص هو بالإيمان به، مؤكداً على مساواته مع الآب:

● ففضلاً عما صاحب ميلاده ويوم عماده من رؤى وعلامات غير مسبوقة وانفتاح السماء على الأرض، وتجلّيه بالبهاء والمجد وإلى جانبيه النبيان موسى وإيليا (مت١٧:٢، ٣، مر٩:٣، ٤، لو٩:٢٩، ٣٠)، وغفرانه للخطايا (مت٩:٢، مر ٢:١٥، لو ٥:٢٠، ٧:٤٨، يو٨:١١)، وسلطانه على المرض والموت والطبيعة، فإن كلماته في بعض المواقف كانت صريحة تماماً في إعلان لاهوته. كما أن المقابلات بين النصوص الكتابية تفصح بوضوح **أن المسيح هو الله.**

● فهو يواجه منتقديه على عمل الخير والمعجزات في السبت بأن "**ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً**" (مت١٢:٨، مر ٢:٢٨، لو ٦:٥)، وأنه يعمل كما يعمل الآب، حتى أن اليهود طلبوا أن يقتلوه لأنه قال: "**إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله**" (يو٥: ١٨). وهو يصدق على شهادة تلميذه بطرس "**أنت هو المسيح ابن الله الحي**" مؤكداً أنها إلهام الآب السماوي (مت١٦:١٦، ١٧، مر ٨:٢٩، لو ٩:٢٠). والسامرية تقول له: أنا أعلم أن **مسيا** (الذي يقال له **المسيح**) يأتي، فيقول لها المسيح: "**أنا الذي أكلمك هو**" (يو٤:٢٦). وهو يسأل الأعمى الذي شفاه وصار بصيراً: أتؤمن بابن الله؟ فيجيب: من هو

يا سيد لأؤمن به؟ فيقول له يسوع "**قد رأيته والذي يتكلم معك هو هـو**" فيرد قائلاً: "أؤمن يا سيد. وسجد له" (يو٩:٣٨).

● والرب يعلن أنه يملك مفاتيح ملكوت السموات (مت١٦:١٩). بل إنه قال لليهود بغير مواربة "**أنا والآب واحد**" (يو١٠:٣٠) حتى أنهم تناولوا حجارة ليرجموه لأنهم رأوه يجدّف إذ يجعل نفسه إلهاً، ورد عليهم قائلاً: "**فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله. إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه**" (يو١٠:٣٦-٣٨)، وأن من لا يؤمن به يموت في خطاياه، وأنه هو وحده لم يخطيء (يو٨:٤٦، ٢كو ٥:٢١، عب ٧:٢٦).

● والرب يؤكد على وحدته الدائمة مع الآب "**لأني لست وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني**" (يو٨:١٦) "**وأنا لست وحدي لأن الآب معي**" (يو١٦:٣٢). وهو قَبِل السجود له (لو٢٤:٥٢، يو٩:٣٥، ٣٨) والتسبيح له (مت٢١:٩، ١٥، مر ١١:٩، يو١٢:١٣). وقال إنه و إن كان ظاهراً في الجسد فإنه قد أتى من فوق وسيعود إلى فوق بعد تحقيق رسالته "**أنتم من أسفل. أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم.. أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به**" (يو٨:٢٣، ٢٥). وقال عنه المعمدان "**الذي يأتي من فوق** (من السماء) **هو فوق الجميع**" (يو٣:٣١).

● وهو يخبر تلاميذه مسبقاً عن صلبه وموته وقيامته وإرساله الروح القدس بعد صعوده فيتم كل ما قال به، كما يتنبأ عن خراب أورشليم فيتحقق بعد حوالي أربعة عقود تأكيداً على معرفته الكلية بما سيأتي.

• وقول الرب الذي ذكره **هوشع النبي** (٧٥٣ ق.م) "**إني أريد رحمة لا ذبيحة**" (هو٦:٦) يقوله الرب بنصه "**فاذهبوا وتعلّموا ما هو: إني أريد رحمة لا ذبيحة**" (مت٩:١٣، ١٢:٧).

• وما كتبه **إشعياء النبي** عن قول الرب "**أنا الأول وأنا الآخِر ولا إله غيري**" (إش ٤٤:٦) هو هو ما قاله الرب في بداية وختام رؤيا القديس يوحنا "**أنا هو** Ego eimi **الألف والياء** (البداية والنهاية) **الأول والآخر**" (رؤ ١:٨، ١١، ٢٢:١٣).

• وكما كُتب عن الآب "**كي يكون الله الكل في الكل**" (١كو ١٥:٢٨) فقد كُتب أيضاً عن الرب "**المسيح الكل وفي الكل**" (كو ٣:١١).

• وما كُتب عن الآب أنه "**المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب** (١تي ٦:١٥) هو ما لقّب به الابن "**والخروف يغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك... وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب**" (رؤ١٧:١٤، ١٩:١٦).

• ونبوات العهد القديم عن المسيح المخلص أنه **النور** الذي يضيء العالم (إش ٩:٢، ٤٢:٦، ٦٠:١٩، ٢٠) يسجلها العهد الجديد مقترنة بالرب (مت ٤:١٦، لو ٢:٣٢). ويقدم المسيح نفسه أنه "**نور العالم**" (يو٣:١٩، ٨:١٢، ٩:٥، ١٢:٣٥، ٣٦، ٤٦). والبشير يوحنا يشير إلى الرب **بالنور الحقيقي** "**الذي ينير كل إنسان**" (يو ١:٩).

الآب والابن في رسائل القديس بولس :

+ في رسائله بصورة عامة، يقرن **القديس بولس** كلمة **"الله" بالآب**، وكلمة **"الرب" بالابن**:

"نعمة لكم وسلام من **الله أبينا والرب يسوع المسيح**" (رو١:٧، ١كو١:٣، ٢كو١:٢، أف١:٢، في١:٢، كو١:٢، ٢تس١:٢، ٢تس١:٢، فل٣)؛

"**نعمة ربنا يسوع المسيح** ومحبة **الله**" (٢كو ١٣:١٤)؛

"**الله** بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً.. كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في **ابنه**" (عب١:١، ٢)؛

".. نعمة لكم وسلام من **الله الآب** ومن **ربنا يسوع المسيح**... حسب إرادة **الله وأبينا**" (غل١:٣، ٤)؛

".. نعمة لكم وسلام من **الله أبينا والرب يسوع المسيح**" (١تس١:١، ٢تس١:١)؛

".. نعمة ورحمة وسلام من **الله أبينا** (الآب) **والمسيح يسوع ربنا**" (١تي ١:٢، ٢تي١:٢)؛

".. نعمة ورحمة وسلام من **الله الآب والرب يسوع المسيح مخلصنا**" (تي ١:٤).

+ **والآب** صالحنا واخترنا في **المسيح** وهو طريقنا إلى **الآب** :

"إذ قد تبررنا بالإيمان **لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح.. قد صولحنا مع الله بموت ابنه**" (رو٥:١، ١٠)؛

".. **الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح** وأعطانا خدمة المصالحة" (٢كو٥:١٨)؛

"مبارك **الله** أبو ربنا يسوع المسيح.. الذي **باركنا... في المسيح** كما **اختارنا فيه**.. لنكون قديسين.. إذ سبق **فعيّننا للتبني بيسوع المسيح**.. الذي **فيه** لنا **الفداء بدمه**... الذي **فيه** أيضاً **نلنا نصيباً معينين سابقاً** حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته (الآب)" (أف١:٣-١١)؛

"لأنه **هو سلامنا الذي جعل الاثنين** (اليهود والأمم) **واحداً.. ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب** قاتلاً العداوة به.. لأن **به** لنا كلينا **قدوماً في روح واحد إلى الآب**" (أف٢:١٤، ١٦، ١٨، ٣:١٢).

بين بنوة الابن وبنوتنا لله :

هناك فرق بين بنوة وبنوة:

فالابن يشير إلى **الآب** بقوله **أبي** (مت٧:٢١، ١٠:٣٢، ٣٣، ١١:٢٧، ١٦:١٧، ٢٦:٢٩، لو٢:٤٩، ١٢:٨، ٩، ٢٢:٢٩، يو٢٠:١٧)، وينادي **"يا أبتاه"** (مت٢٦:٣٩، ٤٢، لو٢٣:٣٤)، و**"يا أبّا الآب"**[٤] (مر ١٤:٣٦). **فهو ابن الله بالطبيعة**. ومن هنا يناديه الآب أيضاً **"ابني الحبيب"** لأنه **الابن الوحيد** كذلك (مت ٣:١٧، مر١:١١، ٩:٧، ١٢:٦، لو٣:٢٢، ٩:٣٥، يو١:١٤، ١٨، ٣:١٦، ١٨، ١يو ٤:٩).

أما **نحن فأبناء الله بالتبني** (رو٨:١٤، ١٥، غل ٣:٢٦، ٤:٥-٧، أف١:٥) بالفداء والولادة الجديدة من الروح القدس. وكبنين يضع الروح على شفاهنا صلاة المسيح نفسها ويجعلنا مشابهين له قائلين مثله **"يا أبا الآب"** (رو٨:١٥، غل ٤:٦).

---

(٤) **"أبّا"** هي **"الآب"** بالآرامية (وكتبت بالآرامية كما نطقها المسيح وأُتبعت بترجمتها). والكلمة تعبر عن الخصوصية والمحبة المتبادلة بين الآب والابن (يو٥: ٢٠، ١٧:١٠، ٩:١٥)، وهي مثل كلمة "بابا" الحميمة. و"أبّا" يستخدمها الرهبان في الأديرة للنداء على بعضهم البعض. كما أنها كلمة شائعة في ريفنا عند النداء على الوالد (آبا أو يابا).

والرب، الابن البكر، من محبته، يقبلنا نحن أولاد الله بالتبني كأننا **إخوتـــه**، فيقول للمريمتين بعد قيامته "اذهبا قولا **لإخوتي** أن يذهبوا إلى الجليـــل وهنـــاك يرونني" (مت٢٨: ١٠).

ويكتب **القديس بولس** عن المؤمنين أبناء الله الذين سبق الله (الآب) فعرفهم أنه "**سبق فعيّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بـــين إخـــوة كثيرين**" (رو٨: ٢٩).

والرب وعد مؤمنيه الذين يحبونه ويحفظون كلامه أن يأتي مع أبيه للسكنى فيهم "**إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منـــزلاً**" (يو١٤: ٢٣)، وهو يطلب من الآب في صلاته الشفاعية أن يكونـــوا معـــه في ملكوته في آخر الأيام "**أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي** (السماوي) **الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم**" (يو ١٧: ٢٤).

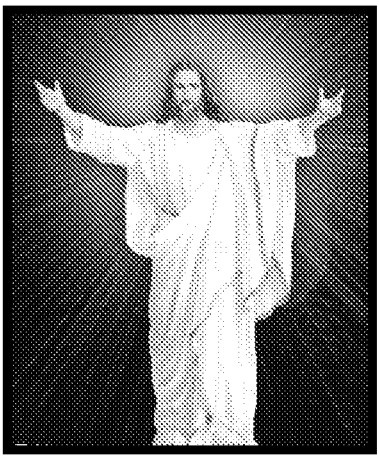

"**أنا والآب واحد**" (يو ١٠: ٣٠)

قضية التجسد والخلاص

+ معجزة التجسد
+ شهادة العهد القديم
+ شهادة العهد الجديد
+ شهادة المجامع والطقوس والآباء
+ الآراء المضادة

معجزة التجسد

ما أبأس المصير الذي كان سينتهي إليه الإنسان لو لم يفتقده الله برحمته، وينزل إليه متجسِّداً، ويفتح له أبواب الملكوت.

وما أشد تعاسة الإنسان إن بَقيَ أسير الشيطان والخطية والموت، لو لم يتحنَّن عليه جابله ومجيئه مخلِّصاً وفادياً، ويُحرِّره من سجنه، ويُنعم عليه بالحياة الأبدية.

وما أفقر حياة الإنسان، وأحلك الظلمة التي كانت ستسوده، لو لم يأت إليه في ملء الزمان ابن الله في الجسد، ويملأ حياته نوراً وبهجة ورجاء.

التجسُّد Incarnation، أي أن يأخذ الله جسد الإنسان، كان الرد الإلهي على سقوط الإنسان وخضوعه للموت. فأمام عجز الإنسان الخاطئ عن أن يُكفِّر عن خطيته وينجو من الموت، كان أن صار الله إنساناً مكافئاً للناس في كل شيء، ما عدا الخطية المُسبِّبة للموت، ويُكفِّر بدم نفسه نائباً عن كل الخطاة. وهو إذ يقوم منتصراً بعد موته من أجلهم، يُعلن غلبته على الموت، ويُحقِّق البراءة للإنسان الخاطئ، ويهب كل مَن يؤمن به الحياة الأبدية.

التجسُّد هو عماد الإيمان المسيحي وقرينه وحده. **المسيحية هي المسيح.** والمسيح هو أقنوم الابن الذي تجسَّد لأجل خلاص جنس البشر. والتجسُّد اقتضى أن يُولَد الله بشراً من امرأة (غل ٤: ٤). ولكي يتحرَّر الجسد، الذي يتَّخذه الله، من الخطية التي سبَّبت الموت، كي يكون مؤهَّلاً للتكفير عن الخطاة؛ اقتضى أن يكون ميلاده بالتالي من عذراء بغير الزواج الطبيعي الذي فيه تُتوارث الخطية. والكتاب يُسجِّل هذا التدبير الإلهي بعد سقوط الإنسان مباشرة، في قول الله للحيَّة (إبليس): "**وهو** (أي نسل المرأة) **يسحق رأسك**" (تك ٣: ١٥). فهو هنا ينسب النسل لا للرجل (حسب التقليد) وإنما للمرأة. وتكشف النبوَّات عن عذراوية هذه "**المرأة**": "**ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل**" (إش ٧: ١٤؛ مت ١: ٢٣؛ لو ١: ٣١-٣٤).

بالطبع فإنَّ حدثاً مركزياً في تاريخ العلاقة بين الله والإنسان، مثل **التجسُّد الإلهي**، لابد أن تكون له انعكاساته العديدة على جوانب أخرى من حياة الإنسان والوجود، ولكن يظل الفداء والخلاص الهدف المباشر البارز بشهادة الكتاب بعهديه، وكتابات الآباء الأوائل، وقوانين الكنيسة الجامعة، برغم مَن يقبلون منه أموراً ويرفضون غيرها، أو مَن يقولون بحتمية التجسُّد ومجيء الابن إلى العالم حتى لو لم يُخطئ الإنسان!

رغم كل شئ، يبقى **التجسد** عصياً على الفهم، رغم التسليم به باعتبار قدرة الله الذي لا يعسر عليه أمر، وأن تنازل الله وتخليه لا يقلل من شأنه بل يظل أبداً كاملاً وكلياً ومطلقاً.

+ فلماذا لم يخلق الله الإنسان منذ البداية كاملاً حراً، بحيث لا ينحرف عن جادة الصواب فيسقط وتتشوه صورته ويسوده الموت ويعود إلى التراب، بما يكلف الله أن ينزل إليه، ويأخذ جسده، ويصير عبداً، وفي نهاية المطاف يصلبه بعض من جاء لخلاصهم كفارة عن خطاياهم؟!

فإن قيل أن الله خلق الإنسان حراً دون قيد على إرادته، وبالتالي فهو لم يكن مُجبراً على الخير أو الشر، وإنما كان يملك حق الاختيار بينهما[1]. ولكنه إذ إنحاز إلى العصيان فقد عوقب بالموت وطُرد إلى الأرض التي أُخذ منها (تك٣: ١٩، ٢٤).

+ ولقد يقال.. ألم يكن كافياً أن يتأسف الإنسان ويتوب عن خطيته وينتهي الأمر؟ بالطبع هذا ليس كافياً لتحقيق العدل الإلهي. فالتوبة رجوع عن الخطية والتأسف عنها، ولكنها لا تغير الطبيعة الشريرة للإنسان (تك٦: ٥، ٨: ٢١) ولا تستأصل فساده بغير رجعة.

فغفران الخطية يقتضي سفك الدم (عب٩: ٢٢). والله حكم بالموت على من يخطئ (تك ٢: ١٧) وعدله يقتضي نفاذ الحكم، ومحبته اقتضت أن تكون هناك كفارة وفدية تنقذ الإنسان من حكم الموت فتعيده إلى الحياة وترده إلى رتبته الأولى.

---

(١) "**انظر. قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير، والموت والشر.. أشهد عليكم اليوم السماء والأرض. قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك**" (تث ٣٠: ١٥، ١٩، ٢٠)؛ "**هكذا قال الرب. هأنذا أجعل أمامكم طريق الحياة وطريق الموت**" (إر ٢١: ٨).

+ إذا كان الأمر كذلك، فلماذا يتكفل الله بكل هذا العبء ولا يكلف به آخرين- وهو سيد الكل- ملائكة أو بشراً، أنبياءً أو أتقياءً؟

• **فالملائكة** ليسوا من طبيعة البشر المراد خلاصهم، كما أنهم ليسوا غير قابلين للسقوط، فإبليس وجنوده كانوا ملائكة لم يحفظوا رياستهم وسقطوا تحت الدينونة (يه ٦).

• وكل **البشر**، بمن فيهم **الأنبياء والأتقياء**، لا تخلو مسيرة حياتهم من الضعف والسقوط، فكيف يبّرر خاطئ خاطئاً مثله؟ وكيف يتصدى المحدود للتكفير عن تعدٍّ غير محدود (لأنه كان ضد الله غير المحدود)؟

إله واحد ووسيط واحد :

+ في المسيح إذاً توفرت كل المؤهلات اللازمة لفداء الإنسان وخلاصه من الموت، فهو **بلاهوته** كان الإله الحق المؤهل للمصالحة "**كل شئ به كان وبغيره لم يكن شيئ مما كان**" (يو ١: ٣)؛ "**لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع**" (١تي٢: ٥، ٦). كما أنه **بلاهوته غير محدود ولا يعرف خطية** (٢كو٥: ٢١). **وبناسوته "والكلمة صار جسداً"** (يو ١: ١٤) هو إنسان كسائر البشر، شاركهم جسدهم دون خطيتهم (بولادته من عذراء قدسها الروح القدس)، قابلاً للموت وقد حمل خطاياهم في جسده (١بط ٢: ٢٤) ومات لأجل الجميع بالجسد (٢كو ٥: ١٥)، فداس الموت بموته وقام ناقضاً أوجاعه (أع ٢: ٢٤) بعد ثلاثة أيام، وصنع خلاصاً هذا مقداره، ثم صعد بجسده إلى مجده الذي كان له قبل كون العالم، وكل من يؤمن به نال الحياة الأبدية.

المسيح هو **الشفيع الكامل** الذي ليس مثله شفيع، والذي "**ليس بأحد غيره الخلاص**" (أع ٤: ١٢)، والذي هو "**حي إلى أبد الآبدين**" (رؤ ١: ١٨) ليشفع فينا ويخلص إلى التمام (رو٨: ٣٤، عب ٧: ٢٥).

+ المسيح هو **المخلص والوسيط** الفريد الذي اجتمع فيه **المقدِّم** "**رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكي صادق**" (عب ٦: ٢٠، ٧: ٢٦، ٩: ١١)، **والمقدَّم عنهم** (باعتباره ابن البشر الذي يموت عنهم)، **والتقدمة** "**ليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً**" (عب٩: ١٢)؛ "**لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا**" (١كو ٥: ٧).

شابهنا في كل شئ :

وهنا يمكن أن يقال.. حسناً.. لماذا لا يظهر الله مباشرة إنساناً كاملاً في السن التي بدأ فيه الرب خدمته، ولماذا يبدأ جنيناً لتسعة أشهر في بطن عذراء، ثم يُولد طفلاً فصبياً، إلى أن يصير شاباً في الثلاثين لكي يبدأ خدمته العامة، وكرازته بالعهد الجديد، وتقديم نفسه نموذجاً للإنسان الجديد، ومخلصاً للعالم، وغالباً للموت بالصليب والموت والقيامة، ومؤسساً للكنيسة، ملكوته على الأرض وفي السماء، التي تضم جميع المؤمنين بغير تمييز؟

والإجابة أن المسيح وقد كان نائباً عن البشر في حمل آثامهم، وبذل نفسه كفارة لأجل خطاياهم، فلكمال التدبير كان لابد أن يشبه إخوته في كل شئ (عب٢: ١٧): أن يُحمل به مثلهم في أم من البشر، ويولد منها ولكن بلا خطية، وينمو مثلهم عابراً مراحل سنهم حتى يتهيأ لرسالته.

وفي هذا يقول الكتاب: "**فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم أشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت** (موته على الصليب) **ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية**" (عب٢: ١٤، ١٥). كما كان عليه لكمال أداء مهمته أن يكون إنساناً طبيعياً حقيقياً لا شبه إنسان، أي يمارس إنسانيته ويجوز فيما يجوز فيه الإنسان من الضعف والآلام. فهو مثله: جُرِّب

(مت ٤: ١، لو٤: ٢)، وتعب (يو ٤: ٦)، وعمل نجاراً (مر ٦: ٣)، وجاع (مت ٤:٢)، وعطش (يو١٩:٢٨)، واحتاج (مت٢١:٣)، وشارك أفراح الناس (يو٢:٢). وأحزانهم (لو٧:١٣)، وهو حزن (مت٢٦:٣٧)، وبكى (يو١١: ٣٥)، وتألم (لو٢٤: ٦)، وظُلم (إش ٥٣: ٧)، وأُهين (مت٢٧: ٣١)، وفي النهاية مات موت الصليب (مت٢٧: ٥٠).

ولكن شكراً لله أنه كان القدوس البار الذي بلا عيب ولا خطية. كان الإنسان الإله والحياة ذاتها (يو ١: ٤). ومن هنا لم يُمسك من الموت جسدياً إلا لأيام ثلاثة قام بعدها بلاهوته واهباً الحياة لكل من يؤمن به، وعاد إلى مجده عن يمين أبيه، ليظل شفيعاً وكفارة لخطايا كل العالم (١يو ٢: ٢) إلى أخر الدهور. وبقي موت الجسد وسيلة لأن يعود الإنسان إلى التراب الذي أُخذ منه ليقوم المؤمن في جسد لا يعتريه فساد ولا يخضع للموت الأبدي:

"**لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المُجربين**" (عب ٢: ١٨)؛

"**لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل مجرب في كل شئ مثلنا بلا خطية**" (عب ٤: ١٥)؛

"**فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذي يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم**" (عب ٧: ٢٥)؛

"**وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الله الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً**" (١يو ٢: ١، ٢).

وسيكون مجيئه الثاني لاكتمال التدبير الإلهي إعلاناً **للخلاص الأخير** أو **تمام الخلاص**، واحتفالاً بدخول الإنسان من جديد، كل من آمن بشخص المخلص، إلى الملكوت المُعد لنا منذ تأسيس العالم:

"هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه" (عب ٩:٢٨)؛

"فإن سيرتنا نحن هي في السماوات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (في ٣: ٢٠، ٢١)؛

"أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلن الزمان الأخير" (١بط ١: ٥)؛

"وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي" (عب٥: ٩).

محبة الله واتضاعه في تجسده :

محبة الله الفائقة واتضاعه البالغ هما من جوانب إعجاز تجسد الرب. فعندما يتنازل الله كلي المجد والقدرة والعظمة، ملك الملوك ورب الأرباب، خالق الكل وضابط الكل، بأي مقدار مهما تضاءل عن أيٍّ مما له، فهو الإتضاع الحقيقي الفائق الذي لا يمكن مجاراته، والذي لا يُقارَن به اتضاع الإنسان. لأن اتضاع الإنسان هو مجرد إقرار بنقصه وضعفه ومحدوديته في القدرة والمعرفة والقوة والإمكانات. فعندما يبلغ إخلاء الله وتنازله أن يصير إنساناً يشارك البشر ضعفهم ومحدوديتهم فهو ما لا يُسبر غوره وما نعجز نحن عن استيعابه.

+ ولكن الله لم يكتف بذلك. فكان ممكناً في إتضاعه أن يظهر إنساناً ملكاً أو رئيساً أو قائداً أو عظيماً، ولكنه ارتأى أن يشارك بتجسده أدنى الناس وأضعف الطبقات وأفقرها. وبهذا يعيد لكل الطبقات الضعيفة كرامتها الإنسانية المُفتقَدة والتي هي حق لكل البشر ويتساوى فيها الجميع، حتى ولو حجبها الظلم والتمييز عن بعض البشر بسبب اللون أو الجنس أو العرق أو العقيدة أو المستوى الاجتماعي أو غيره.

+ هكذا وُلد يسوع طفلاً رضيعاً لا من ملكة وإنما من قروية فقيرة من **الناصرة**، البلدة التي من فرط بساطتها لم يتوقع أحد أن يخرج منها شئ صالح (يو١: ٤٦)، ولا في أورشليم المدينة الكبرى، وإنما في **بيت لحم** الصغرى بين مدن يهوذا (مت ٢: ٦)، ولا في بيت مهما كانت بساطته وإنما في مذود البهائم، ويكون أول من يأتي إليه رعاة ساهرين على خرافهم وليس أكابر القوم ورؤساؤهم. هكذا سجل الكتاب عن المسيح يسوع "**الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خُلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت** (وليس أي موت بل)، **موت الصليب**" (في ٢: ٥-٨).

+ كما أظهر الله في تجسده مدى محبته القصوى للإنسان، حتى أنه لم ينزل إليه فقط، وإنما مات من أجله صانعاً فداءً لم يكن ممكناً أن يصنعه غيره "**ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه**" (يو١٥: ١٣)، وهو لم يهب نفسه لأبرار بل لخطاة أحبوا الظلمة أكثر من النور، وفي هذا يقول الكتاب "**فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت. ولكن الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا**" (رو٥: ٧، ٨).

+ وفي تنازله البالغ ومحبته الكاملة، أستطاع أن يؤدي مهمته، ويحقق خلاصاً هذا مقداره، ثم يعود إلى مجده الذي كان له قبل كون العالم "**لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب**" (في ٢: ٩-١١).

نِعَم التجسد المقترنة بالخلاص :

كان **للتجسُّد الإلهي**، باعتباره حدثاً كونياً، آثاره في مجالات كثيرة في حياة البشر، إلى جانب **الخلاص**. فباتحاد الله بجسد البشر صاروا "**شركاء الطبيعة الإلهية**" (٢بط ١: ٤)، وبهذه الشركة يكتمل خلاص الإنسان. وتأمُّلات الآباء في هذا الصدد أكثر من أن تُحصَر:

فيقول **القديس إيرينيئوس:** "إن الله في محبته غير المحدودة صار على ما نحن عليه لكي يجعلنا نحن على ما هو عليه". وكتب **القديس كليمندس الإسكندري**: (١٥٠-٢١٥) كلمة الله صار إنساناً حتى يصير الإنسان مؤلَّهاً فيه "(خطاب إلى الوثنيين). وكما تقول التسبحة: "**أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له**".

+ وإذا كان المسيح قد صار شبيهاً بنا، فنحن بخلاصه وتعييننا للتبنِّي فيه (أف ١: ٥) صرنا "**مشابهين صورة ابنه** (ابن الله) **ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين**" (رو ٨: ٢٩):

"أما **كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه**" (يو ١: ١٢)؛

"**انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعَى أولاد الله**" (١يو ٣: ١)؛

"لقد صار ابن الله إنساناً كي يصير الإنسان ابن الله" (**القديس إيرينيئوس**)؛

"ابن الله صار ابن البشر ليصير بنو البشر أبناء الله بالنعمة" (**القديس أثناسيوس**).

+ بالتجسُّد صار الله في وسطنا: "**وحلَّ بيننا ورأينا مجده**" (يو ١: ١٤)؛ "**ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم**" (أف ٣: ١٧)، وكل مَن يعتمد بالمسيح وله، يلبس المسيح ويحمل سماته (غل ٣: ٢٧)؛ وغاية الجهاد أن يتصوَّر المسيح فينا (غل ٤: ١٩)، والرب قبْل أن يأتي دُعِيَ اسمه "**عمانوئيل الذي تفسيره:**

الله معنا" (إش ٧: ١٤؛ مت ١: ٢٣). وهو قد أعطانا أن نتحد بـــه في شـــركة الجسد والدم: **"مَن يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فيَّ وأنا فيه"** (يو ٦: ٥٦).

+ وهو، وقد أخذ جسدنا ليكون جسده مُشاركاً إيَّانا في اللحـــم والـــدم (عب٢: ١٤)، قدَّس جسد الإنسان وأشركه معه في تجلِّي اليوم الأخير بقيامته في مجد وقوة (١كو ١٥: ٤٣): **"أما تعلمون أنكـــم هيكـــل الله وروح الله يسكن فيكم؟"** (١كو ٣: ١٦)؛ **"ولكن الجسد للرب.. والرب للجـــسد.. ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح... أم لـــستم تعلمـــون أن جسدكم هو هيكل للروح القـــدس... فمجِّـــدوا الله في أجـــسادكم وفي أرواحكم التي هي لله"** (١كو ٦: ١٣، ١٥،١٩،٢٠).

+ وهو، إذ وُجد على أرضنا وسار عليها، وأبحر في مياهها، وأكـــل مـــن ثمارها، وشرب من مائها، قدَّسها وكل ما فيها، فهي خليقته التي يرعاها منـــذ كانت، وجرَّدها من كل نجاسة كانت تُنسَب إليها: **"ليس ما يـــدخل الفـــم يُنجِّس الإنسان، بل ما يخرج من الفم هذا يُنجِّس الإنسان"** (مت ١٥: ١١؛ مر ٧: ١٥)؛

"كل الأشياء طاهرة... كل شيء طـــاهر للطـــاهرين" (رو ١٤: ٢٠؛ تي ١: ١٥).

+ وهو وقد شاركنا كل شيء (ما عدا الخطية) (عـــب ٤: ١٥) وتـــألَّم مجرَّباً، واختبر أوجاع البشر بما فيها الخيانة والظلم والإهانة والعار والعذاب حتى موت الصليب، قادر **"أن يُعين المجرَّبين"** (عب ٢: ٨)، صديقاً حنوناً لكل مَن يُعاني وليس له أحد (يو ٥: ٧).

+ وهو، إذ غسَّلنا من خطايانا بدمه (رؤ ١: ٥)، يبقى لنا شفيعاً عند الله الآب وكفَّارة لخطايانا وخطايا كل العالم إلى آخـــر الأيـــام (عـــب ٧: ٢٥؛ ١يو ٢: ٢)؛ **"إذاً لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح"** (رو ٨: ١).

الخلاص وناموس المسيح :

يبقى أنَّ مهمة المسيح الخلاصية قد صبغت كل تعاليمه، وأضْفَت نفسها على كل مبادئ إنجيله. فوصاياه بالحب لله والقريب والغريب والعدو، والتسامح للمُسيئين، والتوبة الدائمة تصحيحاً لمسيرة الإيمان، والتمثُّل به في الاتضاع ووداعة القلب، وتوجيه العبادة لله دون الناس، والسلوك بالحرية الحقيقية؛ هذه كلها لا يستطيعها ولا يتمتع بها إلاَّ مَن آمن ونال الخلاص، وتحوَّلت حياته نحو الله، ويَنعَم بسُكنى الروح القدس، ومعونة المخلِّص والشفيع.

كما صار الصليب والموت والقيامة عناصر أساسية فاعلة في حياة المؤمن. فأصبح **حمل الصليب** علامة تبعية كل مؤمن للرب (مت ١٠: ٣٨؛ ١٦: ٢٤؛ مر ٨: ٣٤؛ ١٠: ٢١؛ لو ١٤: ٢٧)، وأعظم الحب أن يضع الإنسان نفسه لأجل أحبائه (يو ١٥: ١٣)، "**والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف**" (يو ١٠: ١١). كما صارت غاية المؤمن أن يصلب ذاته ويموت عن الشهوات، ويقوم مع المسيح ليحيا الرب فيه ويتمجَّد عند ظهوره:

"**مع المسيح صُلبتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ**" (غل ٢: ٢٠)؛

"**فإن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق، حيث المسيح جالس عن يمين الله. لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله** (الآب). **متى أُظهِرَ المسيحُ حياتُنا، فحينئذ تُظهَرون أنتم أيضاً معه في المجد. فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، الطَّمع...**" (كو ٣: ١-٥).

فالصليب والموت والقيامة هم في صميم عمل المسيح، كما هم في صميم حياة المُخلَّصين، وبغير الصليب والموت والقيامة لم يكن للإنسان غير الموت الأبدي.

شهادة العهد القديم

يسوع المسيح هو محور العهدَيْن القديم والجديد. هو مستتر في العهد القديم وراء الأحداث والأشخاص والرموز والنبوَّات، وهو مُستعلَن في **العهد الجديد كمخلِّص العالم** ومُحقِّقاً كل ما أشار إليه **العهد القديم** عنه[1].

والرب حثَّ اليهود أن **يفتِّشوا الكتب** (أي الناموس والأنبياء) لأنها تشهد له (يو ٥: ٣٩)، وأنَّ موسى كتب عنه (يو ٥: ٤٦). كما استخدم في حواراته نصوصاً من **العهد القديم**. وفي التجربة على الجبل أفحم الشيطان بما هو مكتوب في سفر التثنية. فالعهد القديم يُشير إلى **إرسالية الابن للخلاص**، وإعلان عهد جديد بين الله والإنسان، وإعادة الإنسان من جديد إلى طريق الحياة الأبدية.

---

(١) في صلوات البصخة تتابع الكنيسة كل يوم في خمس ساعات ليلية وخمس نهارية، بكل تدقيق، أحداث حياة المسيح الأخيرة حتى الصليب والموت بقراءات من العهدين، ولكل ساعة نبوَّاتها، ويسبق كلَّ إنجيل مزمور يتعلَّق به. والمتابع الحريص لصلوات هذا الأسبوع، سيجد أمامه كل شهادة العهد القديم عن قصة الخلاص الذي تحقَّق بتجسُّد الرب وموته وقيامته.

+ وفي بداية خدمته، دخل الرب مجمع الناصرة يوم السبت كعادته، ودُفِعَ إليه سفر إشعياء، ففتحه وقرأ فيه: "**روح الرب عليَّ، لأنه مسحني لأُبشِّر المساكين. أرسلني لأشفي المنكسري القلوب. لأُنادي للمأسورين بالإطلاق، والعُمي بالبصر. وأرسل المنسحقين في الحرية. وأكرز بسنة الرب المقبولة**"، ثم طوى السفر وجلس وابتدأ يقول: "**اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم**". ففي مجيء الرب تحقيق عهد الله للبشر (إش ٦١: ١،٢؛ لو ٤: ١٨-٢١).

+ وعند مجيء يهوذا إلى البستان ومعه الجنود للقبض على يسوع، قال الرب: "**وأما هذا كله فقد كان لكي تُكَمَّل كتب الأنبياء**" (مت ٢٦: ٥٦).

+ وفي لقاء الرب مساء يوم قيامته مع تلميذَي عمواس المتحيِّرَيْن، وبَّخهما على بُطء فهمهما لمَا شهد به الأنبياء عن آلامه وخلاصه قائلاً: "**أَمَا كان ينبغي أن المسيح يتألَّم بهذا ويدخل إلى مجده... ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يُفسِّر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب**" (لو ٢٤: ٢٥-٢٧).

+ والرب استدعى لليهود من الماضي مشهد **الحيَّة النحاسية** التي أقامها **موسى** بأمر الرب بعد أن لدغت الحيَّات الكثيرين عقاباً، فكل مَن نظر إليها كان يحيا (عد ٢١: ٨،٩)، وكشف عن علاقتها بمهمته الخلاصية قائلاً: "**وكما رفع موسى الحيَّة في البرية هكذا ينبغي أن يُرفَع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو ٣: ١٤،١٥). وهو كثيراً ما استخدم تعبير الارتفاع عن الأرض إشارة إلى موته مُعلَّقاً على الصليب: "**وأنا إنْ ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليَّ الجميع**" (يو ١٢: ٣٢،٣٣).

+ وبالمثل فقد ذَكَرَ الرب ما جرى **ليونان النبي** من ابتلاع **الحوت** له إشارة وشهادة مُسبقة على ما سوف يجتازه هو موتاً وقيامة: "**لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، هكذا يكون ابن الإنسان في**

قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال". ويُضيف أنه إذا كان أهل نينوى قد تابوا بمناداة يونان، فالرب أعظم منه لأنه يُخلِّص كل البشر إلى آخر الأيام بذبيحة نفسه (مت ١٢: ٣٨-٤١).

+ **والقديس متى**، وهو يكتب بشارته، حرص على أن يُقرن أحداث حياة المخلِّص بنبوَّات العهد القديم التي تشهد بالعلاقة المتبادلة بين العهدَيْن، فتحقيق النبوءة يشهد لصدقها كما يشهد لصدق الحدث.

فيورد **البشير متى** نبوَّات عن الميلاد من عذراء (إش ٧: ١٤؛ مت١: ٢٣)، وعن الميلاد في بيت لحم (مي ٥: ٢؛ مت ٢: ٦؛ يو ٧: ٤٢)، وعن هروب العائلة المقدسة إلى مصر وعودتها (هو ١١: ١؛ مت ٢: ١٥)، وعن مقتل أطفال بيت لحم (إر ٣١: ١٥؛ مت ٢: ١٨)، وعن انتقال الرب من الناصرة إلى كفرناحوم (إش ٩: ١،٢؛ ٤٢: ٧؛ مت ٤: ١٥،١٦)، وعن شفائه للمرضى (إش ٥٣: ٤؛ مت ٨: ١٧)، وعن شهادته بالحق ووداعته (إش ٤٢: ١-٤؛ مت ١٢: ١٨-٢١)، وعن غلاظة قلب بعض سامعيه (إش ٦: ٩،١٠؛ مت ١٣: ١٤،١٥) وعبادتهم الشكلية (إش ٢٩: ١٣؛ حز ٣٣: ٣١؛ مت ١٥: ٨،٩)، وعن دخوله الأخير إلى أورشليم راكباً أتاناً (زك ٩: ٩؛ مت ٢١)، وعن هتاف الأولاد له (مز ٨: ٢؛ مت ٢١: ١٦)، وعمَّا قاله عند طرد الباعة من الهيكل (إش ٥٦: ٧؛ مت ٢١: ١٣؛ مر ١١: ١٧؛ لو ١٩: ٤٦)، وعن كونه حجر الزاوية رغم رفض اليهود له (مز ١١٨: ٢٢؛ مت ٢١: ٤٢؛ مر ١٢: ١٠،١١؛ لو ٢٠: ١٧،١٨؛ أع ٤: ١١؛ ١بط ٢: ٧)، وعن جلده والبصق عليه (إش ٥٠: ٦؛ مت ٢٦: ٦٧؛ ٢٧: ٢٦-٣٠)، وعن طاعته واستسلامه للصليب فلم يفتح فاه (إش ٥٣: ٧-٩؛ مت ٢٧: ١٢،١٤)، واقتسام ثيابه عند الصليب (مز ٢٢: ١٧،١٨؛ مت ٢٧: ٣٥؛ يو ١٩: ٢٣،٢٤)، وعن بيعه بثلاثين من

الفضة وشراء حقل الفخاري بها ليكون مقبرة للغرباء بعد أن طرحها يهوذا في الهيكل ومضى وخنق نفسه (زك ١١: ١٢؛ مت ٢٧: ٩،١٠)، وعن دفن الرب في قبر جديد (إش ٥٣: ٩؛ مت ٢٧: ٥٧-٦٠؛ مر ١٥: ٤٣-٤٦؛ لو ٢٣: ٥٠-٥٣).

+ كما تحفل البشائر الثلاث الأخرى وسفر الأعمال والرسائل بنبوَّات العهد القديم التي تشير إلى أحداث بعينها في مسيرة الخلاص، فضلاً عن نبوَّات أخرى تحقَّقت وإن لم تَرد في العهد الجديد، نذكر هنا بعضها: ثقب يديه ورجليه في الصليب (مز ٢٢: ١٦،١٧)، صلبه مع لصين (إش ٥٣: ١٢؛ مر ١٥: ٢٧؛ لو ٢٣: ٣٤)، عطش الرب على الصليب وتقديم الخل له (مز ٦٩: ٢١؛ يو ١٩: ٢٨-٣٠)، صرخته في الترع الأخير (مز ٢٢: ١؛ مت ٢٧: ٤٦)، وما فاه به الرب عند تسليمه الروح (مز ٣١: ٥؛ لو ٢٣: ٤٦)، وطعنه بالحربة (مز ٣٤: ٥؛ زك ١٢: ١٠؛ يو ١٩: ٣٢-٣٧)، ونصرة القيامة وتحقيق الفداء (مز ١٦: ١٠،١١؛ إش ٥٣: ١٠،١١؛ يو ٢٠: ٩)، وعن صعوده (مز ٦٨: ١٨؛ أف ٤: ٨).

+ ولا يمكن حصر كل الرموز، أحداثاً (خروف الفصح، الحيَّة النحاسية، الصخرة، على سبيل المثال)، وأشخاصاً (آدم، هابيل، إسحق، موسى، يونان، على سبيل المثال)، أو كل نبوَّات العهد القديم التي تشير إلى أحداث تجسُّد الرب وخلاصه كما سجَّلها العهد الجديد، وإن كان يبرز من بينها ما جاء في المزامير (مز ٢٢، على سبيل المثال) وسفر إشعياء (إش ٥٣،٥٥،٦١،٦٣، على سبيل المثال)، وكتب الأنبياء الصغار (هوشع ويوئيل وميخا وزكريا، على سبيل المثال).

شهادة العهد الجديد

تشهد آيات **العهد الجديد** بوضوح عن ارتباط التجسُّد بالخلاص كالهدف المباشر في المقام الأول ومنذ اللحظة الأولى:

+ فالملاك وهو يُطمئن يوسف من جهة طهارة العذراء وبأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس، يقول: "**فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع، لأنه يُخلِّص شعبه من خطاياهم**" (مت ١: ٢٠،٢١)، فحتى اسمه المختار له في التدبير يُشير إلى مهمته الخلاصية.

+ وعندما تمَّ الميلاد، ظهر ملاك الرب للرعاة الساهرين يُبشِّرهم بفرح عظيم بمجيء المخلِّص، قائلاً: "**إنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مُخلِّص هو المسيح الرب**" (لو ٢: ٩-١١).

+ وهدايا المجوس للطفل الإلهي تنطق بهويته ورسالته :**فالذهب** يُشير إلى رفعة مقامه وأنه "**ملك الملوك**" (١تي ٦: ١٥؛ رؤ ١٧: ١٤؛ ١٩: ١٦)، **والمر** يكشف عن كأس الآلام التي سيتجرَّعها لفداء البشر (إش ٥٠: ٦؛ ٥٣: ٥،٧)، **واللبان** يُنبئ عن مهمته الكبرى كـ "**كاهن عظيم على بيت الله**" يدخل مرة واحدة إلى الأقداس "**ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه**"، فيجد "**فداءً أبدياً**" (عب ٩: ١٣،٢٦؛ ١٠: ٢١)، وهو يظل كاهناً إلى الأبد بكهنوت لا يزول" "**فمن ثَمَّ يقدر أن يُخلِّص إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم**" (مز ١١٠: ٤؛ عب ٧: ٢١،٢٤،٢٥).

+ والمعمدان، المولود بوعد إلهي لشيخين، كملاك يُهيِّئ الطريق أمام الرب (ملا ٣: ١؛ مر ١: ٢)، يُنادي وهو يُقدِّمه إلى العالم: "**هوذا حَمَل الله الذي يرفع خطية العالم**" (يو ١: ٢٩)، فهي مهمته الأولى أن يحمل خطية العالم في جسده ويرفعها عن كاهل الخطاة.

+ والرب يكشف لنيقوديموس عن مدى محبة الله للعالم "**حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يُرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلُص به العالم**" (يو ٣: ١٦،١٧). ويقول أيضاً: "**لأني لم آتِ لأدين العالم بل لأُخلِّص العالم**" (يو ١٢: ٤٧).

+ ويوم خلاص زكَّا وبيته، يُعلن الرب أنَّ "**ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويُخلِّص ما قد هلك**" (لو ١٩: ١٠).

+ وبعد معجزة إشباع الجموع بالخبز، نقل فكرهم إلى شخصه باعتباره "**خبز الحياة**" الذي نزل من السماء، ثم يُضيف موضِّحاً: "**والخبز الذي أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم**" (يو ٦: ٤٨-٥١) (وهو ما قاله لتلاميذه وهو يرسم سر الشكر - لو ٢٢: ١٩).

+ ولا يفتأ الرب يؤكِّد في كل مناسبة تُتاح له أنه جاء ليبذل نفسه خلاصاً للخطاة، وهو القصد من تجسُّده: "... أن ابن الإنسان (أيضاً) لم يأت ليُخدَم بل ليَخدم، **وليبذل نفسه فدية عن كثيرين**" (مت ٢٠: ٢٨؛ مر ١٠: ٤٥)، "أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح **يبذل نفسه** عن الخراف" (يو ١٠: ١١).

+ والرب يُصرِّح لتلاميذه في وقت مُبكِّر، أكثر من مرة، أنه سوف يتألم كثيراً ويُقتل ولكنه يقوم، وفي آخر الأيام سيأتي للدينونة (مت ١٦: ٢١،٢٧؛ ١٧: ٢٢،٢٣؛ ٢٠: ١٨،١٩؛ مر ١٨: ٣١-٣٣؛ ٩: ١٢؛ ١٠: ٣٣،٣٤؛ لو ٩: ٢٢؛ ١٨: ٣١-٣٣).

+ بل إنه يُشير إلى موعد موته بالضبط كأمر واقع وحتمي (حين يأتي الوقت لتحقيق ما أشار إليه الفصح القديم): "**تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، وابن الإنسان** (الفصح الجديد الكامل) **يُسلَّم ليُصلَب**" (مت ٢٦: ٢).

+ والرب يجعل من ارتفاعه على الصليب وموته، الذي يراه واقعاً قبل أن يتمَّ، الشهادة أنه المسيَّا الموعود به لخلاص العالم، فلم يكن أبداً حدثاً عارضاً أو طارئاً: "**متى رفعتم ابن الإنسان حينئذ تفهمون إني أنا هو**" (يو ٨: ٢٨).

+ وفي عشاء بيت عنيا ابتهاجاً بإقامة لعازر، وقد أتت مريم أخت لعازر ودهنت قدمَي الرب بالطِّيب، لم يشغله الحفل عمَّا سيأتي عليه بعد أيام. وردّاً على احتجاج يهوذا على إهدار الطِّيب الثمين الذي كان يمكن بيعه لخدمة الفقراء، قال الرب: "**اتركوها، إنها ليوم تكفيني قد حفظته**" (مت ٢٥: ١٢؛ مر ١٤: ٨؛ يو ١٢: ٧). فهو يرى نفسه في الأكفان قبل أن يموت.

+ وفي كل هذا كان الرب مع الآلام الآتية والصليب والموت القادمين على أنها تحقيق الخطة الأزلية للخلاص: "**الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها**" (١يو١٨: ١١)، ويراها لا كمحنة يتجرَّعها مُرغماً، وإنما تتويجاً لإرساليته وتمجيداً لابن الإنسان ومشيئة الآب: "**قد أتت الساعة ليتمجَّد ابن الإنسان. الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتَمُت فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير**" (يو ١٢: ٢٣،٢٤).

بل إنه لما خرج يهوذا ليلاً ليلتقي بمَن اتفق معهم لتسليم الرب، قال الرب: "**الآن تمجَّد ابن الإنسان، وتمجَّد الله** (الآب) **فيه**" (يو ١٣: ٣١).

+ ولأن خلاص الناس كان هو الغاية الكبرى من تجسُّد الرب وظهوره إلى العالم، فقد استبقى آثار **الصليب** في جسده، وسمح لتوما أن يضع إصبعه في جراح الصليب (يو ٢٠: ٢٧). بل قد صار **الصليب** علامته التي ستُعلن ظهوره في اليوم الأخير (مت ٢٤: ٣٠). وفي رؤيا القديس يوحنا ظهر الرب في وسط العرش "**كخروف قائم كأنه مذبوح**" (رؤ ٥: ٦)، أي يحمل في جسده آثار الصليب والدم النازف.

+ **والقديس بولس** يشهد مبتهجاً كيف أنه كسائر الخطاة نال الخلاص بمجيء المسيح مثالاً لكل مَن يؤمن به فيقول: "**صادقة هي الكلمة ومُستحقَّة كل قُبُول أنَّ المسيح يسوع جاء إلى العالم ليُخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا. لكنني لهذا رُحمتُ ليُظهر يسوع المسيح فيَّ أنا أولاً كل أناة مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية**" (١تي ١: ١٥،١٦).

+ ويكتب **القديس يوحنا** في رسالته الأولى: "**ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبَّنا، وأرسل ابنه كفَّارة لخطايانا**" (١يو ٤: ١٠)، وهو يكاد يُعيد ما قاله الرب (يو ٣: ١٦).

شهادة المجامع والطقوس والآباء

أقرَّ مجمع نيقية المسكوني (٣٢٥م) بحضور ٣١٨ أسقفا من الشرق والغرب"**قانون الإيمان** The Creed"، الذي يُعلن ضمن فقراته بوضوح أنَّ خلاص الإنسان وتحقيق الفداء بالصليب والقيامة هو الهدف الرئيسى للتجسُّد، وهو ما تحرص الكنيسة على تلاوته في صلوات السواعى (الأجبية)، والقداس الإلهى، وصلوات سائر الأسرار. وتعكس السطور التالية عقيدة الكنيسة في المسيح ابن الله:

"نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور. نور من نور. إلهٌ حقٌّ من إله حقٍّ. مولود غير مخلوق. مساو للآب في الجوهر. الذي به كان كل شيء .**هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسَّد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنَّس** (صار إنساناً)، **وصُلِبَ عنا على عهد بيلاطس البنطي. تألَّم وقُبِرَ وقام**

من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين أبيه. وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات. الذي ليس لمُلْكه انقضاء".

كما تتضمن "**مقدمة قانون الإيمان**" التي أقرَّها مجمع أفسس (٤٣١م) التأكيد على مجيء الرب للخلاص: "نُعظِّمك يا أُم النور الحقيقى ونُمجِّدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله، **لأنك ولدت لنا مخلِّص العالم. أتى وخلَّص نفوسنا**".

+ علاقة التجسُّد بالخلاص تتضمنها الكثير من صلوات القداس وألحانه، والفقرة: "**لأنك أتيتَ وخلَّصتنا** ⲭⲉ ⲁⲕⲓ ⲁⲕⲥⲱⲧ ⲙ̀ⲙⲟⲛ" تتكرر كثيراً خلال القداس: فهى تختم لحن "**يا ملك السلام** Ⲡⲟⲩⲣⲟ ⲛ̀ⲧⲉ ⲧⲉⲓⲣⲏⲛⲏ "، و"**الهيتينيات**"، و " **السلام لمريم** Ⲭⲉⲣⲉ ⲙⲁⲣⲓⲁ ".

وفي لحن " **الجمرة الذهب** Ⲧⲙⲟⲩⲣⲡ ⲛ̀ⲛⲟⲩⲃ " "ولدته وخلَّصنا". وفي لحن "**السلام لمريم** Ⲭⲉⲣⲉ ⲙⲁⲣⲓⲁ" : "**ابن الله بالحقيقة تجسَّد من العذراء، ولدته وخلَّصنا، وغفر لنا خطايانا**":

Ⲡⲱⲛⲣⲓ ⲙ̀ⲫⲧ ϩⲉⲛ ⲟⲩⲙⲉⲑⲙⲏⲓ: ⲁⲩⲃⲓⲥⲁⲣⲝ ϩⲉⲛ ⲧⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ : ⲁⲥⲙⲓⲥⲓ ⲙⲙⲟⲩ ⲁ̀ⲩⲥⲱⲧ ⲙ̀ⲙⲟⲛ: ⲁⲩⲭⲁ ⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓ ⲛⲁⲛ ⲉ̀ⲃⲟⲗ .

+ وبارتباط تجسُّد ابن الله بالخلاص، فقد أصبحت صورة **المسيح مصلوباً** هى "صورته الرسمية" التي تتصدَّر حامل الأيقونات أمام هيكل الكنيسة، ولقبه الرسمى هو**المخلِّص**": "**ربنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح**" (١تي ١: ١؛ تي ١: ٤؛ ٢: ١٣؛ ٣: ٦؛ ٢بط ١: ١١؛ ١يو ٤: ١٤).

وقد التحم "المخلِّص" بصليبه وكأنهما صارا واحداً حتى أن القديس بولس ينسب الدم الإلهى مباشرة إلى الصليب، فيقول عن الرب: "**عاملاً الصُّلح بدم صليبه**" (كو ١: ٢٠).

شهادة الآباء الرسوليين:

رؤية الآباء الأوائل تُعلن بغير مواربة عن الارتباط المباشر للتجسُّد بالخلاص، وأنه لولا سقوط الإنسان وحاجته إلى مَن يُخلِّصه لما جاء المسيح. فالتجسُّد قرين الفداء، وهو حدث كوني فريد لم يكن ليتمَّ إلاَّ من أجل هدف مكافئ:

القديس إيرينيئوس أسقف ليون (١٣٥/١٤٠-٢٠٣): "لو كان الجسد في غير حاجة إلى الخلاص لما صار الكلمة جسداً... و لما أخذ الكلمة جسداً" (ضد الهراطقة)؛

العلاَّمة ترتُليان أسقف قرطاج (١٥٥/١٦٠-٢٢٥) "خلاص الإنسان هو الذي دفع ابن الله أن يصير إنساناً. لقد سقط الإنسان فكان على المسيح أن يرفعه"؛

القديس أثناسيوس البابا العشرون (٢٩٥-٣٧٣): "قبل أن يصير الكلمة إنساناً كان واجباً أن تكون هناك ضرورة بالنسبة للبشر، ولولا هذه الضرورة لما أخذ الكلمة جسداً" (ضد الآريوسيين)؛

القديس غريغوريوس النزينزي (٣٢٨/٣٢٩-٣٩٠): "ما هو سبب تجسُّد ابن الله؟ خلاصنا"؛

القديس أمبروسيوس أسقف ميلان (٣٤٠- ٣٩٠): "ما هو سبب التجسُّد؟ هو أن الجسد الذي أخطأ كان لابد أن يخلص بالجسد" (في التجسُّد)؛

القديس أُغسطينوس أسقف هيبو (٣٥٤-٤٣٠): "لولا هلاك الإنسان لما جاء ابن الإنسان" (عظة ١٤٧)؛

القديس كيرلس الكبير (الإسكندري، عمود الدين) البابا الرابع والعشرون (٣٧٧/٣٨٠- ٤٤٤): "لو لم نُخطئ لما صار الكلمة شبيهاً بنا" (الثالوث).

الآراء المضادة

نادى بعض فلاسفة ولاهوتيي القرون الوسطى [آخرهم وأشهرهم **جـــون دون سكوت** John Duns Scotus السكوتلاندي (١٢٦٦-١٣٠٨)] - بغير اعتداد بكلمات الكتاب الصريحة عن العلاقة الحتمية بين خطية الإنسان وتجسُّد ابن الله وصلبه وموته وقيامته، فضلاً عن قوانين الكنيسة وأقوال الآباء المستندة إلى كلمة الله - أنَّ الله كان لابد أن يتجسَّد ويأتي إلى العالم حتى لو لم يُخطئ آدم وتفسد طبيعة الإنسان، وذلك لكي يُظهر الله جُوده ومحبته للإنسان، ساعياً إلى تتويج الخليقة وإسعادها في المقام الأول، واعتبروا تجديد البشرية وفـــداءها هدفاً في المرتبة التالية. واستند "**سكوت**" فيما نادى به إلى أن التجسُّد أكمـــل من الفداء بالنسبة للنتائج، فكيف يخضع الأكمل للأقل كمالاً. كما أنه يرى أن الخطية عارضة، فكيف يكون التجسُّد في التدبير الإلهي حدثاً عارضاً (بالتبعية) لعلاج ما هو وليد صدفة؟!

وقد رفض كبار اللاهوتيين الغربيين، ومنهم **القديس توما الأكويني** St. Thomas Aquinas (١٢٢٥- ١٢٧٤)، هذه الرؤية للتجسد، أساساً لافتقارها إلى السند الكتابي، بينما يقرن الكتاب مجيء المسيح بصورة مباشرة بالخلاص، خاصة وأن واقع الحال أن الإنسان قد أخطأ وساد عليه الموت بالفعل، وحاجته إلى الخلاص هي الأوْلى والأكثر إلحاحاً.

والقول بأن **التجسد** أكمل من **الفداء** مردود عليه بأنه في أعمال الله لا يوجد بينها ما هو أفضل من آخر أو أجلّ شأناً، فكل أعمال الله عظيمة وكاملة ومتكاملة لأنها تنتسب إلى من هو **"أعظم من الكل"** (يو ١٠: ٢٩).

كما أن الادِّعاء بأن الله كان سيأتي "حتى لو لم يُخطئ آدم" يبدو نظرياً تماماً. ذلك أن آدم أخطأ وجاز عليه حُكْم الموت الذي امتدَّ إلى كل البشر. والرب تجسَّد وجاء إلى العالم وصنع فداءً أبدياً بالدم والموت والقيامة. فالكلام بعد ذلك عن ماذا يكون الحال لو لم يُخطئ الإنسان هو مجرد شطحات فكرية ذاتية لا جدوى منها، وفلسفة مادية مستقلة عن الإنجيل[١].

ويمكن القول إنَّ أهداف التجسُّد التي نادى بها مَن يقبلون بحتمية التجسُّد ومجيء الرب ولو بغير الخلاص، هي مُحقَّقة في سياق مجيء الرب للخلاص. فالرب ببذله نفسه قدَّم الإعلان الأعظم عن محبة الله وجُوده وإحسانه واتضاعه وقبوله للخطاة والغفران للمُسيئين وتحنُّنه على مَن أذلَّهم الفقر والمرض، وتكميله للناموس في وصايا إنجيل العهد الجديد.

---

(١) للعالم **سكوت** كتابات فلسفية أخرى تشي بانحراف فكره عن الحق الإلهي. وهو يبحث بحرية وتجاسُر في أمور الله بغير التزام بالإطار الكتابي.

" لأن كلمة الله حية وفعالة، وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته"

(عب ٤: ١٢)

قضية تحريف الكتاب وإنكار المسيح

+ عن تحريف العهد القديم
+ ضد المسيح
+ الذين ينكرون الإيمان

عن تحريف العهد القديم

يدلل البعض على أن **الكتاب المقدس** (خاصة **العهد القديم**) قد تعرض للتغيير والتحريف، بأن أسفاره تتضمن مواقف مشينة لكثير من الآباء والأنبياء بدءاً من **نوح** (السُكْر- تك٩:٢١)، و**لوط** (السكر ومضاجعة ابنتيه له - تك ١٩:٣٢-٣٦)، و**إبراهيم** (الكذب- تك ١٢:١٣)، و**يعقوب** (خداع أبيه أسحق لينال البكورية- تك ٢٧:١٩-٢٩)، و**داود** (الزنا وتدبيره قتل أوريا في الحرب - ٢صم ١١:٢-١٥)، و**سليمان** (زواجه بالوثنيات واتباعه آلهتهن- ١مل ١١:١-١٠)، وغيرهم. وهم يرون أن هذا كله دخيل على الكتاب المقدس (الأصلي) وأنه يشوّه حياة رجال الله الذين يُفترض أن يقدمهم الله كنماذج للهداية جديرة بالإتّباع، وأنه إذا كانوا على هذه الدرجة من الانحراف، فماذا يكون عليه البشر العاديون إذاً؟!

وللرد على هذه الإدعاءات نقول أن ذِكْر هذه السقطات، لمن يُعتبرون خاصّةَ الله، يكشف :

(١) عن **صدق كلمة الله** لا عن تحريفها، فلو كان هناك تدخّل شخصي من الكاتب لَحَذف هذه النقائص لتبقى صورة رجال الله بغير شائبة. ولكن الله حذّر من تحريف كلمته أو الإضافة إليها أو الحذف منها (رؤ ٢٢:١٨، ١٩).

(٢) عن أن جميع البشر، بمن فيهم المتقدمون، هم كلهم تحت الآلام وليسوا معصومين من الخطأ وأن **"الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد"** (مز١٤: ٣، ٥٣: ٣، رو٣:١٢). وإذا كان الكبار يخطئون ويتوبون، فهذا يعطي رجاءً لكل الخطاة مهما كانت خطاياهم كي لا يسقطوا في اليأس بل يرجعوا ويتوبوا هم أيضاً.

(٣) لو كان الإنسان قادراً بمفرده على حياة القداسة والعصمة من الخطية، لما كانت هناك حاجة أن يبذل الله ابنه من أجل خلاص البشر، والإنعام علي من يؤمن بالحياة الجديدة، بالولادة من الروح القدس، والحياة الأبدية في المجيء الثاني.

(٤) في عهد النعمة، يظل المؤمن غير معصوم من الخطية، ولكن غفران خطيته ومحوها مكفول بعمل دم المسيح إذا تاب الخاطئ عن خطيته أي رجع عنها إلى الله.

(٥) نلاحظ أن الآباء الذين ذُكر أنهم أخطأوا في العهد القديم، ذُكر عنهم أيضاً أنهم إما تابوا عن خطيتهم فغفر الله لهم، وإما أنهم، بعد تعثرهم بسبب الضعف، اعتدلت مسيرتهم وتعلموا الدرس أن يلقوا رجاءهم على النعمة، كما تعرّض بعضهم للعقاب والتأديب من أجل تنويههم [فالله عاقب **داود** أن لا يفارق السيف بيته إلى الأبد، وأن يموت ابنه من بتشبع (٢صم١٢:١٠، ١٤). و**داود** أعلن توبته والرب قبلها (٢صم ١٢:١٣)، كما حكم الله على **سليمان** بتمزيق مملكته بعد موته (١مل ١١:١١-١٣)].

كما أن من ذُكرت ضعفاتهم في العهد الجديد (مثل إنكار **بطرس** للرب ساعة آلامه، وعدم تصديق **توما** لقيامة الرب إلا بعد لمسه) قد عادوا إلى إيمانهم، أو آمنوا بعد رفضهم، وصاروا أعمدة للكنيسة، وقدموا حياتهم على مذبح الاستشهاد.

(٦) الصعوبة التي نلاقيها في التسليم بوجهة نظر بعض غير المسيحيين من تعرّض الكتاب للتغيير والتحريف، هو أنها وجهة نظر مُرسلة لا تستند إلى برهان حقيقي[١]. فهم لا يقدمون مثلاً نسخة واحدة مما يرونه الكتاب الأصلي الذي لم تَرِد فيه هذه النقائص لرجال الله (بينما تحوي المتاحف عشرات النسخ القديمة المطابقة لما في أيدينا)[٢].

فهي مجرد آراء جدلية لا أساس لها ولا تصمد للتقييم. وبدون الدليل الماضي (الذي لن يوجد بالطبع) يظل ما يدّعونه وهماً بلا قيمة.

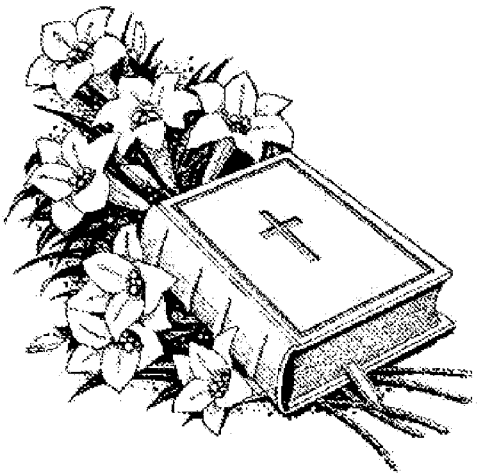

(١) راجع صفحتي ٧٧ ، ٧٨ من هذا الفصل.
(٢) انظر الحاشيتين (٥)، (٦) ص ٧٦ من هذا الفصل.

ضد المسيح

تبع **ثورة الاتصالات** فى العقود الأخيرة، **ثورة المعلومات**، وصارت المعرفة عند أطراف أصابع الملايين. وقنوات التليفزيون وشبكات الانترنت صارت تعرض كل شئ من الثقافة والإعلام والإعلان، والفنون والعلوم والآداب والتاريخ والفلسفة، والسياسة والاقتصاد، والسياحة والرياضة، والدين، إلى الإثارة الفجة للشهوات وألوان التطرف المختلفة وغيرها. وأتاحت حرية البث والاتصال على مستوى المؤسسات والأفراد أن تتحول شاشات التليفزيون والكمبيوتر إلى ساحات لعرض الأفكار والأفكار المضادة. وصار المؤمن المعاصر مطالَباً بالتأهب والاستعداد والتسلح الفكرى للدفاع عن حريته وإيمانه، وتبشير العالم المقاوم بخلاص المسيح.

فإبليس يحارب معركته الأخيرة، وجهاده لتشكيك المسيحيين فى إيمانهم "**كى يضل لو أمكن المختارين أيضاً**" (مر١٣: ٢٢) لا يتوقف. وهذا يفرض

علينا أن نجرّب ونمتحن أنفسنا **هل نحن فى الإيمان؟** (٢كو١٣: ٥) سلوكاً ومعرفة، من ناحية، لأن تتميم خلاصنا يتطلب دوام أمانتنا "**إلى المنتهى**" (مت١٠: ٢٢، ٢٤: ١٣، مر١٣:١٣)، ولأننا مطالبون، من ناحية أخرى، بالكرازة للآخرين، وسيصير جهل البعض بكلمة الله كارثة تودي بهم، عندما يجدون أنفسهم عاجزين عن مجاوبة من يسألهم، أو الدفاع عن الحق الذى فيهم إزاء مَنْ يهاجمهم، وهكذا يصيرون عثرة للكنيسة وسنداً خادعاً لأعداء الإيمان.

العالم يشوه صورة المسيح :

نقول هذا الكلام لأن ثورة الاتصالات جعلت الطعن في إيماننا يمتد إلى عقر دورنا بما لا يمكن تجاهله. وبعد أن كان الهجوم على المسيح فى كتب رخيصة لا يلتفت إليها أحد، صار الآن على الشاشات الكبيرة والصغيرة، وبعض القائمين به مثقفون غربيون هم أدوات فى يد الشيطان **وأضداد للمسيح** يسبقون "**ضد المسيح**" الذى سيظهر فى آخر الأيام[1]، وسهامهم تُوجّه إلى وجود الله وصدق الكتاب وإلى لاهوت المسيح وحقيقة الخلاص، والهدف هو إزالة التحدى أمام الخطاة كى ينعموا بخطيتهم، فلا إله ولا خلاص ولا دينونة ولا حياة بعد الموت.

هم فى الحقيقة يُسقطون نوع حياتهم الغارقة فى الشهوات فيما يكتبون أو يعرضون، فيرون المسيح بعين واقع حياتهم وحياة أقرانهم بما يريحهم، ويشوهون

---

(١) "كما سمعتم أن **ضد المسيح** يأتي، قد صار الآن **أضداد للمسيح** كثيرون. من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة... بهذا تعرفون روح الله: كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله. وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله. وهذا هو روح **ضد المسيح** الذي سمعتم أنه يأتي، والآن هو في العالم" (١يو ٢:١٨، ٤:٢، ٣)؛

"لأنه قد دخل إلى العالم **مضلون كثيرون**، لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً في الجسد. هذا هو **المضل والضد للمسيح**" (٢يو ٧).

صورته ويجردونه من هالة قداسته ليكون الكل سواء لتصير طهارة المسيح هى الخيال لا الحقيقة، فيُظهرونه بخيالهم الشرير يشتهى ويضعف وتعذبه غرائزه[٢].

اتهام التلاميذ بتزييف صورة المسيح :

وهناك اتجاه آخر من بعض الكتاب، يجد ترحيباً من أصحاب المعتقدات التى يعذبها هذا الموقع الفريد لشخص المسيح، ويستخدمون فى سبيل ذلك منهجاً يقول بأن كل ما تفرّد به المسيح: لاهوته وصلبه وقيامته، لم يقل هو به وإنما هو من ابتداع تلاميذه (!) وهو منهج غير علمى لأنه يتأسس على الإنكار بغير دليل. وقبل سنوات أصدر الأمريكى **مايكل هارت** كتاباً اختار فيه مائة اعتبرهم عظماء العالم، وجعل **القديس بولس** فى الترتيب (رقم ٥) ويسبق **السيد المسيح** (رقم ٦) بإدعاء أن بولس هو مبتدع المسيحية، وهو الذى أضاف إلى المسيح من الصفات وألقى من الضوء على قواعد الإيمان المسيحى وبذل الجهد من أجل الكرازة ما يجعله أهم من المسيح نفسه.

ولكن هذا الإدعاء مردود عليه، **لأننا لم نعرف المسيح إلا من خلال المسيح**[٣]، وما تحقق فيه من نبوات قيلت عنه بالوحى الإلهى (٢تى٣: ١٦، ٢بط١: ٢١) قبل مجيئه بـ ١٥٠٠ - ٤٠٠ عام. وكل ما يتعلق بطبيعته

---

(٢) فيقولون أن **المسيح** كان يصارع وهو على الصليب ميله **لمريم المجدلية** (!) (كما فى فيلم "**الإغراء الأخير للمسيح**" Last Temptation of Christ الذى أُنتج قبل سنوات)، أو أنه تزوج منها (!) وأنجب منها ابنة(!)، وأن المجدلية - وليس يوحنا الحبيب - على غير ما سجله الكتاب (يو١٣: ٢٣، ٢٥) - هى من كانت تجلس إلى يمينه فى الصورة الشهيرة "**للعشاء الأخير**" التى رسمها **ليوناردو دافنشى** (كما فى كتاب "**شيفرة دافنشى**" Da Vinci Code **لدان براون**).

وكما نعرف فإن فيلم "**الإغراء الأخير**" لم يعش طويلاً، والمؤمنون الغيورون حاصروا دور السينما التى عرضته فى أنحاء العالم وهم يحملون اللافتات المضادة. وقد بيعت بالفعل ملايين النسخ بعشرات اللغات من كتاب "**شيفرة دافنشى**" لغرابة محتواه والغموض الذى أحاط بأفكاره، والذى تحول إلى فيلم يعرض حالياً فى أنحاء العالم، ولكن مصيره معروف من الآن، فالافتراء سهل ولكنه لا يصمد أمام الحقيقة والتاريخ.

(٣) راجع مقال "**المسيح يعرفنا عن ذاته**" في الكتاب الخامس من سلسلة "**نور الحياة**" (ص ١٠).

وصفاته ورسالته قاله هو، وسجله البشيرون الأربعة فى **إنجيل واحد** ذى أربعة أوجه. **فمصدر التعليم هو شخص المسيح**، والتلاميذ والرسل - وعلى رأسهم **القديسان بطرس وبولس** - لم يضيفوا شيئاً من عندهم.

دحض ما ينسب إلى التلاميذ :

إن فكرة أن التلاميذ يختلقون غير الحقيقة ويجتهدون كذباً فى تأليه المسيح الإنسان مجدفين على اسم الله، وهم اليهود الملتزمون، لا يمكن قبولها. والمسيح "**الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر**" (١بط٢: ٢٢) لم يعلّم تلاميذه الكذب أو التواطؤ وإنما أن يسلكوا بالحق. وإن قلنا إنهم فعلوا ذلك من أنفسهم تكريماً وتبجيلاً لمعلمهم، فكيف اتفقوا جميعهم على تزييف الحق، وما الفائدة التى يجنونها من إشاعة الكذب عن المسيح، فهل قصدوا أن يؤسسوا مملكة يصيرون فيها الأمراء والرؤساء؟ ولكن المعلم نفى قولاً وعملاً أنه جاء ليؤسس مملكة أو ليحكم العالم. فبعد إجرائه معجزة إشباع الآلاف، لما علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده (يو٦: ١٥)، وهو أعلنها صريحة وهو يحاكم أمام بيلاطس " **مملكتى ليست من هذا العالم**" (يو١٨: ٣٦).

هل ليؤسسوا كنائس يكونون هم رؤساؤها؟ كنائس مبنية على الكذب؟ كيف يجتمع الحق وضده؟

فلو كان التلاميذ يكذبون ويزيفون ويبشرون بما لم يحدث (مع إدراكهم أن ما يقولونه كذباً فى كذب) فكيف صدقوا هم كذبهم؟! وإذا كانت بشارتهم الزائفة هذه قد قادتهم جميعاً إلى الاضطهاد والموت الأليم(٤)، فكيف قبلوا أن يستشهدوا من أجل إله زائف هم مَنْ اختلقوه؟ فما كتبه التلاميذ فى بشائر الإنجيل هو تسجيل أمين لما عاصروه ورأوه بأعينهم فى المسيح وسمعوه بآذانهم

(٤) كل التلاميذ - عدا يوحنا - وأكثر الرسل والشمامسة (وأولهم استفانوس) استشهدوا خلال ثلاثة عقود من بدء كرازتهم. وتبعهم فى نفس المصير أكثر تلاميذهم آباء القرنين التاليين.

منه (١يو١: ١-٥) أو أخذوه عن الشهود الثقاة. ولو كان هناك تواطؤ أو تآمر لاتفقوا معا على كتابة إنجيل واحد لا أن يكتب أربعة شهاداتهم. وهناك ما يقرب من نصف قرن يفصل بين أول شهادة (بشارة القديس مرقس على الأرجح) وآخر شهادة (بشارة القديس يوحنا)، وربما تفادوا بذلك بعض التناقضات الظاهرية أو الآيات عسرة الفهم، ولكنهم كانوا أمناء للحقيقة لم يغيروها أو يجّملوها.

فلم يحذف البشيرون اتهامات أقارب المسيح له بأنه مختل (مر٣: ٢١)، أو ما قيل عنه إنه سامرى وبه شيطان (يو٧: ٢٠، ٨: ٤٨، ٥٢)، وأنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين (مت٩: ٣٢، ١٢: ٣٤، مر٣: ٢٢)، أو أنه مجدف (مت٢٦: ٦٥، مر ٢: ٧، ١٤: ٦٤)، ولا أسقطوا من أقوال المسيح آيات يثير ظاهرها البلبلة ويشكك فى لاهوته إذا قُرئت وحدها مثل "**لأن أبى أعظم منى**" (يو١٤: ٢٨)، أو أن الساعة الأخيرة لا يعلم بها أحد إلا الآب (مر١٣: ٣٢) أو قوله "**لماذا تدعونى صالحاً. ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله**" (مت١٩: ١٧، لو١٨: ١٩).

ومن نفس المنطلق، لم يجتهد البشيرون فى تحسين صورتهم وهم يكتبون بشائرهم، فالكتاب يورد أن التلاميذ تنافسوا على المكان الأول وتساءلوا عمن هو الأعظم بينهم (مت١٨: ١، مر٩: ٣٤، لو٩: ٤٦). ورغم موقع **بطرس** المتقدم بين التلاميذ وفى الكنيسة فالكتاب يذكر أن الرب نعته بالشيطان عندما حثه ألاّ يسلم نفسه للموت (مت ١٦: ٢٣، مر٨: ٣٣)، كما سجلت البشائر الأربع إنكاره المثلث للرب رغم سابق تحذيره (مت٢٦: ٧٠، مر١٤: ٦٨-٧٢، لو٢٢: ٥٧-٦٢، يو١٨: ٢٥، ٢٧). ولم يُخف مرقس فى بشارته أنه تبع الرب عن بُعد وهو فى طريق آلامه(٥) وكان يلبس إزاراً على عُريه فلما أمسك به الشبان ترك إزاره فى أيديهم " وهرب منهم عرياناً" (مر١٤: ٥١، ٥٢).

---

(٥) وهو لم يذكر اسمه صراحة وإنما ذكر "وتبعه شاب" ولو لم يكن هذا الشاب هو مرقس لما كان فى ذكر هذه الواقعة أية أهمية.

ولم يكن سائر التلاميذ بأفضل منه فيذكر الكتاب أنهم كلهم هربوا وتركوا الرب ساعة آلامه يواجه العاصفة وحده (مت٢٦: ٥٦، مر١٤: ٥٠)، وأنهم بعد قيامته رأوا قبره الفارغ ولكنهم لم يصدقوا المجدلية ولا تلميذى عمواس الذين رأوا الرب. حتى أن الرب وبّخ التلاميذ عندما ظهر لهم فى العلية، ومع هذا فإن بعضهم شكوا وظنوا أنهم ينظرون روحا (مت٢٨: ١٧، لو٢٤: ٣٧-٤٠). وأن توما لم يصدق إلا بعد أن وضع يديه فى أثر المسامير وطعنة الحربة (يو٢٠: ٢٥، ٢٧-٢٩).

ولو تجاسر التلاميذ على التحريف والتزييف لكان أوْلى بهم أن يُسقِطوا كل هذا العار والحرج الذى يلصق بتاريخهم عندما يسجل الكتاب ضعفهم وخوفهم وهروبهم وخيانتهم فى مرحلة ما من حياتهم مع الرب.

البديل، اتهام الكنيسة :

ولكن هناك أيضاً الادعاء المرسل أن النصوص الأصلية للإنجيل لم تشر إلى المسيح أنه ابن الله المتجسد، وأن تأليه المسيح استُحدث فى فترات زمنية تالية لعصر الرسل، سواء فى عصر المجامع[٦] أو ما بعد ذلك. على أن ما يهدم هذا الادعاء من الأساس أن أقدم النسخ من الكتاب[٧] ومخطوطات الأسفار التى تكشفها الحفائر الأثرية فى المواقع المختلفة[٨] لا تختلف عما فى أيدينا اليوم.

---

(٦) "**قانون الإيمان**" الذى أصدره مجمع نيقية (٣٢٥م) لم يكن تأليفاً جديداً وإنما هو تجميع مركّز لأساسيات الإيمان المسيحى، وكل كلمة فيه مستمدة من الكتاب المقدس.

(٧) من أشهر هذه النسخ: الفاتيكانية (ويرجع تاريخها إلى ٣٢٨م)، السينائية (٣٥٠م) التى كان يضمها دير سانت كاترين وهى منذ ١٩٣٣ فى المتحف البريطانى الذى يحوى أيضاً النسخة الإسكندرية (٣٢٥م)، والأفرامية (٤٥٠م) بالمكتبة القومية فى باريس.

(٨) تحتوى المتاحف العالمية على ٥٣٠٠ مخطوطة كاملة، و٢٤٠٠٠ مخطوطة جزئية من العهد الجديد، واكتُشف فى منطقتنا مخطوطات نجع حمادى (١٩٤٥)، ومخطوطات وادى قمران (البحر الميت، ١٩٤٧) وتضم عدداً من أسفار العهد القديم.

استحالة التحريف :

إن كل ما يقال عن تحريف الكتاب هو ادعاء جزافى لا يستند إلا للـــوهم والتمنى. فحماية كلمة الله من التزييف والتحريف هى عمل الله نفـــسه " **أنـــا ساهر على كلمتى لأجريها**" (إر١: ١٢)، وهى مهمة أساســـية للكهنـــوت اليهودى والكنيسة المسيحية. وآباء الكنيسة، فى القرون الأربعة التالية لعـــصر الرسل، عكفوا على دراسة أسفار العهدين وفسروا كل آياتها. والموســـوعات التى تملأ المكتبات بكل اللغات (كموسوعة آباء نيقية وما قبل نيقية وما بعدها، التى تحوى آلاف الاقتباسات من الكتاب) هى شهادات على صدق كلمة الله.

وإذا تعلق الأمر **بالعهد القديم**، فدقة نُسّاخ العهد القديم على الرقوق وحرصهم وتحفظّهم وخشوعهم أثناء الكتابة وإحصاؤهم للحـــروف والنقـــاط والكلمـــات والسطور هو من الأمور المعروفة. وموسى حذّر شعبه " **لا تزيدوا على الكـــلام الذى أنا أوصيكم به ولا تُنقصوا منه**" (تث٤: ٢) [٩]. ولو كان الأمر بأيديهم لحذفوا كل الإنذارات والويلات التى صبَّها عليهم الرب وكل الأوصاف الصعبة التى أطلقها عليهم، فضلاً عما ذكره العهد القديم من خطايا وانحرافات كبـــار الآبـــاء كإبراهيم ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم، كما بقيت النبوات عن حياة الـــرب وخلاصه فى مواضعها تشهد له ولصدق رسالته. والرب نفسه صدّق على ســـلامة العهد القديم فاستخدم آياته وطلب أن نفتش فيه عنه " فتشوا الكتب... وهى التى تشهد لى" (يو٥: ٣٦) وقال عنه " **إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل**" (مت٥: ١٨).

---

(٩) وبالمثل فالعهد الجديد يُختم بالإنذار الإلهى ضد من يزيد على أقوال الله بأن يزيـــد الله عليـــه الضربات، ومن يحذف منها بأن يحذف الله نصيبه من سفر الحياة (رؤ٢٢: ١٨، ١٩).

وقد تُرجم العهد القديم كله من العبرانية إلى اليونانية فى الأسكندرية قبل عقود من ميلاد المسيح. وبعد عصر الرسل تُرجم العهد الجديد من اليونانية إلى لغات البلاد التى بُشر فيها بالإنجيل حتى صار مكتوباً، مرافقاً للعهد القديم، بأكثر من ١٥٠٠ لغة ولهجة. وهذا الانتشار للكتاب بعهديه بلغات مختلفة، ووجوده فى كل المجامع والكنائس على امتداد المسكونة يجعل أى تحريف للكلمة فى نطاق المستحيل، خاصة وأن الحظ لم يُسعف المدّعين بالتحريف بنسخة واحدة على امتداد القارات والأزمان نجت من التحريف تأييداً لادعائهم.

إن تهمة تحريف الكتاب ادعاء ساذج كسيح لا يمكن إثباته بأى حال. وهى صرخة عاجز يعذبه قصوره فيسعى إلى تشويه غيره. وإذا كان ظلام العالم كله لا يستطيع أن يحجب نور شمعة واحدة، فما حيلته أمام "**نور العالم**" نفسه.

خلاصة القول، أن المسيح، وليس غيره، هو الذى كشف لنا عن ذاته وطبيعته ورسالته وأنه " رئيس الإيمان ومكمله" (عب١٢: ٢)، **وأن الإيمان المسيحى ليس من ابتداع تلاميذ الرب ورسله أو آباء الكنيسة وأن المسيح هو رأس الكنيسة ومؤسسها وليست الكنيسة هى التى صنعت المسيح.**

الذين ينكرون الإيمان

حالات الذين أنكروا الإيمان، التى صدمتنا فى السنوات الأخيرة، لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة. فطالما أن الرب جعل أمامنا طريقين: **طريق الحياة وطريق الموت** (إر٢١: ٨) فهناك من سيختار الحياة، وهناك من سيختار الموت حتى وإن لم يكن يدرى عند بداية الطريق أنه المؤدى فى النهاية إلى الموت.

وفى تاريخ الإنسان كثيرون اختاروا **طريق الموت**، احتقروا وصية الله واتبعوا هوى نفوسهم. فهذا **قايين** قاتل أخيه (تك٤: ٨)، وهذه **امرأة لوط** التى ظل قلبها متعلقاً بأرض الفساد، رغم الملاكين اللذين كانا يدفعانها دفعاً إلى خارج، فصارت عمود ملح (تك١٩: ١٦، ٢٦)، **وهذا عيسو** المستبيح المستهتر الذى باع بكوريته بأكله عدس ففقد البركة أيضاً (تك٢٥: ٣٣، ٢٧: ٣٦، عب١٢:١٦، ١٧).

وبين تلاميذ الرب فإن **بطرس** المقدام، وأول التلاميذ، والشاهد على تجلى الرب مع موسى وإيليا، أنكر المسيح وقت محاكمته، وإن اكتشف سريعاً ضعفه وخيانته فرجع باكياً وقبله الرب، **ويهوذا** باع سيده بثلاثين من الفضة وإن ندم بعد تسليمه الرب لصالبيه ولكن الهلاك كان ينتظره.

والرب يسوع سبق فأنبأ أن هناك مَنْ سينكره عندما قال " **من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات**"(مت١٠: ٣٣). **والقديس بولس** صادف فى خدمته مثل هؤلاء " **لأن كثيرين يسيرون، ممن كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم، الذين يفتكرون فى الأرضيات**"(فى٣: ١٨).

أمثلة من بلادنا :

نذكر بالأسى هنا الفتيات اللاتى أنكرن الرب مؤخراً، وبعن سيدهن، وجدفن على الروح عندما أعلنَّ أنهن تركن المسيح نهائياً ولا يردن العودة، وأنهن راضيات بحياتهن الجديدة.

على أن إنكار الإيمان بصورة صريحة والتحول إلى دين آخر لم يقتصر على أمثال تلك الفتيات، اللاتي يسهل إغواؤهن، ولكننا نراه يمتد إلى الكبار من الآباء والأمهات الذين تجاوزوا سن الطيش، ومع هذا فهم يتعثرون بغير وعي أو تحفظ. وهكذا تحت إغراء الجسد أو المال أو الممتلكات يتم تغيير العقيدة فالطلاق والزواج بغير المؤمنين، فتتحطم عائلات وتدمر حياة الكثيرين صغاراً وكباراً.

ولكن هناك أيضاً البعض الذين ينكرون الإيمان **عملياً** رغم بقائهم **شكلياً** ضمن جماعة المسيحيين، وذلك بكسر الوصية والسقوط في مستنقع الجريمة، مما

تحفل به صفحات الحوادث في صحفنا اليومية. فهناك الفتاة التي شاركت صديقها في قتل أمها وأخوتها، والأب الذي حاول ذبح أبنائه[1]!!

هؤلاء جميعاً مسيحيون، اعتمدوا في طفولتهم، ولكنهم لم يعيشوا الإيمان ويتمثّلوه، وعلاقتهم هشة بالمسيح وكلمته وكنيسته. لم يعرفوه أو يحبوه. وحتى وإن كانوا يذهبون إلى الكنيسة أحياناً كما لقوم عادة، فهم يعانون أُمية عقيدية يصير معها الانفكاك من الإيمان أمراً سهلاً.

من هنا فتحْت غواية الشهوة، يتجاسر البعض أن يترك المسيح غير آسف من أجل حب وزواج حسب الجسد، ينشئ عائلة ولكن لا يتصل بالأبدية.

كما أن البعض تحت تأثير الحاجة إلى المال أو المخدر أو تحت سطوة الغضب الكاسح يمكن أن ينزلق إلى السرقة أو حتى إلى قتل أقرب الأقارب!

مشاركون في المسئولية :

ولكن لا يصح أن نكتفي بأن نحلل الأسباب ويرتاح قلبنا لهذا التحليل، ولا يليق أن نطوي صفحة هؤلاء غير آسفين. بل يتحتم أن نُبقي صفحاتهم مفتوحة دائماً، وأن نبحث عمن اشتركوا معهم في صنع هذه النكسات التي راحوا ضحيتها:

(١) فبالنسبة للشباب الذين أنكروا الإيمان، فالاتهام موجّه إلى **العائلة، خاصة الأم**، التي لم تربِّ أولادها وبناتها في الإيمان، التي لم تَقُدْ خطاهم في حياة الصلاة وقراءة الكلمة وطريق التوبة وشركة الإفخارستيا والكنيسة، والتي

---

(١) ففي قرية الكشح - التي قَدّم فيها قبل سنوات عشرات المسيحيين حياتهم من أجل المسيح- شاركت مؤخراً فتاة (هـ- ١٩ سنة) صديقها (ش- ٢٢ سنة)، الذي تريد أن تتزوجه، في قتل أمها وإخوتها الثلاثة (١٣، ١٠، ٧ سنوات) (٢٠١٣/٤/٢٥- خلال الصوم الكبير!!). وبعد عيد القيامة بثلاثة أيام (٢٠١٣/٥/٨) حاول أب عاطل (ج) في القاهرة ذبح أبنائه الأربعة (١٨، ١٦، ١٤، ٤ سنوات) ثم حاول الانتحار. وبعد ذلك بأيام (٢٠١٣/٥/١٣) ألقى عامل (ر) بأسيوط نفسه من الطابق الرابع ليلقى حتفه بعد أن طعن زوجته السابقة (ع/ح) التي تركت المسيحية وانفصلت عنه.

غفلت عن حماية بنيها وبناتها والاطمئنان إلى سلامة سلوكهم وسلوك من يصادقون ويزاملون. والكتاب يشير إلى **أن المرأة تخلص بولادة الأولاد "إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل"** (١تى٢: ١٥).

(٢) **وهناك الكنيسة** التى لم تستطع أن تنشر مظلة رعايتها على الكل، ربما لأن الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون. وهكذا ينضم الكثيرون إلى جماعة الغرباء الذين لا يشعرون بعضويتهم فى جسد المسيح. معرفتهم ضحلة وإيمانهم هش، والصليب غائب من حياتهم، ولا مكان للتوبة عندهم، وشركتهم هى مع أهل العالم ولا تميزهم عنهم، ورجاؤهم منحصر فى العالم الحاضر بآماله الصغيرة ولا يبلغ إلى الأبدية بأى حال.

(٣) **ثم هناك العامل الاجتماعى**، فإذا كان هؤلاء المنسحبون من الإيمان من الطبقات الفقيرة الجاهلة، يأتى هذا العامل ليجعل حالهم أسوأ. فهم ضمن القطاع المهمل المهمَّش الذى لا يجرؤ على الاندماج فى الكنيسة، كما أن انشغالهم بالحصول على أوْدهم لا يترك لهم مجالا للحياة الروحية. فضلاً عن أن تدنِّى معيشتهم وسكناهم فى أحياء عشوائية لا تحترم آدميتهم أو خصوصيتهم، واضطرارهم لمعاشرة أقرانهم من غير المؤمنين، يجعلهم فرائس سهلة لمن يريد أن يقتنصهم، إضافة إلى أن المعاشرات الرديئة تقودهم تلقائياً إلى السقوط أو إنكار الإيمان كلية.

(٤) وهناك عامل ضاغط آخر إذا سادت المجتمع مبادئ **التمييز** وتصنيف المواطنين بحسب عقائدهم. فالذين خرجوا من بيوت لم ترضعهم الإيمان، ولم يتمتعوا برعاية الكنيسة، وينحيّهم مستواهم الاجتماعى المتدنى إلى هامش الحياة، ويحيّدهم إيمانياً اختلاطهم بغير المؤمنين، يأتى التمييز والإحساس بالأقلية والدونية، وعدم احتمال الاضطهاد بعد التخلى عن الصليب، ليجعل إنكار المسيح بصورة رسمية هيّنا بعد أن تم الإنكار من قبل بصورة فعلية فى القلب.

ماذا علينا ؟

وإن كنا نقول إن الذين ينكرون المسيح بكامل وعيهم هم أحرار فى اختيار طريق الموت، لكن هذا لا يعنى أن **ننـــزلق إلى كراهيتهم أو أن نُسقطهم من اهتمامنا**، بل أن نبكى عليهم ونبكى سقوطهم من النعمة **كمَنْ يفقد بـــالموت أخاه أو أخته أو أحد أقربائه**. كما أن علينا أن نسعى لإنقـــاذ المخـــدوعين، والذين شردوا تحت تأثير العاطفة أو الغضب أو الإحباط، وإعادتهم إلى دائـــرة الإيمان، **مصلّين بكل طلبة من أجل رجوع كل الضالين**. كما أن علينا أن نعى الدرس مما جرى ويجرى كى نمنع تكرار هذه الكارثة مع آخرين:

(١) **فعلى العائلة**، أى علينا جميعاً، تقع المسئولية الأولى فى التربية الإيمانية لأولادنا وبناتنا، مقدمين أنفسنا قدوة فى محبة الرب والكنيـــسة وكلمـــة الله، والسلوك بالروح والتزام الإيمان بممارسات روحية أمينة وعبادة حقيقية، وتوبة لا تتوقف، وأن نحبهم فى الرب دون تدليل أو قسوة متذكرين كلمات الكتاب "**لا تغيظوا أولادكم** (لئلا يفشلوا) **بل ربوهم بتأديـــب الـــرب وإنـــذاره**" (أف٦: ٤، كو٣: ٢٠)، متابعين سلوكهم وصداقاتهم. وأن تقترن الثقة الـــتى نكفلها لهم بكل الانتباه والتدقيق مع ملاحظة أى تغيير يطرأ عليهم، **فالانحدار** لا يحدث فجأة وإنما خطوة خطوة " **ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمـــة الله، لئلا يطلع أصل مرارة ويصنع انزعاجا فيتنجس به كثيرون**"(عب١٢: ١٥).

(٢) **وعلى الكنيسة مواصلة الجهد في توفير الرعاة المـــؤهلين روحيـــا وإيمانيا** فى المناطق كثيفة العدد، وأن تمد مظلتها **لتحتضن مسيحيى العشوائيات والطبقات المسحوقة والعائلات المتناثرة التى تسكن معزولة فى أوساط غـــير مسيحية**، فهذه تعيش على حافة الخطر، وربما هى فى دائرة الخطر بالفعل، **ولا تقوى أن تنادى " اعبر إلينا وأعنا"** (أع١٦: ٩). **وعلى الكنيسة أن تعتـــبر**

خدمة الفقراء والمرضى والأميين والمعاقين، وتوفير المساكن وفرص العمل، أموراً في صميم حماية الإيمان والبشارة بالخلاص وليست مجرد عمل اجتماعي يحترم كرامة الإنسان. وهناك في هذا المجال نماذج عظيمة أنقذت من الموت الكثيرين.

وبالنسبة للبيوت التي حطمتها سقطة الأب أو الأم، أو الذين غيّبتهم الجرائم في السجون، فهؤلاء لابد أن تدركهم محبة الكنيسة وتعزياتها كي تنتشلهم من أحزانهم، وأن تستعيدهم إلى حظيرتها وتقودهم إلى التوبة، وتغير نمط عبادتهم الشكلي القديم، وتضرم في قلوبهم الرجاء في شخص المسيح، وتدربهم على التلمذة لكلمة الله، والانتقال من ظلمة الماضي وكآبته إلى نور الحياة في المسيح.

ولابد أن نؤكد هنا على جدوى **خدمة السجون**، التي تنشط في بعض الكنائس وتفتقد السجناء والسجينات، المظلومين منهم أو المدانين [وشعارها قول الرب لمن سيدخلون الملكوت "**كنت .. محبوساً فأتيتم إليَّ**" (مت٢٥:٣٦)]. فهي تستنقذ الكثيرين من مخالب الشيطان والموت، وتنتزعهم من كآبتهم، وتقودهم إلى الحياة الأبدية "**أن من رد خاطئاً عن ضلال طريقه، يخلص نفساً من الموت. ويستر كثرة من الخطايا**" (يع ٥:٢٠).

وعلى **اجتماعات الشباب** أن تنهض لتضم إليها الجميع، بمن فيهم الحرفيون والأميون، وأن تقصد في التعليم بصورة مباشرة **شخص المسيح المخلص** المنادى " **توبوا وآمنوا بالإنجيل**" (مر١: ١٥) والذى هو محور الكتاب كله. وسواء في عظات القداس أو كلمات الاجتماعات **فليكن شرح وصايا الكتاب وأمور العقيدة هو لب التعليم. فالمنبر مسئولية.** والرب سوف يحاسب الرعاة والخدام كيف استثمروا وزناتهم وكيف وظّفوا وقت الخدمة وافتدوه وسط الأيام الشريرة (اف٥: ١٦).

(٣) ونظن أن أى جهد يبذل من أجل **تمتع كل المواطنين بحقوق متكافئة فى العمل والعبادة**، حتى وإن بدا أنه يصب فى تيار العمل السياسى، هو فى حقيقته فاعل فى تخفيف الضغوط على الأقليات المسيحية وسط أغلبية غير مسيحية، فلا تضطرها الحاجة أو أُمية العقيدة إلى التسرب من الحظيرة إلى الطريق الرحب المؤدى إلى الهلاك (مت٧: ١٣). **فالديمقراطية** التى تكفل حقوق كل المواطنين على اختلاف عقائدهم، ويضمن الدستور والقانون فيها حماية الجميع، خاصة الأقليات، **هى جزء من الحل. والاضطهاد وسحق الأقليات والتطهير العرقى لا يكون إلا فى المجتمعات المتخلفة غير الديمقراطية، التي تعيش خارج الزمن.**

ويبقى أن ننتبه إلى أنفسنا أيضاً منصتين إلى صوت الرسول بولس المنذر "**جربوا أنفسكم: هل أنتم فى الإيمان؟ امتحنوا انفسكم**" (٢كو١٣: ٥).

"**فخرج بطرس إلى خارج وبكى بكاءً مراً**" (مت٢٦: ٧٥، مر٢٢: ٦٢)

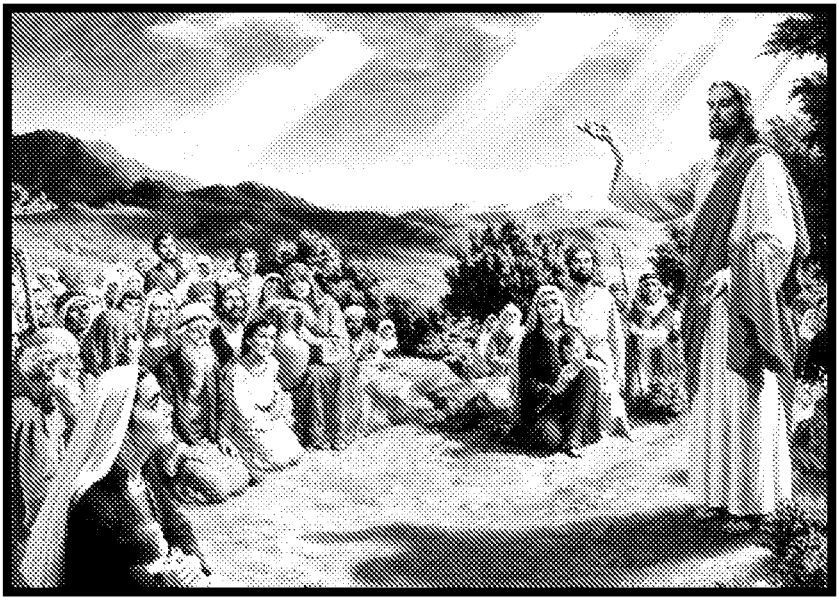

" لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم "

(يو ٨: ٣٩)

قضية اليهود والمسيح

+ المسيح يفسّر العهد القديم
+ اليهود والمسيح، بحسب القديس بولس
+ بين إسرائيل الكتاب وإسرائيل الدولة

المسيح يفسّر العهد القديم

منذ البداية، تعهد الله بعد سقوط الإنسان بخلاصه. وقال عن **نسل المرأة** وهو يخاطب الحية "**هو يسحق رأسك** وأنت تسحقين عقبه" (تك٣: ١٥). وهو قصد بنسل المرأة **شخص المسيح**، الابن الذي يتجسد ليكون هو **رئيس الخلاص** (عب٢: ١٠) الذي "**ابتدأ الرب بالتكلم به**" منذ القديم (عب٢: ٣).

+ ولأن تصوّر قلب الإنسان كان شريراً منذ حداثته (تك٨: ٢١)، فقد أهلك الله كل البشر بالطوفان، واستبقى من بينهم فقط **نوحاً** البار وعائلته، الذي صار وارثاً للبر الذي حسب الإيمان (عب ١١: ٧).

+ ومن **سام** ابن **نوح** جاء **إبراهيم**، الذي كشف عن إيمانه بطاعته، وجعله الله رأساً للشعب الذي سيأتي منه بالجسد مخلص العالم. وهكذا أعطاه وعداً **أن تتبارك فيه جميع قبائل الأرض** (بقبولها الخلاص) (تك ١٢: ٣).

+ وأُعطي **لإبراهيم** أن يتبارك من **ملك شاليم** (ملك السلام) **ملكي صادق**، كاهن الله العلي، الذي جاء رمزاً مبكراً لشخص المسيح، بخبزه وخمره، والذي أعطاه إبراهيم عُشراً من كل شئ (تك١٤: ١٨-٢٠، مز ١١٠: ٤، عب ٥: ٦، ٦: ٢٠، ٧: ١-٤، ١٧) لتأكيد سمو **كهنوت المسيح** عن كل رتب الكهنوت اليهودي اللاوي: "**كاهن عظيم على بيت الله**" (عب١٠: ٢١).

+ وصار **إيمان إبراهيم** ["**فآمن إبراهيم بالله فحسبه له براً**" (تك ١٥: ٦)] معبراً ليس عن إيمان اليهود وحدهم وإنما إيمان الأمم أيضاً. فهكذا كان الوعد أنه "**تتبارك فيك جميع قبائل الأرض .... يتبارك به جميع أمم الأرض**" (تك ١٢: ٣، ١٨: ١٨). فالبركة مصدرها **شخص المسيح** صانع الخلاص بدمه، وغالب الموت بموته، ومانح الحياة الأبدية لكل من يؤمن.

+ **والمسيح** هو من دارت حوله كل الأحداث التالية : **الختان** وهو علامة الإيمان الظاهرة في الجسد والذي سيحل محله **ختان القلب** بالروح في المعمودية (رو٢: ٢٩)؛ **ميلاد اسحق** (ابن الموعد، ابن الحرة - غل٤: ٣٠)؛ **خروف الفصح** والنجاة بالدم من الملاك المهلك، **وخروج العبرانيين من مصر** ودخولهم الأرض التي سيبدأ منها كرازته؛ **الوصايا العشر** كقانون يلتزم به الشعب بشروط، فالبركة "**إذا سمعت صوت الرب إلهك لتحفظ وتعمل كل هذه الوصايا التي أنا أوصيك اليوم، يباركك الرب إلهك كما قال لك**" (تث ١٥: ٥، ٦)، واللعنة "**إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم، وزغتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها اليوم**" (تث١١: ٢٨، ١مل٩: ٦-٩)؛ وهو **النبي** الذي كتب عنه **موسى** (يو٥: ٤٦، أع ٣: ٢٢، ٧: ٣٧) "**يقيم لك الرب إلهك نبياً، من وسطك، من إخوتك، مثلي، له تسمعون... أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم، مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به**" (تث ١٨: ١٥، ١٨)؛ **والهيكل** المؤقت الذي يجتمع فيه الله والناس صار **جسده** الدائم إلى الأبد، الذي تجتمع فيه **الكنيسة** من كل الأمم والشعوب ليكون هو **رأسها** (أف ١: ٢٢، كو ١: ١٨).

+ والله لم يتحيز لإسرائيل. فهم لما خانوا عهده نالوا العقاب: فالآلاف أهلكتهم الحيات، والجيل الذي خرج من مصر لم يدخل منه كنعان إلا اثنان. وفيما بعد سلّمهم الله إلى أعدائهم فطُردوا من ديارهم وعانوا السبي طويلاً.

+ ولكن الله لم ينسَ القلة الأمينة (أش ٤٩: ١٤-١٦)، ووعدهم بعهد جديد. وكما كان المسيح محور **العهد الأول (القديم)**، كان به أيضاً **العهد الجديد** الذي اتسع ليحتضن كل من يؤمن به، يهوداً وأمماً: "**ها أيام تأتي، يقول الرب، وأقطع مع بيت إسرائيل وبيت يهوذا** (المؤمنين بيسوع) **عهداً جديداً. ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر، حين نقضوا عهدي فرفضتهم**" (إر ٣١: ٣١، ٣٢)؛ "**هأنذا أجمعهم من كل الأراضي... وأردّهم إلى هذا الموضع وأُسكنهم آمنين. ويكونون لي شعباً وأنا أكون إلهاً لهم**[1].. **وأعطيهم قلباً واحداً وطريقاً واحداً ليخافوني كل الأيام لخيرهم وخير أولادهم بعدهم. وأقطع لهم عهداً أبدياً أني لا أرجع عنهم لأحسن إليهم، وأجعل مخافتي في قلوبهم فلا يحيدون عني**" (إر ٣٢: ٣٧-٤٠، عب٨: ٨-١٢).

+ أما عن تمييز إسرائيل في كاهن **العهد القديم**، فقد كان بهدف إظهار مجد وقداسة الله لسائر أمم العالم. وقد طُلب إلى شعب الله في **العهد الجديد** أيضاً أن يخرج من العالم ويصير مقدساً (٢كو ٦: ١٧). وإذا كان الناموس قد أُعطي لموسى لتكون إسرائيل مملكة من الكهنة (خر ١٩: ٦)، **فالكهنوت الملوكي** (العام) في العهد الجديد يُنسب **لشعب الله** المتسع أي **الكنيسة** (١بط ٢: ٩).

العهد القديم يُفهم في ضوء تفسير المسيح :

+ المسيح يُعرّف شعبه لا على أسس إثنية Ethnic (عِرقية أو عنصرية) وإنما على أساس الإيمان "**الذي يفعل مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي**"

---

(١) قابل مع ما في سفر الرؤيا : "**ثم رأيت سماءً جديدة وأرض جديدة.. هوذا مسكن الله مع الناس. وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم**" (رؤ٢١: ١-٣).

(مت١٢: ٥٠، مر٣: ٣٥، لو٨: ٢١). فشعب الله، **إسرائيل الجديد**، هو كنيسته التي تضم كل المؤمنين، الذين لا ينتسبون إلى إبراهيم بالجسد وإنما يحملون إيمان إبراهيم "**لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم... أنتم تعملون أعمال أبيكم... أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا**" (يو٨: ٣٩، ٤١، ٤٤).

+ وشهد الرب أن إيمان **الأممي** يمكن أن يفوق إيمان **اليهودي** (**قائد المئة**- مت٨: ١٠، لو٧: ٩؛ **المرأة الكنعانية**- مت١٥: ٢٨) [٢]. وفي مثل **الابنين** (مت٢١: ٢٨-٣٢) بيّن الرب أن الابن الذي رفض الدعوة أولاً ثم استجاب فيما بعد، كان الأفضل، أي أن **الأمم** صنعوا إرادة الآب، وأن العشارين (المتعاونين مع الاحتلال الروماني) والزواني، يسبقون الفريسيين (خدام الدين) إلى ملكوت السموات ويبقى هؤلاء خارجاً. وفي مثل **الكرامين** (مت ٢١: ٣٣-٤٤، مر ١٢: ١-١٢، لو٢٠: ٩-١٩) يُنزع الكرم من اليهود ويُسلم لأمة تعطي أثماره.

+ والمسيح لا يشير إلى **أرض** بعينها، فالأرض المادية (التي ستفنى) لم تكن هي شاغل الرب. وهو لم يدِن الاحتلال الروماني لأرض إسرائيل (وهو الأمر الذي كان يضيق به اليهود)، كما لم يدعُ لأن يحكم اليهود أرضهم، فمملكته ليست من هذا العالم. والمفارقة هنا أن اليهود اتهموا المسيح بأنه يسعى لانتزاع الملك من قيصر.

+ وعلى عكس الفكر اليهودي الذي يريد أن يستأثر بكل شئ، فإن **الأرض الجديدة**، موضوع **العهد الجديد**، لن تكون قاصرة على فئة عِرقية (**أبناء إبراهيم**)، وإنما ستكون لكل الودعاء (مت ٥:٥) **أبناء الله بالإيمان**. وهكذا سيأتي المؤمنون الكثيرون بعد تغربهم الطويل من المشارق ومن المغارب ويتكئون مع إبراهيم

---

(٢) والرب سمح أن يكون في سلسلة نسبه **أمميون** انتموا إلى شعب الله مثل **راحاب وراعوث** (مت١: ٥)، كما حمل **دانيال ويونان وأستير** رسالة الله إلى **الأمم** في العهد القديم، والرب نفسه بادر بكرازة **السامريين والأمم** قبل تلاميذه.

واسحق ويعقوب في ملكوت السماوات، أما من كانوا "بني الملكوت" فيُطرحون خارجاً في الظلمة وليس لهم غير الحسرة والندم (مت٨: ١١، ١٢).

+ وأمام انحصار اليهود في الهيكل[٣]، الذي كان بعظمة بنائه موضع افتخارهم وانبهارهم، يصرح الرب أنه أعظم من الهيكل (مت١٢: ٦)، وأن جسده هو الهيكل الذي لا يمكن أن ينهدم (يو ٢: ١٩-٢٢)، وأن سكنى الله وسطنا تصيّرنا نحن أيضاً هيكلاً مقدساً له، وأن الساجدين الحقيقيين يسجدون للآب بالروح والحق وليس في مكان بعينه (يو ٤: ٢١-٢٤). والرب تنبأ عن خراب هيكل اليهود (مت٢٤: ٢، مر١٣: ٢، لو ٢١: ٦)[٤]، وهو دخل إلى هيكلٍ في السموات (الأقداس) بدم نفسه فوجد لنا فداءً أبدياً (عب٩: ١٢).

+ والرب أعلن أنه **محور الناموس والمزامير والأنبياء وجميع الكتب** (لو٢٤: ٢٧، ٤٤)، وأنه **رأس الزاوية وحجر الزاوية** (مز١١٨: ٢٢، إش٢٨: ١٦، زك٤: ٧، مت٢١: ٤٢، مر١٢: ١٠، لو٢٠: ١٧، أع٤: ١١، أف٢: ٢٠، ١بط٢: ٦، ٧)، وأنه **نور العالم** (يو٨: ١٢)، وأنه **الطريق والحق والحياة** (يو١٤: ٦)، وأن **الآب يشهد له** (يو٨: ١٨)، وأنه **من فوق** (يو٨: ٢١)، وأنه **كائن قبل إبراهيم** (يو٨: ٥٨).

❁ ❁ ❁

أن كل **العهد القديم** (المرحلي) برموزه وطقوسه يتحقق في **المسيح**، ولا عودة إلى الماضي والقديم، أو الرمز، أو المقدمات، أو شبه السمويات لأننا دخلنا السماء عينها (عب٩: ٢٤)، ونحيا الحقيقة الكاملة، التي نراها الآن **كما في مرآة** ولكن "حينئذٍ" (في المجيء الثاني) **وجهاً لوجه** (١كو ١٣: ١٩).

---

(٣) رغم أن **الملك سليمان** أقر منذ البداية أن الله لا يسكن في مصنوعات الأيادي، وأنه إن كانت السماوات لا تسعه فبالأحرى أي بيت (١مل ٨: ٢٧، أع ٧: ٤٨).

(٤) انظر ص ١٠٩ في هذا الفصل من الكتاب.

اليهود والمسيح
بحسب القديس بولس

إضافة إلى ما أثرى به **القديس بولس** فكر الكنيسة عن قواعد الإيمان المسيحى، وما أرساه من أسس الخدمة والنظام الكنسى والمبادئ الروحية والاجتماعية، كشف الروح للقديس بولس عن خفايا المستقبل، خاصة ما يتعلق بهذه القضية المصيرية: **اليهود والمسيح**.

أولا: بولس، الإناء المختار، يواجه اليهود المضادين:

قبل اهتدائه، كان **القديس بولس** يهوديا متعصبا " **غيورا لله... إسرائيلى من نسل إبراهيم من سبط بنيامين، عبرانى من العبرانيين، من جهة الناموس فريسى**" (أع٢٢: ٣، رو١١: ١، فى٣: ٥) ضمن " **شعب الله المختار**"، وكان مقاوما للمسيح ومضطهِداً للكنيسة، وكم اقتحم اجتماعات المؤمنين فى أورشليم، وهاجم بيوتهم وساقهم إلى السجون (أع٢٢: ٤) لانحرافهم، فى اعتقاده، عن دين الآباء. وامتد عداؤه ليشمل مؤمنى دمشق، حيث اعترضه

الرب وهو فى طريقه إليها فى واقعة زلزلت كيانه وأجبرته على الإذعان والخضوع والتحول لينضم إلى الاثنى عشر، **وليصبح رسول المسيح إلى الأمم** (أع٩: ٣-١٦). واليهود الذين ظن أنه يدافع عن عقيدتهم ناوأوه واضطهدوه بل هددوا حياته (أع١٤: ٩، ٢كو١١: ٢٣-٢٥).

وهكذا كتب - أول ما كتب - لمؤمنى تسالونيكى المضطهَدين من أجل الإيمان "فإنكم أيها الإخوة صرتم متمثلين بكنائس الله التى هى فى اليهودية فى المسيح يسوع، لأنكم تألمتم أنتم أيضاً من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها، **كما هم أيضاً من اليهود، الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن، وهم غير مُرضين لله وأضداد لجميع الناس، يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكى يخلصوا، حتى يتمموا خطاياهم كل حين. ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية**" (١تس٢: ١٤-١٦).

وهو يواجههم فى رسالته الثانية إلى كورنثوس بأن الحق محجوب عنهم حتى أنهم لم يكتشفوا المسيح فى النبوات الكثيرة عنه فى العهد القديم "**وليس كما كان موسى يضع برقعاً على وجهه** (عند نزوله من على الجبل بعد تسلم الشريعة) لكي لا ينظر بنو إسرائيل إلى نهاية الزائل، **بل أُغلظت أذهانهم، لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق** (القديم) (موضوع على قلوبهم) **باق غير منكشف، الذى يُبطَل فى المسيح** (أى تتحقق فيه النبوات ويزول غموضها)" (خر٣٤: ٣٣-٣٥، ٢كو٣: ١٣-١٥).

وفى رسالته إلى العبرانيين يبين **القديس بولس** أن العهد الجديد الذى قطعه الله مع الناس (إر٣١: ٣١) تحقق فى المسيح يسوع "**وسيط العهد الجديد**" (١تى٢: ٥، عب٩: ١٥، ١٢: ٢٤) الذى " **بعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة** (هي ذبيحة نفسه) **جلس إلى الأبد عن يمين الله**" (عب٨: ٦-١٣، ٩: ١٥، ١٠: ١٢).

ثانيا: الله ليس لليهود فقط.. وإبراهيم هو أب لجميعنا:

السنوات الطويلة فى خدمة الأمم، لم تستبعد من ذهن **القديس بولس** انشغاله بمصير اليهود وما يؤدى إليه رفضهم للخلاص وهم أوْلى الناس بقبوله والفرح به. وفى رسالته إلى كنيسة رومية، التى ضمت مؤمنين يهودا وأمما، يناقش قضية اليهود برّمتها، كاشفا عن حقيقة دور اليهود والناموس فى خطة **الله**، مؤكدا أنه **ليس عند الله محاباة**.

فإذا كان اليهود هم شعب **الله** المؤتمن على الناموس والمواعيد (رو٣: ٢)، فهذا عبء يحملونه أكثر منه امتيازاً أو فضلا يتباهون به، ولا يصح أن يستحوذوا وحدهم على ما نالوه مجانا بالنعمة. ومسئوليتهم تجعل منهم القدوة والمبشِّر للكل، كما يشكّل سقوطهم عثرة تجعلهم موضع اللوم " **لأن اسم الله يجدَّف عليه بسببكم بين الأمم**.."(رو٢: ١٧-٢٤).

والأمر يتجاوز البعد القومى والإثنى (العِرقي) والنسب الجسدى " **لأن اليهودى فى الظاهر** (بالاسم والوراثة) **ليس يهوديا ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختاناً بل اليهودى فى الخفاء** (أى فى الباطن والقلب) **هو اليهودى وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان**"(رو٢: ٢٨، ٢٩). نعم.. " **لا الحرف بل الروح. لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى**"(٢كو٣: ٦).

ومن هنا فليس اليهود أفضل من الأمم إذ " **الجميع زاغوا وفسدوا معاً ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد**" (مز٥٣: ٣، رو٣: ١٢). وأعمال الناموس لا يمكن أن تبرِّر (غل٢: ١٦)، لا لقصور فى الناموس، فالناموس روحى ومقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة، ولكن دور الناموس هو أن يكشف الخطية وأنها خاطئة جداً (رو٧: ١٢، ١٤)، وأن الحاجة هى إلى بر **الله** (**بالإيمان بيسوع المسيح**- رو٣: ٢٢) " **إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكى نتبرر بالإيمان**" (غل٣: ٢٤).

وهكذا أمام الإيمان يصير جميع الخطاة، يهوداً أو أمماً، "**متبررين مجاناً بنعمته** (نعمة الله) **بالفداء الذى بيسوع المسيح**"(رو٣: ٢٤)، ولا يصير هناك مجال لافتخار أحد. **فالخلاص هو بدم المسيح، لا بناموس الأعمال بل بناموس الإيمان، لأن الله ليس لليهود فقط بل للأمم أيضاً** (أى لكل العالم) (رو٣: ٢٧-٢٩).

وفى هذا الصدد، يبيّن **القديس بولس** أن إيمان إبراهيم حُسب له برا وهو فى الغرلة "وأخذ **علامة الختان** ختما **لبر الإيمان** (الذى كان فى الغرلة) **ليكون (١) أباً لجميع الذين يؤمنون وهم فى الغرلة... (٢) وأباً للختان** (رو٤: ٣-١٢). **وهكذا يصير إبراهيم " أباً لجميعنا**"(رو٤: ١٦)، أى لمن يؤمن من اليهود أو الأمم " **إعلموا إذاً أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم** "(غل٣: ٧)، أما الذين ينتسبون إليه بالدم وحده فلا علاقة لهم به "**والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرر الأمم، سبق فبشر إبراهيم أن "فيك تتبارك جميع الأمم"** (تك١٨:١٨، ٢٢:١٨، غل٣:٨)، وهكذا يشير **القديس بولس** إلى الذين يؤمنون ويحبون ويطيعون يسوع المسيح أنهم "**إسرائيل الله**" (غل٦: ١٦).

ثالثا : اليهود يعثرون فى المسيح:

رغم البداية المشرقة لعلاقة **الله** باليهود: الوعد، إيمان إبراهيم، إسرائيل والأسباط، موسى والوصايا، الخروج من مصر بذراع رفيعة، داود النبى والملك، سليمان والهيكل، الأنبياء، إلا أن مضى الزمن حمل معه النكسات والسقطات المتوالية والعقوق والتغرب عن **الله** وعهود الآباء. وصوت الحق ضعُف كثيراً حتى أن رجال الناموس - لما جاء المسيح - لم يروْا فيه المسيا وتحقيق النبوات. وبينما قبله البسطاء والجهال والضعفاء والأدنياء، رفضه الحكماء والأقوياء والمؤتمنون على الشريعة. وسيق المسيح إلى الصليب وصراخ "**جميع الشعب**" يتعالى ويصخب " **دمه علينا وعلى أولادنا**"(مت٢٧: ٢٥). وبينما صار **الصليب** عثرة لليهود (١كو١: ٢٣) انفتح به الطريق للأمم للخلاص ودخول ملكوت الله.

رابعاً : القديس بولس يتشفع من أجل اليهود :

فهل هذه كانت النهاية؟ وهل سقط العهد بين **الله** وإبراهيم؟ وإذا اعتُبر إبراهيم أبا لجميعنا، فهل سيبقى اليهود وحدهم حتى النهاية خارج دائرة الخلاص؟

هذا كان همّ **القديس بولس** الذى كان يؤرّقه، والذى جعله متألما حزينا لرفض اليهود إخوته (حسب الجسد) لخلاص المسيح ضد المنطق الطبيعى للأشياء، باعتبارهم شعب الله الذى يعرف النبوات. حتى أنه - فى توقه لخلاصهم- كتب يقول " **فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد**"(رو٩: ٣) (برغم كل ما عاناه منهم من اضطهادات). ودافعه فى الأساس لهذه المبالغة فى القول هو الخلاص الذى تمتع به والنور الذى أضاء حياته.

فهو ليس بالطبع مستعدا للتخلى عن إيمانه **بالمسيح**، وهو الذى سجّل فى نفس الرسالة قبل هذا الكلام مباشرة أن لا شئ يمكن أن يفصله عن محبة المسيح (رو٨: ٣٥-٣٩)، ولكنه تعبير عاطفى ينبع من محبة غامرة وغيرة من الأمم الذين دخلوا الإيمان، بينما اليهود أصحاب الموعد متغربون عن محقّق الوعد، ولا يتفق مع القانون الإلهى " **الأخ لن يفدى الإنسان فداءً ولا يعطى الله كفارة عنه**"(مز٤٩: ٧)، **والمسيح** وحده هو الذى بدمه وجد للكل فداءً أبدياً (رو٥: ١٥، ١٧-١٩، عب٩: ٢).

وقبل **القديس بولس** بألف وخمسمائة عام وقف **النبى موسى** بنفس العاطفة يتشفع أمام الله فى شعب إسرائيل عابد العجل الذهبى " **والآن إن غفرت خطيتهم وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت**" (خر٣٢: ٣٢). والهدف فى الحالين هو الدخول من باب تحنن الله إلى قلبه لكى يشفق ويستجيب.

خامساً: فهل رفض الله شعبه؟

.. رغم أن لهم **التبنى** [كما قال الرب لموسى قبل الضربة العاشرة " فتقول لفرعون هكذا يقول الرب **إسرائيل ابنى البكر**، فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى فأبيْت أن تطلقه، ها أنا أقتل ابنك البكر"(خر٤: ٢٢، ٢٣)]، **والمجد** [كما رأوا مجد الله فى تابوت العهد وعمودى السحاب والنار فى البرية والخيمة والهيكل (خر٤٠: ٣٤، لا١٦: ٢، عد٩: ١٥)]؛ **والعهود** (مع إبراهيم وموسى وغيرهما)؛ **والاشتراع** (ناموس موسى)؛ **والعبادة** (الطقوس والذبائح)؛ **والآباء**؛ وفوق الكل " **ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد**" (رو٩: ٤، ٥)؟

والإجابة: **لا..لم يرفض الله شعبه.. وكلمة الله لم تسقط ووعده قائم "لم يرفض الله شعبه الذى سبق فعرفه"**(رو١١: ٢). كيف؟.. هذا هو **تفسير القديس بولس**:

(١) " ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون (بالمعنى الروحى)"(رو٩: ٦). فالإسرائيلى الحقيقى هو من بقى أمينا على ميراث الآباء وانكشف له الحق الذى فى المسيح، الذى هو غاية الوعد ومحور العهد القديم كله، وآمن به ودخل به فى عهد الله الجديد، ولم تقف آماله عند حدود الأرض والعالم الحاضر[1].

---

(١) **والقديس بطرس** في رسالته الأولى يتكلم هو أيضاً عن **ميراث المؤمنين** أنه ليس **الأرض** (المختلة بالرومان في ذلك الوقت)، وإنما هو "**ما لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل" المحفوظ لهم في السموات** (١بط ١: ٤)، فأي مفارقة هنا! وهو يخاطب المؤمنين رغم واقعهم الأليم قائلاً "وأما أنتم **فجنس مختار وكهنوت ملوكي وأمة مقدسة وشعب اقتناء** لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب، الذين قبلاً لم تكونوا شعباً **وأما الآن فأنتم شعب الله**" (١بط ٢: ٩، ١٠). وبعد أن أنعم الناموس على بني إسرائيل أن يكونوا "**مملكة كهنة وأمة مقدسة**" (خر ١٩: ٦) فها هو عهد الله الجديد ينسب **الكهنوت الملوكي** لكل **شعب الله** أي الكنيسة جسد المسيح.

وفي رؤيا **القديس يوحنا** (رؤ ٣: ٩) أدان الرب مجمع اليهود في فيلادلفيا وسماه "**مجمع الشيطان**" لأنهم كانوا يدّعون "**أنهم يهود وليسوا يهوذا بل يكذبون**"، أي أنهم ينكرون **نسل إبراهيم** المبارك : **يسوع المسيح**. فالذين يرفضون المسيح ليسوا يهوداً. وكل يهود اليوم ليسوا يهوداً حقيقيين لأنهم ينكرون شخص المسيح مخلص كل العالم بمن فيه اليهود.

(٢) **وليس كل الذين "من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد** (بالمعنى الروحى)" (رو٩: ٧)، أى " **ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلاً**"(رو٩: ٨). والرب قال ردّاً على الذين قالوا له إن أبانا هو إبراهيم " **لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم**" (يو٨: ٣٩). وقال الروح على لسان المعمدان " **إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم**"(لو٣: ٨) [٢].

ولإيضاح هذه الحقائق أورد **القديس بولس** مثالين:

الأول: اسحق هو **ابن الموعد**، وليس إسماعيل ابن هاجر الذى ولد حسب الجسد (غل٤: ٢٢، ٢٣) [والتطبيق: **أننا نظير اسحق أولاد الموعد** (أما الذين اضطهدوا المسيح ومن آمن به فهم نظير **إسماعيل** الذى كان يضطهد أخاه اسحق) (غل٤: ٢٨، ٢٩)].

الثانى: الله أحب **يعقوب** (الابن الصغير لاسحق) وعيّنه بحسب سبق معرفته بأنه سيقبل دعوته ويتجاوب مع محبته، ورفض **عيسو** الكبير (وجعله يُستعبد للصغير) بناءً على سبق معرفته برفض عيسو له.

إذاً فهو الاختيار بالنعمة وحسب علم الله السابق .. والله ليس بظالم (رو٩: ١٤).

---

(٢) في الواقع أن الأمة الإسرائيلية لم تتشكل كلية من **نسل إبراهيم**. فبرغم تذكير شعب إسرائيل مراراً بتميّزهم عن سائر الشعوب (باعتبار دورهم في إظهار مجد وقداسة الله لسائر الأمم)، إلا أن الناموس أتاح انضمام الغرباء إلى شعب الله إن أرادوا. فبالختان يُسمح لغير اليهود المشاركة في الفصح والاحتفال بخلاص الرب لشعبه (خر ١٢: ٤٨، ٤٩).

وفي الحقيقة فإن المقصود **بنسل إبراهيم** هو في الأساس **شخص المسيح**، وأيضاً كل الذين **هم للمسيح**، يهوداً كانوا أم أمماً "**فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسل إبراهيم**، وحسب الموعد ورثة" (غل ٣: ٢٩). **والقديس بولس** يشير إلى كل من يتبعون المسيح أنهم "**إسرائيل الله**" (غل ٦: ١٦).

(٣) ولكن **القديس بولس** فى نفس الوقت يكشف عن حق الله المطلق فى الأساس دون أن نملك مراجعته، فيذكر قوله لموسى (خر٣٣: ١٩) " **إنى أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف**"(رو٩: ١٥)، وكما فى حالة فرعون (خر٧: ٣): " **يرحم من يشاء ويقسّى من يشاء**"(رو٩: ١٨). فإذاً " **ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم**" (رو٩: ١٦). ولا أحد من ثم " **يقدر أن يقاوم مشيئته**"(رو٩: ١٩)، فمن نحن حتى نستجوب الله ونؤاخذه. وهل للجبلة أن تراجع جابلها، وأليس للخزاف سلطان أن يصنع من كتلة طين واحدة إناءً للكرامة (**آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد** = المؤمنين من اليهود والأمم الذين أدركوا البر الذى بالإيمان) وآخر للهوان (**آنية غضب مهيأة للهلاك** = الرافضين الذين اعتمدوا على أعمالهم واصطدموا بحجر الزاوية – الرب يسوع – فعثروا وسقطوا) (مت٢١: ٤٢، ٤٤، رو٩: ٢٠-٢٤، ٣٠-٣٣).

وفى الأنبياء ما يشير إلى تعثّر اليهود ودعوة الأمم وقبولهم الإيمان فها هو النبي **هوشع** يتنبأ عن دخول الأمم فى عهد الله[٣] قائلاً: " **سأدعو الذى ليس شعبى شعبى والتى ليست محبوبة محبوبة ويكون فى الموضع الذى قيل لهم فيه لستم شعبى أنه هناك يُدعَوْن أبناء الله الحى**"(هو٢: ٢٣، ١: ١٠، رو٩: ٢٥، ٢٦). كما تنبأ **إشعياء النبي** عن عودة (بقية) إسرائيل فى آخر الأيام " **إن كان عدد بنى إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص**"(إش١٠: ٢٢، رو٩: ٢٧)، وعن خلاص أمم الأرض (بمن فيهم البقية) فى المسيح يسوع (نسل المرأة) " **لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلا لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة**" (إش١: ٩، رو٩: ٢٩).

رغم كل شئ، فهذا الاختيار الإلهى ليس تعبيرا عن التعسف والعشوائية، غير المبررة سوى بحق الله المطلق، وإنما هو تعبير عن غنى الله ومحبته وعدله وكمال معرفته

---

(٣) والمرأة الكوشية التى اتخذها موسى (عد١٢: ١) ودخول راحاب وراعوث فى سلسلة أنساب المسيح (مت١: ٥) علامات مبكرة على دخول الأمم مع إسرائيل فى عهد المسيح.

وإمهاله وطول أناته واحترامه لحرية الإنسان ومساندته للمجاهدين الأمناء فإن " **الأمم الذين لم يسعوا فى أثر البر أدركوا البر. البر الذى بالإيمان**"، على عكس إسرائيل الذى " **وهو يسعى فى أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر... لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس**" (رو٩: ٣٠-٣٢).

سادساً: لماذا رفض اليهود الخلاص؟

لماذا صار الرب لليهود " حجر صدمة وصخرة عثرة" (رو٩: ٣٢، ٣٣)؟:

(١) كانت " لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة" (رو١٠: ٢):

وفى طلبهم " **أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله**" (رو١٠: ٣). فالانتساب لإبراهيم والاعتماد على الميراث والتاريخ دون إيمان حقيقى لا يؤدى إلى الخلاص وإنما يعوقه " **لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن**" (رو١٠: ٤).

(٢) لم يدركوا بساطة الإيمان :

فالبر الذى بالإيمان لا يتطلب الصعود إلى السماء (لإحدار المسيح) أو الهبوط إلى الهاوية (لإصعاد المسيح من الأموات)، وكلمة الإيمان قريبة منك فى فمك وفى قلبك (رو١٠: ٦-٨، قابل مع تث٣٠: ١١-١٤) " **لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص**" (رو١٠: ٩، ١٠).

(٣) رفضهم شمول حب الله كل البشر:

فالله "هو **رب الكل**" (أع١٠: ٣٦) كما قال **القديس بطرس** فى بيت كرنيليوس. **والقديس بولس** هنا يؤكد لليهود أنه " **لا فرق بين اليهودى واليونانى لأن رباً واحداً للجميع.. لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص**" (رو١٠: ١٢، ١٣).

(٤) تخليهم عن دورهم فى كرازة الأمم:

كان اليهود كشعب مؤهلين للكرازة للعالم بالخلاص، ولكنهم تخلوا عن دورهم تحت ضغط كراهيتهم وتعصبهم ضد الأمم. وهكذا تعطل خلاص الأمم طويلاً وتأخر إسهامهم فى الكرازة، **إذ كيف يدعون "بمن لم يؤمنوا به؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟ وكيف يكرزون إن لم يُرسلوا"** (رو١٠: ١٤، ١٥). وقد أرسل الله لليهود الكارزين (بالمسيح)، المبشِّرين بالسلام الذين " **إلى جميع الأرض خرج صوتهم والى أقاصى المسكونة أقوالهم**" (مز١٩: ٤، رو١٠: ١٨) ولكنهم رفضوا، فهم لم يأخذوا وبالتالى لم يعطوا.. والجميع خسروا.

(٥) عصيانهم قديم بشهادة الكتاب وبقبول الأمم الإيمان قبلهم:

فموسى فى ختام خدمته يقول لهم " **أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة. هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم. قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى**" (تث٣١: ٢٧). وفى نشيده يذكر قول الرب "**هم أغاروني بما ليس إلهاً. أغاظوني بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعباً. بأمة غبية أغيظهم**" (تث٣٢: ٢١). وهكذا ذكر **إشعياء النبي** عنهم قول الله " **بسطت يدى طول النهار** (أى على مدى القرون) **إلى شعب متمرد**" (إش٦٥: ٢) والذى قال عن الأمم " **وُجدت من الذين لم يطلبونى وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عنى**" (إش٦٥: ١، رو١٠: ٢٠).

(٦) ثم كانت القساوة بدوام التغرب عن الله وتخليه عنهم:

" **أما الباقون فتقسوا. كما هو مكتوب أعطاهم الله روح سبات وعيوناً** (كليلة) **حتى لا يبصروا وآذاناً** (صماء) **حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم** (إش ٢٩: ١٠) **وداود** يقول: "**لتصر مائدتهم فخاً وقنصاً وعثرة ومجازاة لهم. لتظلم أعينهم كى لا يبصروا ولتُحن ظهورهم فى كل حين**" (مز٦٩: ٢٢، رو١١: ٧-١٠).

سابعاً: الله استخدم زلة اليهود لقبول الأمم ومن ثم إغارتهم للعودة:

رغم كل الظروف المضادة، يعود **القديس بولس** فيؤكد " **لم يرفض الله شعبه الذى سبق فعرفه**" (رو١١: ٢). وكما فى أيام **إيليا** الذى كان يتوسل إلى الله ضد إسرائيل " نقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف **فبقيت أنا وحدى** وهم يطلبون نفسى ليأخذوها"، وكانت إجابة الرب " **أبقيت لنفسى سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل**" (١مل١٩: ١٤، ١٨، رو١١: ٣، ٤)، "**فكذلك فى الزمان الحاضر أيضاً قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة**" (رو١١: ٥).

وفى كل جيل توجد **هذه البقية الأمينة** التى تختارها النعمة، وهى ربما لا تكون معروفة للناس ولكن الله يعرفها بأسمائها. إذاً فهى **النعمة** الغنية التى تفيض على المختارين **وليس الأعمال**، فما سعى إليه إسرائيل بأعماله " **لم ينله ولكن المختارون** (من الأمم) **نالوه**" (أى الخلاص)" (رو١١: ٧).

ولكن إذا كان اليهود قد عثروا فلم يكن هذا مقدمة لسقوطهم من النعمة، وإنما من أجل بركة عظمى للأمم " **فبزلّتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم**" (رو١١:١١). هكذا أخرج الله من الجافى حلاوة (قض١٤:١٤). فبرفض اليهود للمخلص وتقاعسهم عن الإيمان انفتح باب الخلاص للأمم، والآخِرون صاروا أولين لكى يغار اليهود، شعب الله القديم، ويرجعوا إلى الله فيشفيهم، ويشتركوا هم أيضاً فى كأس الخلاص.

وفى ابتهاج **القديس بولس** بما ستحمله آخر الأيام من دخول من بقى من اليهود فى عهد الله الجديد، أخذ ينشد مسبحاً (رو١١:١٢،١٥،١٦)، كاشفاً عن بهاء الأيام الأخيرة، وكيف يتحول البؤس والظلمة والموت إلى نور وحياة:

" **فإن كانت زلتهم** (تعثرهم) **غنًى للعالم ونقصانهم** (إيمان البعض وليس الكل) **غنًى للأمم، فكم بالحرى ملؤهم** (رجوع الخراف الضالة إلى راعى نفوسهم وأسقفها - ١بط٢: ٢٥)؛

و" **إن كان رفضهم هو** (قد أدى إلى) **مصالحة للعالم، فماذا يكون اقتبالهم إلا حياة من الأموات** (قيامة من موت الخطية)، **وإن كانت الباكورة** (الآباء) **مقدسة فكذلك العجين** (بقية اليهود الذين يؤمنون بعمل نعمة الروح)؛

و"**إن كان الأصل** (=الجذر: الآبـــاء) **مقدساً فكذلك الأغصان** (=يهـــود النهاية الذين سيتصلون بالكرمة الحقيقية والكنيسة بالإيمان)".

ثامناً: حديث إلى الأمم التي قبلت الإيمان:

(١) "لا تستكبر بل خف" (رو١١: ٢٠):

كما تحدث **القديس بولس** عن **اليهود**، مبيناً انحرافهم عن خط الآباء حتى صاروا تحت غضب الله وكيف أفلت منهم الخلاص فى حينه بعثرتهم فى المخلص ورفضهم له حتى أنهم أسلموه ليصلب، وكيف كان هذا هـــو البـــاب الـــذى دخلت منه الأمم بعد أن كانت " فى الشوارع والأزقة والطرق والـــسياجات" (لو١٤: ٢١، ٢٣). وهذا بالتالى ستستخدمه نعمة الله لكى يـــستعيد اليهـــود موقعهم ضمن أهل بيت الله؛

ها هو يوجه الحديث إلى **الأمميين العائدين**، محذراً إياهم إذ دخلوا فى الإيمان ألا يستكبروا أو يغترّوا أو يتعالوا على الشعب، المرفوض حتى الآن، **فهو الذى حفظ الإيمان وهو الذى بواسطته صار لهم دخول فى النعمة**. وهو يـــستخدم المثال التالى – من عالم الزراعة – لتوضيح الصورة:

فأمامنا **أصل الزيتونة** (أى **الكنيسة** الممتدة منذ **الآباء** وحتى اليوم) التى قُطعت منها **بعض الأغصان** (أى **اليهود** الذين رفضوا المسيح). وأنت "**أيها الأمـــى**"، فى هذا المثال، **زيتونة برية** (بما يعنى أنها كانت مُرَّة، أى خالية من كل فضيلة) طُعّمتَ فيها وصرتَ كسائر أولاد الله مدعوا للحياة الأبدية. فلا يليق أن تفتخـــر علـــى الأغصان التى قُطعَت. لا تشمت بها أو تزدرى، فأنت مجرد فرع والأصل يحملـــك وليس أنت الذى تحمل الأصل.

ربما تقول متفاخراً قُطعت الأغصان (التى لم تؤمن) لأُطعَّم أنا. ولكن انتبه.. فهى " **من أجل عدم الإيمان قطعت وأنت بالإيمان ثَبَتّ**" وبالتالى " **لا تستكبر بل خف**" (رو١١: ٢٠)[٤] " **لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية** (وقطعها) **فلعله لا يشفق عليك أيضاً** (إن أنكرت الإيمان)" (رو١١: ١٧-٢١). فعلى الأمم (ونحن منهم) ألا تنسى دَيْنها للشعب اليهودي. وسداد الدَيْن يكون بالتوحّد مع من تحققت فيه وعود يهوه وعهده بأن يسكن بينهم (خر ٢٥:٨)، أي **عمانوئيل**.

ولننتبه. ففى **الله** يجتمع اللطف والصرامة: الصرامة ذاقها الذين سقطوا " **أما اللطف فلك إن ثبتَّ فى اللطف وإلا فأنت أيضاً ستقطع. وهم إن لم يثبتوا فى عدم الإيمان** (ورجعوا نادمين) **سيطعَّمون** (فى أصل الزيتونة) **لأن الله قادر أن يطعّمهم أيضاً. لأنه إن كنت قد قطعت من الزيتونة البرية** (سائر الأمم) **حسب الطبيعة** (بكل شرور الأمم) **وطُعِّمت بخلاف الطبيعة فى زيتونة جيدة فكم بالحرى يُطعم هؤلاء** (اليهود الراجعين) الذين **هم حسب الطبيعة فى زيتونتهم الخاصة** (ويعودون إلى أصلهم الذى انفصلوا عنه مؤقتاً)" (رو١١: ٢٢-٢٥).

(٢) هذا هو السر:

فى الختام يذيع **القديس بولس** السر المكتوم كى لا يكون مؤمنو الأمم (أى نحن) حكماء عند أنفسهم ويخطئوا التفسير " **أن القساوة قد حصلت جزئياً** (ليس لجميع) **لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم** (مختارو الأمم الذين سبق الله فعرفهم). **وبعده يعود المتغربون فى النهاية كأولين يصيرون آخرين** يدخلون من الباب الضيق"، **وهكذا سيخلص جميع إسرائيل** (أى الآباء المؤسسون واليهود العائدون - الباقون أو البقية) الذين كانوا قد تقسوا ورفضوا **المسيح**

---

(٤) وهو ما تنبهنا إليه كلمة الله ألا ننتشى وننتفخ بتقدمنا الروحى كأنما هو بقدرتنا، وإنما أن نتحرز ونتضع و"**تمم خلاصنا بخوف ورعدة**" (فى٢: ١٢) لئلا يجربنا الشيطان " **إذاً من يظن أنه قائم فلينظر ألا يسقط**" (١كو١٠: ١٢) " **جربوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان**" (٢كو١٣: ٥).

فى مجيئه الأول " **كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ** (الرب يسوع) **ويرد الفجور عن يعقوب** (إسرائيل الحقيقى) **وهذا هو العهد** (الجديد) **من قبلى لهم متى نزعت خطاياهم**" (إش٥٩: ٢٠، ٢١، رو١١: ٢٥-٢٧).

(٣) بين اليهود والأمم:

فاليهود، وإن صاروا أعداء برفضهم إنجيل **يسوع المسيح**، فهم أحباء من جهة الاختيار والنعمة من أجل الآباء " **لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة**" (رو١١: ٢٨، ٢٩).

" **فإنه كما كنتم أنتم مرة** (سابقاً) **لا تطيعون الله، ولكن الآن رُحمتم بعصيان هؤلاء** (جاءتكم الدعوة بعد رفضهم لها)، **هكذا هؤلاء أيضاً الآن لم يطيعوا، لكى يُرحموا هم أيضاً برحمتكم** (دخولكم الإيمان يجعل لهم بالأوْلى نصيباً فيه من أجل العهد الذى قطعه الله مع آبائهم- فالجميع زاغوا وفسدوا ونعمة الخلاص شملت الكل يهوداً وأمماً) **لأن الله أغلق على الجميع معاً فى العصيان لكى يرحم الجميع**" (رو١١: ٣٠-٣٢).

ومن أجل البشارة بالأخبار السعيدة التى ستجمع كل المتفرقين إلى واحد فى آخر الأيام، نرنم مع **القديس بولس** مسبحين الله الذى يمسك بيديه المصائر "**يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء. لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً؟. أو من سبق فأعطاه فيكافأ؟ لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد. آمين**". (رو١١: ٣٣-٣٦).

إسرائيل الكتاب وإسرائيل الدولة

كتب معلمنا القديس بولس فى رسالته إلى رومية (رو١١:٢٥-٣٢) عن عودة بقية إسرائيل إلى الإيمان بالمسيح، بعد طول إعراض ورفض ومقاومة انتهت بصلب السيد وموته، ولكنه قام ناقضا أوجاع الموت. **فهل لتأسيس دولة إسرائيل فى أربعينات القرن الماضى علاقة ما بهذه العودة المرتقبة؟ وهل فى قيام هذه الدولة تحقيق للنبوات وبالتالى تصير مقاومتها مناوأة وتحديا للترتيب الإلهى؟** فيما يلي مناقشة لهذه القضية.

وطن قومى لليهود - خلفية تاريخية :

قبل أن تغرب شمس القرن الثامن عشر (١٧٩٩) وقف **نابليون** أمام أسوار عكا مخاطباً اليهود يدعوهم إلى تملك أرضهم فى فلسطين، ولكن دعوته أجهضتها هزيمته أمام أسوار عكا. وفى ١٨٠٧ أعاد تأسيس مجمع السنهدريم القديم الذى من جانبه رفض فكرة إقامة الدولة قبل مجيء المسيح، كما عارض

المشروع الذى اقترحه اليهودى الأمريكى **موردخاى نوح** (١٨١٨) بإنشاء دولة مؤقتة (أرارات) فى جراند أيلاند على نهر نياجرا (ولاية نيويورك).

منذ ذلك الوقت أخذت تتصاعد الدعوة إلى إنشاء وطن قومى لليهود الذين كانوا يعانون الاضطهاد والتمييز فى أوروبا، وهاجر منهم كثيرون إلى الولايات المتحدة حيث طالب المبشر **وليام بلاكستون** (١٨٩١) **الرئيس هاريسون** بوطن لليهود فى فلسطين وليس فى أى مكان آخر (قبرص أو أوغندا كما كانت تقترح بريطانيا).

واستجابة لمطلب الكاتب النمساوى **تيودور هرتزل** انعقد فى بازل بسويسرا (١٨٩٧) أول مؤتمر صهيونى. وفى نوفمبر ١٩١٧ أخذ اليهود وعداً من **لورد بلفور** وزير خارجية بريطانيا بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين العربية على ألا يضار سكان البلاد، وأيّد هذا الاتجاه الرئيس الأمريكى **وودرو ويلسون**، وكان من الدوافع انتزاع القدس المسيحية من أيدى العثمانيين.

زادت مشكلة اليهود حدة تحت حكم النازى فى ألمانيا بقيادة **أدولف هتلر**، الذى أخذ على عاتقه التخلص من اليهود حفاظا على نقاء العنصر الألمانى الآرى، فكانت الإعدامات الجماعية لملايين اليهود (**بما يعرف بالهولوكوست**). وبعد هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الثانية وإنشاء الأمم المتحدة (١٩٤٥)، اتخذت جمعيتها العامة قرارا بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود (١٩٤٧). وكانت فلسطين منذ الثلاثينيات تحت الانتداب البريطانى الذى أتاح بضغط أمريكى تدفق المهاجرين اليهود إلى فلسطين (خاصة من أوربا الشرقية).

وبعد خروج بريطانيا من فلسطين، أُعلن قيام **دولة إسرائيل** فى ١٩٤٨/٥/١٥. وأدت حربا ١٩٤٨و ١٩٦٧ إلى توسعها ووضع يدها على كل **القدس**، ولجوء ملايين العرب إلى الدول العربية المحيطة أو هجرتهم إلى الخارج. وبسبب محاصرتها بالعداء فقد اعتمدت دولة إسرائيل على تفوقها العسكرى الذى كفلته مساندة الدول الكبرى خاصة الولايات المتحدة.

ووسط صخب السياسة وقعقعة السلاح تأتى محاولات إحياء التاريخ بالسعى لإعادة بناء **هيكل سليمان**[1] ولتكون أورشليم عاصمة الدولة، وهى التى يتنازعها الفلسطينيون مع اليهود.

مقابلة :

هكذا نرى إن **إسرائيل الدولة** الحالية، التى تأسست بوعود وقرارات دولية، لا تتصل اتصالا مباشرا بشعب **إسرائيل القديم**، إلا بمقدار ما قد يخدم هذا التجمع اليهودى تحقيق وعد الله بالعودة إلى دائرة شعب الله الذى انفصلوا عنه، عندما رفضوا الخلاص الموعود به فى الابن المتجسد.

فهى لم تنشأ بصوت إلهى، وإنما بمساندة سياسية لدول لها استراتيجياتها وباستخدام السلاح الذى أدى إلى إبادة قرى بأكملها وقتل وجرح الآلاف وتشريد الملايين (مسلمين ومسيحيين) ممن كانوا يقيمون فى الأرض منذ عشرات القرون[2].

والعداء القديم بين إسرائيل والفلسطينيين لم ينطفئ و**جليات** القديم لم يعد عملاقا وتضاءل حجمه، والشاب **داود** ذو المقلاع والحياة المقدسة والمستند إلى

---

(١) بنى **الملك سليمان** هيكله نحو عام ١٠٠٤ ق.م. ولكنه هُدم للمرة الأولى حوالي عام ٥٨٧ق.م. على يد **نبوخذ نصر** ملك بابل عندما سقطت أورشليم في أيدي البابليين. وقد أعاد بناءه **زروبابل** حاكم اليهودية (٥٣٦-٥١٦ ق.م) بأمر **كورش** ملك فارس، ولكن القائد الروماني **أنطيوخس** قام بتدميره عام ١٥٠ق.م (وذلك للمرة الثانية). وفي عام ١٩ ق.م. بدأ **هيرودس الكبير** (الذي عينه الرومان ملكاً سنة ٣٧ ق.م) إعادة بنائه (للمرة الثالثة)، وسُمي باسمه: **هيكل هيرودس**، واستمر بناؤه حتى عام ٦٤م. ولكن لم تمض سنوات حتى تحققت نبوة الرب عن خراب الهيكل (مت ٢٣:٣٨، ٢٤:٢، مر ١٣:٢، لو ٢١:٦، ٢٠)، الذي بدأ بأن انشق حجابه يوم الصليب (مت ٢٧:٥١، مر ١٥:٣٨)، وتم تدميره نهائياً على يد القائد الروماني **تيطس** سنة ٧٠م.

(٢) قبل قيام إسرائيل كان العرب يشكّلون ٨٨٪ من المقيمين فى فلسطين. ولكن المؤسسين لدولة إسرائيل دأبوا على إنكار وجود فلسطين وتبنوا الكلمة المشهورة " أنها أرض بدون شعب لشعب بدون أرض" و لم يبالوا بحقوق الغرباء ضد أمر الله " **لا تضطهد الغريب ولا تضايقه**"(خر٢٢: ٢١، ٢٣: ٩) " **كالوطنى منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك لأنكم كنتم غرباء**" (لا١٩: ٣٣، ٣٤، تث١٠: ١٩). هذا عن "الغريب" الوافد فكم بالحرى يكون الموقف من "المقيم" فى الأرض من قبل " **ويكون أنكم تقسمونها بالقرعة لكم وللغرباء المتغربين فى وسطكم.. فيكونون لكم كالوطنيين من بنى إسرائيل. يقاسمونكم الميراث فى وسط أسباط إسرائيل**"(حز٤٧: ٢٢).

قوة رب الجنود حل محلَه جيش يستخدم أحدث الأسلحة، يقتل ويشرد دون رحمة، ويعمق العداوة بغير رجعة، وقادته معظمهم ملحدون وإلههم الحقيقى هو الأمة والأرض.

وإسرائيل الحالية توقف عجلة الزمن لألفى عام، وتُسقط مجىء المخلص، "**ملك اليهود**"، ابن داود، وغاية النبوات والمبشِّر بعهد الله الجديد، لإحياء الدولة التى سقطت منذ السبى قبل ثلاثة آلاف عام. **فأحلام السيطرة والسيادة والأطماع القومية والتوسعية هى الغالبة، ودورهم كشعب الله الذى يخدم العالم ويبشر بالخلاص لكل الشعوب انسحق تحت عجلات آلة الحرب الجبارة وتنفيذاً لمخططات الدول الكبرى**(٣).

عودة إلى التاريخ الأليم :

لو عدنا إلى أعماق الزمن، نجد أن انحراف إسرائيل قديم، وتطلعاتهم الأرضية هى التى تحكمهم بدءاً من **عبادة العجل الذهبى فى سيناء** (خر٣٢)، **والمطالبة بملك كسائر الأمم**، الأمر الذى لم يكن موضع رضى الرب (١صم٨: ٥-٩).

وحتى **داود** المحبوب لم يرضِ الله سفكُه للدماء فى الحروب، فلم يسمح له ببناء الهيكل (١أى٢٢: ٧، ٨) وإنما **لسليمان** الذى أنذره الله، رغم هذا، قائلاً "**إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائى ولا تحفظون وصايای.. بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها، فإنى أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التى أعطيتهم إياها، والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى، ويكون إسرائيل مثلا وهزأة فى جميع الشعوب، وهذا البيت يكون عبرة**"(١مل٩: ٦-٨).

---

(٣) رغم كل شئ، فإن علاقات بعض الكنائس الإنجيلية الغربية بإسرائيل والصهيونية وثيقة جداً، حتى لقد صار من التعبيرات الشائعة "المسيحية الصهيونية"، وهو ما يشير إلى إيمان هذه الكنائس بأن قيام دولة إسرائيل هو جزء أساسى فى خطة الله.

وفيما بعد غضب الرب على سليمان لانحراف قلبه ومزّق مملكته (١مل١١: ٩-١٣). وانقسام المملكة فتح الباب أمام دوامة العنف. فإسرائيل يبغى التوسع والدول المحيطة تبادله العداء وتسعى للتخلص منه.

وبعد أربعة قرون من عهد داود يأتى انهيار أورشليم وسبى بابل على يد **نبوخذ نصر** (٥٨٧ ق.م)، والذى كشف أن الله ليس عنده محاباة. والشعب الذى آزره الله طويلا لم يعفه من العقاب عندما أخطأ، ولا تغاضى عن خيانته وإعراضه عن وصاياه، وكلمات الله ونبوات الأنبياء (ومنهم هوشع وميخا وحبقوق) حافلة بغضب الله وما ينتظر إسرائيل من ويلات إذا انحرف " **ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية**"(تث٧: ٧، ٨) " **لا تقل فى قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلا: لأجل برى أدخلنى الرب لأمتلك هذه الأرض.. ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك. ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتملك أرضهم.. لأنك شعب صلب الرقبة**"(تث٩: ٤-٦)؛ " **فتعلمون أنى أنا الرب إذا فعلت بكم من أجل اسمى لا كطرقكم الشريرة ولا كأعمالكم الفاسدة يا بيت إسرائيل**"(حز٢٠: ٤٤).

كان **السبى** (النفى) فرصة ليقظة الكثيرين وعودتهم إلى أصالة الدعوة الإلهية بعد انهيار أحلام العزة القومية، كما عبَّر عن ذلك سفر حزقيال "**وأعطيهم قلباً واحداً وأجعل فى داخلكم روحاً جديداً وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم لكى يسلكوا فى فرائضى ويحفظوا أحكامى ويعملوا بها ويكونوا لى شعباً فأنا أكون لهم إلهاً** " (حز١١: ١٩، ٢٠).

على أن عودة إسرائيل من السبى، فى أعقاب انهيار بابل تحت ضربات **كورش** ملك الفرس (٥٣٨ ق.م)، لم تحقق قصد الله فى رجوعه إليه، ومثل آدم

انطوى إسرائيل ملتحفا بآماله القومية، وها هو **إشعياء النبي** فيما كتبه بعد السبى يعلن فتح الهيكل أمام عابدى الله "... **آتى بهم إلى جبل قدسى وأفرحهم فى بيت صلاتى.. لأن بيتى بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب**" (إش٥٦: ٦، ٧؛ زك٢: ١-٥). ولكن بعد بناء الهيكل بقيادة **عزرا ونحميا** وإحاطة أورشليم بالأسوار تعالت من جديد الدعوة إلى إعادة بناء الكيان السياسى للأمة.

الرجاء فى المسيا :

على أن وعد الله القديم بأن يكون إسرائيل مصلحا لشعوب الأرض وجد من يخلصون له فى إسرائيل. وهؤلاء هم "**البقية**" الذين انحصر رجاؤهم لا فى قوة السلاح وإنما فى خلاص الرب، الذى توالت عنه نبؤاتهم بكل تفصيل:

" **أبغضوا الشر وأحبوا الخير.. لعل الرب إله الجنود يتراءف على بقية يوسف**"(عا٥: ١٥)؛

" **وأما بيت يهوذا فأرحمهم وأخلصهم بالرب إلههم ولا أخلصهم بقوس وبسيف وبحرب وبخيل وبفرسان**"(هو١: ٧)؛

" **بقية إسرائيل لا يفعلون إثماً ولا يتكلمون بالكذب ولا يوجد فى أفواههم لسان غش**"(صف٣: ١٣)؛

" **الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيماً. الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور.. لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتّها ويعضدها بالحق والبر من الآن والى الأبد**" (إش٩: ٢-٧)؛

" **هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى. وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته... لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض... أنا الرب قد دعوتك بالبر... وأجعلك عهداً للشعب ونورا للأمم**" (إش٤٢: ١-٧، مت١٢: ١٧-٢١)؛

" **الرب من البطن دعانى من أحشاء أمى ذكر اسمى.. قد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض**" (إش٤٩: ١-٦)؛

" **ابتهجى جداً يا ابنة صهيون اهتفى يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتى إليك هو عادل ومنصور ووديع... ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصى الأرض**" (زك٩: ٩، ١٠)؛

" **لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها. ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبحُبُره شفينا... والرب وَضع عليه اثم جميعنا. ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه... أما الرب فسُر بأن يسحقه بالحزن.. وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين**"(إش٥٣: ٤-١٢).

وفى كتاب **تعزية إسرائيل**، الذى يضم الأصحاحات ٤٠ إلى ٥٥ من سفر إشعياء، ويعود إلى أواخر زمن السبى، يعلن النبى أن مسيا سيجمع حول الله إسرائيل وكل الأمم، وفى نفس الاتجاه يتنبأ زكريا " **ويكون الرب ملكا على كل الأرض. فى ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده**" (زك١٤: ٩).

تحقيق الوعد فى المسيح وكنيسته :

المسيح رفض أن يكون مسيحا قوميا، أو أن يملك على الأرض، وإن جاء يهوديا وإلى اليهود أولا ومنهم ينطلق إلى العالم كله. ففى التجربة على الجبل رفض ممالك العالم ومجدها (لو٤: ٥-٨) كما انسحب إلى الجبل وحده لما علم بعزم الجموع أن يختطفوه ليجعلوه ملكاً (يو٦: ١٥). وهو وبَّخ بطرس الذى حثّه أن يتفادى الصليب لتحقيق الآمال (مر٨: ٣٢-٣٣) وأعلن **أن مملكته ليست من هذا العالم**" (يو١٨: ٣٦) وإن كانت " **فى العالم**" (يو١٧: ١١، ١٤، ١٨).

و"**مملكة المسيح" هى الكنيسة** التى تملأ السماء والأرض، وهى جسده وهو رأسها مالئ الكل، وهى بذرة الملكوت والخميرة الصغيرة التى تخمر العجين كله، وهى نواة الخليقة الجديدة، وهى " **شعب الله المختار" الجديد** المدعو إلى تتميم الدور الذى أخفق إسرائيل القديم فى الاضطلاع به، وبها يتحقق وعد الله لإبراهيم " **يتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض**" (تك١٢: ٣، ٢٢: ١٨). و"**أرض الميعاد" هى ملكوت الله** (مت٥: ٣، ٥، ١٠) الذى يبدأ فى القلب (لو١٧: ٢١) والمشار إليها **بأورشليم الجديدة والأرض والسماء الجديدة** فى الرؤيا (رؤ٢١: ١-٤).

والمسيح وبخ اليهود معاصريه بأنهم جيل شرير وفاسق(مت١٢: ٣٩)، كما حمّلهم كل جرائم آبائهم وصب الويلات على الكتبة والفريسيين والناموسيين: " **لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين (وآباؤكم قتلوهم) وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم. لذلك ها أنا** (حكمة الله) **أرسل إليكم أنبياء (ورسلاً) وحكماء وكتبة، فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون فى مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة. لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل (البيت) والمذبح...**" (مت٢٣: ٢٩-٣٦، لو١١: ٤٧-٥١).

والمسيح تنبأ عن خراب الهيكل مركز العبادة القديمة، وهو ما تحقق بعد صعوده بأربعة عقود (سنة ٧٠م)، واستكمل سنة ١٤٠م، ولم يبق منه غير **حائط المبكى.. وإن محاولة دولة إسرائيل بناء الهيكل فوق مكانه القديم لن يكتب لها النجاح لأن كلام الله لا يسقط.**

إن عودة إسرائيل إلى الله لن تتم من خلال دولة رافضة للمسيح، ولا تزال تنتظر "المسيا" وتستخدم السلاح وقوة هذا الدهر لا قوة الله، وإنما من خلال اكتشاف الحق والندم والتوبة وتصحيح المسار، ومصالحة الجيران الذين عانوا منهم الويلات، وإعلان الإيمان بالمخلص وتصديق النبوات وفهمها الفهم الصحيح كما تحققت فى شخص مخلص العالم.

نعم.. هذا لن يحدث إلا كعلامة لآخر الأيام. وربما كنا بالفعل قريبين من هذه النهاية. فتجمع الملايين من يهود العالم فى دولة واحدة ييسر هذا التحول. وهناك الآن بالفعل، ومنذ الستينات من القرن الماضي، جماعات يهودية تؤمن بالمسيح أنه المخلص الذي فيه تتحقق وعود الله في الناموس والأنبياء "**كاليهود المسيّانيين**" (Messianic Jews, Messianic Judaism) و"**اليهود المسيحيين**" (Christian Jews, Jews for Jesus)، كما أن إسرائيل تغض الطرف عن التبشير بالمسيح فى عقر دارها. وهذا التحول يحفزنا للصلاة بإخلاص لليهود كي يتمموا خطة الله للخلاص. **آمين.. تعال أيها الرب يسوع.**

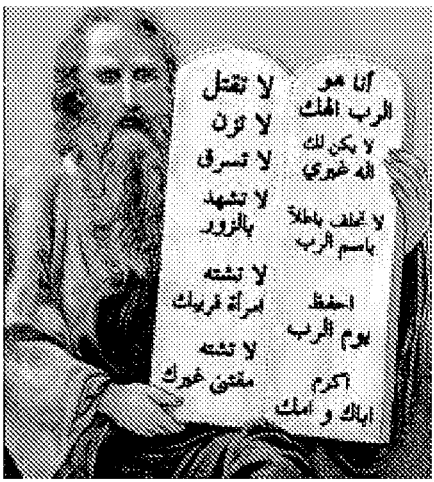

"لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" (خر ٢٠: ٣)

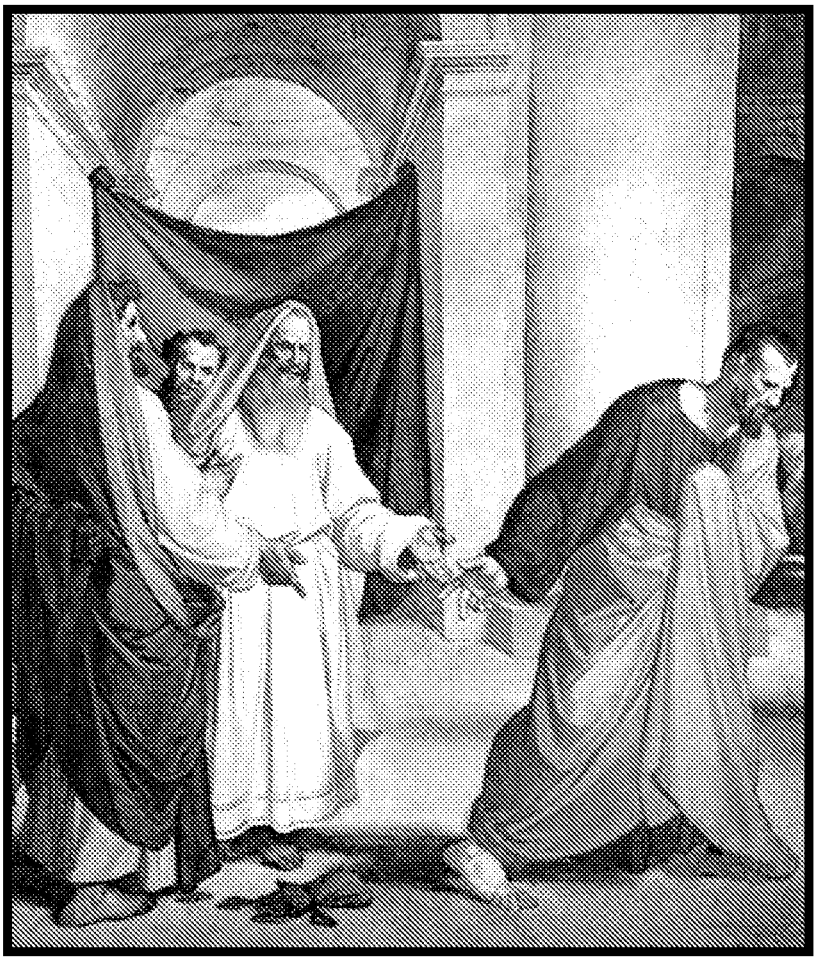

" فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه "

(مت٢٧: ٥)

قضية التجديف على الروح القدس

+ الخطية التي لا تُغفر

الخطية التي لا تُغفر

يبدأ المشهد، الذي يسجله القديس مرقس في بشارته (٣: ٢٢-٣٠)، بالرب ومعه تلاميذه في بيت امتلأ بالجموع: فقراء ومرضى وغيرهم. ثم يترل من أورشليم عدد من الكتبة، وهم مَن امتلأ قلبهم بالغيرة والحسد بسبب التفاف الناس حول المسيح وانفضاضهم من حولهم. بهذه المشاعر اتجهوا إلى البيت حتى جاءوا إلى الرب كي يواجهوه باتهامهم أنه فيما يجريه من معجزات إخراج الشياطين يستعين ببعلزبول[١] رئيس الشياطين، وبحسب النص الكتابي: **"إن معه بعلزبول وأنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين"** (مر ٣: ٢٢) [أو أن **"هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين"** (مت ١٢: ٢٤، لو ١١: ١٥)].

---

(١) **بعلزبول (أو بعلزبوب)** أي رب الذباب، وبعل - العبرية - تعني سيد أو رب وجمعها بعليم، وهو لقب رئيس الشياطين. وشيطان (من العبرية Satan) يعني المقاوم ويقابله باليونانية (إبليس Diabolos) أي المشتكي زوراً.

وقبل أن نتناول رد الرب على هذا الإتهام، يضيف إلينا النص المقابل من بشارة القديس متى (١٢:٢٢-٣٧) وبشارة القديس لوقا (١١:١٤-٢٢) أن هناك معجزة بعينها هي التي أطلقت هذه المواجهة وبالتالي هذا الحكم الإلهي عن **الخطية التي لا تُغفر**. وكانت هذه المعجزة، التي شاهدها الكتبة (والفريسيون)، وعمدوا بعدها إلى تجريد الرب من قدرته وقوته الذاتية، ونسْب ما جرى إلى الشيطان، هي **شفاء مجنون أعمى وأخرس** بعد أن طرد منه الروح النجس الذي تلبّسه فأفقده عقله وبصره ولسانه. وبكلمة واحدة من الرب عاد إليه رشده وأبصر وتكلم.

ويبدو أن اتهام الكتبة والفريسيين لم يكن علنيًّا، وإنما دار فقط في أذهانهم. ولكن الرب "**عَلِم أفكارهم**" (مت ١٢:٢٥، لو ١١:١٧)، وأراد أن يكشف مدى خطورة ما فكروا فيه أو قالوه لأنه يطعن مباشرة في القدرة الإلهية، ويلقي بالشبهات على عمل الرب المعجزي وكمال لاهوته.

من هنا فقد استنفر اتهامهم الرب للدفاع عن مجد الله، وتصدّى لهم وبدأ في احتجاجه وتقديم دفوعه، رفضاً لهذا الاتهام الذي رآه ماسًّا به ولا يمكن التساهل فيه. فقال مستنكراً خطل تفكيرهم واستحالته وموضحاً شارحاً بمثال منطقي: "**كيف يقدر شيطان أن يخرج شيطاناً. وإن انقسمت مملكة على ذاتها لا تقدر تلك المملكة أن تثبت (تخرب)، وإن انقسم بيت على ذاته لا يقدر ذلك البيت أن يثبت، وإن قام الشيطان على ذاته وانقسم لا يقدر أن يثبت بل يكون له انقضاء**" (مر ٣:٢٣-٢٦).

وتستكمل بشارتا القديسين متى ولوقا ما قاله الرب: "**وإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يُخرجون؟ لذلك يكونون قضاتكم. ولكن إن كنت أنا بروح الله (بأصبع الله) أخرج الشياطين** (بصورة إعجازية واقتدار لتحرير الإنسان من سلطانهم) **فقد أقبل عليكم ملكوت الله**

(أي اقتربت ساعة الخلاص، فإما أن تؤمنوا فتخلصوا أو أن ترفضوا فيكون نصيبكم الهلاك مع إبليس وجنوده). **أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت** (دار) **القويّ** (يقصد إبليس) **وينهب أمتعته** (ويستعيد إلى الحرية من كانوا في أسر إبليس)، **إن لم يربط القويّ أولاً** (أي يقيّد سلطانه بعمل الدم)، **وحينئذ ينهب بيته** (عنوة)" (مت ١٢:٢٧-٢٩). والنص المقابل لهذا الجزء الأخير من بشارة القديس لوقا يقول "**حينما يحفظ القوي داره متسلحاً تكون أمواله في أمان. ولكن متى جاء من هو أقوى منه** (أي الرب) **فأنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزع غنائمه** (محرّراً أَسْراه)" (لو ١١:١٩-٢٢)[٢].

فالادعاء بتحالف الرب القدوس صانع الخيرات مع الشيطان، عدو الخير والبر والحق، هو إذاً ضد كل منطق. فكل منهما قطب مضاد للآخر، وأي شركة للنور مع الظلمة وأي تلاق للحق مع الضلال (راجع ٢كو ٦:١٤-١٦). فالشيطان هو رمز الشر والفساد بينما الرب جاء لإنقاذ الإنسان من سطوة المُضلّ والكذاب، وفي طريقه نحو الصليب هتف قائلاً "**الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً**" (يو ١٢:٣١)، وأنه بصليبه سيختطف من يد الشيطان سباياه "**وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع**" (يو ١٢:٣٢).

كما أن تدخّل رئيس الشياطين لطرد شيطان من جنوده يعني بداية النهاية لمملكته، وهو ما لا يمكن أن ينزلق إليه، لأن فيه انهيار كيانه الشرير وزوال دولته. وأنه إذا كان مقبولاً أن المسيح يُخرج الشياطين بتعاونه مع الشياطين، فماذا يقول الفريسيون عن أبنائهم الذين هم أيضاً يخرجون الشياطين، فهل هم

---

(٢) ومكتوب عن الرب أنه "**إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا**" (مز ٦٨:١٨، أف ٤:٨).

أيضاً يتخذون نهج المسيح الذي يعادونه، ولكنهم في الحقيقة يصيرون قضاتهم الذين يحكمون عليهم بانحراف القصد والتجديف على الروح القدس وإهانته[٣].

ثم أعلن الرب حكمه على ما ادّعاه الكتبة والفريسيون عليه، كخطيئة كبرى تختلف تماماً عن غيرها، ولا يمكن التسامح فيها أو غفرانها بأي حال فقال: "الحق أقول لكم: **إن جميع الخطايا تُغفر لبني البشر والتجاديف التي يجدفونها**" ولكن "**من جدّف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد، بل هو مستوجب دينونة أبدية، لأنهم قالوا إن معه روحاً نجساً**" (مر٣: ٢٨-٣٠). والنص المقابل في بشارتي متى ولوقا هو "**لذلك أقول لكم : كل خطية وتجديف يغفر للناس وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس. ومن قال كلمة** (سب أو إهانة أو تجاوز) **على ابن الإنسان** (وليس باعتباره ابن الله) **يُغفر له، وأما من قال** (جدّف) **على الروح القدس فلن يُغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي**"[٤] (مت١٢: ٣١، ٣٢، لو١٢: ١٠)

لماذا لا تُغفر خطية التجديف على الروح القدس ؟

لماذا هذا التشدّد الصريح من جانب غافر الخطايا ومعلم التسامح والغفران لمن يسيئون إلينا؟ وما هي خطورة هذه الخطية، حتى أن الرب يجعلها وحدها

---

(٣) **التجديف** Blasphemy حرفياً هو اللعن والطعن أو السَبّ أو التجريح والتشويه أو الإهانة الصارخة أو التجاوز الجسور. وهو مُدان حتى لو وُجّه للإنسان (**كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم** – مت ٥: ٢٢)ــ فبالأولى أن يُدان التجديف على الله وروحه ويستحق أشد العقاب فالله يستحق التسبيح والتمجيد والسجود.

(٤) كلمات الرب الأخيرة تشير إلى غفران في الدهر الآتي، وفسّرته الكنيسة على أنه ما يتصل بخطايا السهو والضعف والجهل عن غير عمد، ومن هنا رتبت الكنيسة الصلاة على الراقدين كي يغفر الرب سهواتهم. ومعلمنا القديس يوحنا يميز بين خطايا الضعف البشري التي يغفرها دم المسيح بتوبة صاحبها فيكتب "**إن رأى أحد أخاه يخطيء خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حياة**" (١يو ٥: ١٦)، ولكنه يشير أيضاً أنه "**توجد خطية للموت**" (١يو ٥: ١٦) ويقصد بها خطايا العمد التي لا يتراجع عنها الخاطيء بالتوبة ومثلها خطية التجديف على الروح القدس.

عصيّة على الغفران، رغم ما يعلنه الإنجيل – البشارة السارة – أنه **"حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً"** (رو٥: ٢٠)، ورغم وعد الله القديم **"إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف النقي"** (إش ١: ١٨)، ورغم الوعد الجديد أن **"دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية"** (١يو ١: ٧)؛ **"إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم"** (١يو ١: ٩).

وكيف يتفق هذا الحرمان الأبدي من الغفران مع وصايا الرب لمن يتبعونه بألا يقاوموا الشر، وأن يصلّوا لأجل الذين يسيئون إليهم ويطردونهم (مت ٥: ٣٩، ٤٤، لو ٦: ٢٧، ٢٨)، بل إن الرب جعل غفراننا لمن يخطئون إلينا شرطاً لكي ننال نحن الغفران الإلهي (مت٦: ١٢-١٥، مر ١١: ٢٥، ٢٦، لو ٦: ٣٧)؛

فماذا جرى حتى يدهشنا الرب بألا يتسامح هذه المرة مع ادعاءات الكتبة والفريسيين بأن إخراجه للروح النجس من المجنون الأعمى الأخرس كان بالاتفاق مع رئيس الشياطين، ورفض اتهامهم إياه بحزم و لم يتساهل إزاءه؟

مع هذا، فنحن نلاحظ أن الرب أكد في البداية على مبدأ غفران الخطايا، كما أكد على تسامحه المعهود إزاء أي إساءات أو إهانات توجه إليه شخصياً كابن الإنسان (مت١٢: ٣١، ٣٢). فالتهجم هنا موجه لظاهره الإنساني(٥)، ومنبعه الجهل وعدم إدراك حقيقته كالله الظاهر في الجسد. والرب تعرّض بالفعل خلال حياته على الأرض لألوان من الإهانات والشتائم، حتى أن أقاربه قالوا إنه مختل (مر ٣: ٢١)، وهاجمه اليهود قائلين: "ألسنا نقول حسناً إنك سامري وبك شيطان"، وزادوا بأنهم رفعوا حجارة ليرجموه

(٥) كما قال اليهود احتجاجاً على قول الرب إنه نزل من السماء **"أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه"** (يو ٦: ٤٢).

(يو ٨:٤٨، ٥٢، ٥٩، ١٠:٣١). بل إن رؤساء الكهنة حكموا عليه أنه مستوجب الموت بتهمة **التجديف** هذه (مر١٤:٦٤، يو١٩:٧). ولكنه لم يتوقف أمام هذا اكله، وحتى وهو معلق على الصليب وهو يُسكب سكيباً تعالَى على آلامه الساحقة وعبّر عن إشفاقه على صالبيه وطلب من أجل مغفرتهم **"لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون"** (لو ٢٣:٣٤). فخطية الجاهل مهما بلغت لا تستعصي على الغفران طالما اقترنت بالتوبة والعودة بالندم (أع ٣:١٧) [٦].

أما أن تُوجّه الإساءة إليه كإله عن معرفة وقصد وتعمد، فهذا تجاسر وتبجّح غير مقبول، وتعدٍّ مشين على الذات الإلهية. وفي إعلان الرب الصارم أن هذا غير مسموح به تحذير وإنقاذ للإنسان من نفسه وحفظه من التهور وتجاوز الحدود إلى مناطق الهلاك.

وعندما يُنسب العمل الإلهي إلى قوة الشيطان، فهذا يفترض عملياً شراكة الروح القدس (كلي القداسة) مع إبليس (الكذاب ملك الظلمة وروح الشر). فما أبشعه من تجديف على أقنوم الروح القدس الموحِى بكل ما هو مقدس وجليل وخيّر وبنّاء ومسرّ، وعلى الثالوث الأقدس بالتالي. وكيف نجمع الذي يودع في قلب المؤمن ثماره الفضلى: من محبة وفرح وسلام وطول أناة ولطف وصلاح وإيمان ووداعة وتعفف (غل ٥:٢٢، ٢٣)، والذي يحفز على كراهية الخطية والنأي عنها، ويحث على التوقف عن السير في طريق الموت، مع من لا يوصي بغير الشر والإثم.

---

(٦) والقديس بولس أقرّ أكثر من مرة – في دفاعه خلال محاكماته - بعدائه السابق لاسم يسوع الناصري واضطهاده لتابعيه (أع ٢٢:٤، ٥، ٢٦:٩-١١). ويسجل في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس على نفسه **"أنا الذي لست أهلاً لأن أُدعى رسولاً لأني اضطهدت كنيسة الله"** (١كو ١٥:٩)، وفي رسالته إلى أهل غلاطية يكتب **"أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها"** (غل ١:١٣)، ويكتب إلى تلميذه تيموثاوس معترفاً **"أنا الذي كنت قبلاً مجدفاً مضطهداً ومفترياً ولكنني رُحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان"** (١تي ١:١٣) وهكذا صار إناءً مختاراً ليحمل اسم الرب أمام أمم وملوك وبني إسرائيل، واحتمل الاضطهاد والآلام من أجل سيده (أع ٩:١٥، ١٦، ٢٦:١٦-١٨).

وبحسب هذا التفكير الذي نادى به الفريسيون فإن الله قد تعاون مع الشيطان وتواطأ معه، وصنع اتفاقاً كي يقبل إخراج واحد من أتباعه كي تكتمل المعجزة، وينال الله الكرامة أمام الناس ويتمجد. أي أن الله يتصاغر أمام إبليس، الذي يبدو كريماً متنازلاً، كي يُبقي على ما يتوهمه الناس من قدرة الله على غير الحقيقة! فأي إهانة يتعرض لها الروح القدس بهذا الفكر القاصر أن الرب يخرج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين.

ولقد استحق الكتبة والفريسيون إنذار الرب لهم على ارتكابهم هذه الخطية، الموجهة مباشرة إلى صميم اللاهوت، لأنهم لم يكونوا من عامة الناس البسطاء أو من المنحرفين الأشرار، وإنما على العكس كانوا الخبراء في الكتاب والمتخصصين في الأمور الدينية. فهي خطية مقصودة عن سبق إصرار وتعمد ولا يمكن التسامح فيها.

عن الذين سقطوا في خطية التجديف على الروح القدس:

+ كان **إبليس وجنوده** هم أول من سقطوا في هذه الخطية، منذ أن تجاسروا واستكبروا على الله، وبعد كرامة خدمة العليّ سقطوا من نعمته، وتحولوا إلى التعدّي عن عمد وإصرار ضد الله، وصاروا أعداء كل بر. وهم وإن كانوا يؤمنون ويقشعرّون رعباً (يع ٢:١٩)، ولكنهم عاجزون عن التوبة، ومحرومون من الغفران، وأسرى مصيرهم المظلم في بحيرة النار المتقدة.

ويسجل عنهم الكتاب: "**كيف سقطت من السماء يا زُهَرَة بنت الصبح. كيف قُطعتَ إلى الأرض يا قاهر الأمم. وأنت قلتَ في قلبك أصعد إلى السموات. أرفع كرسيّ فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال. أصعد فوق مرتفعات السحاب. أصير مثل العليّ. لكنك انحدرتَ إلى الهاوية إلى أسافل الجُب**" (إش ١٤:١٢-١٥)؛

"أنت خاتمُ الكمال ملآنٌ حكمةً وكاملُ الجمال. كنت في عدن جنة الله.. أنت الكروب المنبسط.. على جبل الله المقدس كنت.. أنت كاملٌ في طرقك من يوم خُلقتَ حتى وُجد فيك إثمٌ.. فأطرحك من جبل الله وأُبيدك أيها الكروب المظلّل بين حجارة النار.. سأطرحك إلى الأرض.. ولا توجدُ بعدُ إلى الأبد" (حز٢٨: ١٢-١٩)؛

"الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا، بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم، وسلمهم محروسين للقضاء" (٢بط ٢: ٤)؛

"والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم (الرب) إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام" (يه ٦).

+ ويظل **قايين**، أسير الكراهية والحسد والتجاسر على قتل أخيه الوحيد، والوقوف بكل استهتار وتبجّح أمام استجواب الله له، واحداً من هؤلاء. بل صار "طريق قايين" (يه ١١) نهجاً للسالكين بحسب شهوات فجورهم وأطماع أجسادهم في كل زمان، وبينهم **سدوم وعمورة** اللتان لما انزلقتا إلى أحط الشهوات حكم الله عليهما بالانقلاب، واضعاً عبرة للعتيدين أن يفجروا (تك١٩: ٢٤، ٢٥، ٢بط ٢: ٦، يه ٧).

+ ويبرز في العهد القديم أيضاً **عيسو** المستهتر المستبيح، الذي **"لأجل أكلة واحدة باع بكوريته** (التي احتقرها)" وبعد ذلك **"لما أراد أن يرث البركة رُفض"** رغم الدموع، ولم تسعفه التوبة بعد أن فقد كل شيء (تك ٢٥: ٣٠-٣٤، ٢٧: ٣٤-٤٠، عب ١٢: ١٦، ١٧).

+ وكان **شاول** أول ملك لبني إسرائيل (١صم ١٠: ١) وبدأ حسناً، ولكنه شيئاً فشيئاً تراجع عن الطاعة وتجاسر على العصيان، ولم يبال بالأمر الإلهي فكان نصيبه الرفض. وفي تخبطه في الظلام وحيداً اتجه إلى الجان يطلب المعونة، ولكنه عاد خالي الوفاض، وقد تأكد له بؤس حاله. وكانت نهايته الأليمة أن سقط على سيفه ليموت منتحراً (١صم ٣١: ٤).

+ وعندنا في العهد الجديد مثال **يهوذا**، الذي كان ضمن الاثني عشر، وصار له نصيب في الخدمة لأكثر من ثلاث سنوات: يرى ويسمع ويتعلم. ولكن أطماعه الصغيرة أسقطته في التجربة، وهكذا انسحب من دائرة النعمة إلى دائرة الهلاك، وباع سيده كعبد بثلاثين من الفضة، وسلمه إلى جلاديه بقلب بارد يرتجف. ولكنه فقد الرجاء وأوصله الندم إلى خنق نفسه "وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط وانسكبت أحشاؤه كلها" (أع ١:١٨)، فكانت نهايته التعسة.

+ **أما هيرودس** المتعاظم المنتفخ فمكتوب عنه أنه "في يوم لبس الحلة الملوكية وجلس على كرسي الملك وجعل يخاطبهم. فصرخ الشعب: هذا صوت إله لا صوت إنسان. ففي الحال ضربه ملاك الرب لأنه لم يعط المجد لله. فصار يأكله الدود ومات" (أع ١٢:٢١-٢٣).

عن خطية التجديف على الروح القدس :

بناء على ما سبق ذكره، فإن خطية **التجديف على الروح القدس هي** :

(١) **التجاوز المباشر والتعرض لله وإهانته عن عمد والانقلاب عليه واستصغار شأنه والتعالي عليه ورفضه كليةً** (كما فعل الشيطان)؛ أو استبعاده كأنه غير موجود (كما يفعل الملحدون)؛

(٢) **أو إنكار عمل روح الله ونفيه ونسبته إلى قوة الشيطان** (كما ادّعى الكتبة والفريسيون على الرب)؛

(٣) أو **كل خطية تتم عن عمد وبإصرار وإقتناع ورفض لصوت الضمير والقانون حتى النهاية**، بما يشي بمفارقة الروح الفاعل في التوبة (كما جرى مع **الملك شاول** الذي فارقه روح الرب وبغته روح رديء - ١صم١٦:١٤؛ وهي حالة معظم المنتحرين)؛

(٤) **أو الارتداد عن الإيمان والانسحاب من المسيح بصورة نهائية** (وهو الخطر الذي يتهدد الكثيرين من مسيحيي اليوم).

على أنه ينبغي التأكيد أن خطية التجديف على الروح القدس ليست موقفاً طارئاً، أو خطية مؤقتة، أو فعلاً عشوائياً يأتي عفو الخاطر، وإنما هي **موقف صريح ثابت، بوعي كامل للعقل والقلب حتى الساعة الأخيرة، ودون خوف أو تردد أو تحفظ، بل بعناد وتصميم أكيد يغلق منافذ النفس من أن يصلها نور الحق الإلهي.**

ولأنها إساءة إلى ذات الله والتجاسر على عداوته، ورفض تبعيته والاستقلال عنه، فلا مجال إذاً لأي دور للروح القدس الذي انطفأ بغير رجعة (١تس ٥:١٩)، ومعه **يغيب الرجاء وتستحيل التوبة والندم والاعتراف بالخطأ والتطلع للرجوع للأحضان الإلهية، ومن ثم يستحيل أيضاً الغفران** المتاح لكل النفوس التي تخطيء و لم تفقد شركة الروح، وظلت قادرة على التراجع والتأسف والتوبة، إذا جاءتها دعوة الخلاص [كما جرى **للمرأة الخاطئة** (لو ٧)، وتلك التي **أُمسكت في زنى** (يو ٨)، أو **زكا** (لو١٩)، وغيرهم].

هكذا صار التجديف على الروح القدس خطية غير مغفورة على الأرض أو في السماء، فهو حكم نهائي بدينونة أبدية بغير نقض أو تراجع.

بالتالي، **طالما أن هناك شعوراً بالندم بعد الخطأ مهما كانت شناعته، فلا يمكن أن نكون هنا إزاء الخطية التي لا تُغفر، ولا مجال هنا للتخوف من احتمال السقوط فيها. فهذا الوجل والمبادرة بالتوبة هو بيّنة قاطعة أن هذه الخطية لم تقع، وأن الخاطيء لا يزال متمتعاً بشركة الروح القدس الذي يلهم التوبة.**

بين بطرس ويهوذا :

تبع **بطرس** سيده من بعيد إلى دار رئيس الكهنة حيث كان يُحاكم. واندس يصطلي بين الخدم خارج الدار، يتابع ما يجري بقلب واجف لينظر النهاية، وفوجيء بجارية تواجهه أنه كان مع يسوع. ولما خرج إلى الدهليز إذا بأخرى تشهّر به أنه يتبع السيد. ولأنه لم يكن قد تهيّأ مسبقاً لما جرى، ففي الحالين أنكر على الفور بل وأقسم نافياً معرفته به. وعندما جاء نفس الاتهام من آخرين، لأنه جليلي ولغته تظهره، وأنه كان معه في البستان، اضطر أن يندفع أكثر فيلعن ويحلف، وهو ينكر علاقته بيسوع للتخلص من هذا المأزق.

وقد كان الإنكار صريحاً ومؤكداً باللعن والحلف (رغم التحذير المسبّق له من الرب)، ولكنه بالتأكيد لم يكن موقفاً مبيّتاً وإنما كان تصرفاً عفوياً بالمفاجأة باعثه الضعف البشري. مع هذا، ولأن المحبة التي دفعته أن يهرول وراء سيده في ساعته الصعبة ليقف إلى جانبه كانت أصيلة وعميقة في القلب، فسرعان ما أعادته نظرة السيد من بعيد إلى وعيه ومعها صياح الديك **"فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له إنك قبل أن يصيح الديك (مرتين) تنكرني ثلاث مرات. فخرج إلى خارج وبكى بكاءً مراً"** (مت٢٦:٧٥، مر ١٤:٧٢، لو٢٢:٦١، ٦٢).

فهنا رغم الإنكار المثلث والتجديف، فإن التوبة الدامعة كشفت أن الروح لم يفارقه، والرب كان يعرف أن ما جرى - رغم هوله- كان زلّة عارضة، ومن هنا فقد محا ذنبه الكبير، وعاد بطرس من جديد إلى مكانه القديم ومكانته الأولى. **فليست كل سقطة، مهما كانت، تجديفاً على الروح. فتوفر التوبة والرجوع إلى الله شاهد على دوام الروح ونفي للسقوط في هذه الجريرة.** والقديس بطرس لما جاءت ساعته الأخيرة سلم

حياته راضياً من أجل سيده، بل و لم يقبل أن يموت مثله لأنه لا يستحق، وهكذا صُلب منكس الرأس.

ولكن موقف **يهوذا** يختلف. فهو بكل إرادته ووعيه تنكّر للسيد الذي أحبه واختاره له تلميذاً، وارتضى وقد دخله الشيطان (لو٢٢: ٣، يو١٣: ٢، ٢٧) أن يخون سيده ويسلمه بقلب بارد إلى الموت، في مقابل ثلاثين من الفضة. ولما عاد إلى نفسه ورأى هول ما فعل، ندم ولكنه الندم الساحق بغير رجاء ولا قدرة على التوبة، وإنما هو طريق مسدود نهايته الهلاك. وهكذا مضى وقتل نفسه. ولأن الرب بعلمه السابق كان يعرف أن يهوذا سيخونه بغير تراجع، ويسلمه لأعدائه، وستكون نهايته مأساوية، فقد سماه **"ابن الهلاك"** (يو١٧: ١٢)، وقال عنه **"كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد"** (مت٢٦: ٢٤، مر١٤: ٢١).

عن الانتحار والمنتحرين:

الانتحار، أي أن يقتل الإنسان نفسه، هو أحد نتائج مفارقة الروح القدس للنفس. والمنتحر في أكثر الحالات يكون قد جدّف حتى ولو لم ينتحر، ولكن انتحاره يعبّر عن حالة اليأس التي يمر بها من يفارقه روح الله (١صم ١٦: ١٤)، وحرمانه من الرجاء يجعله يهرب إلى الموت من الواقع الأليم الذي يحثم عليه. فهو محكوم عليه بما هو فيه ويسير إلى حتفه بغير عودة، لا لأن الله يقسره على هذا المصير – فحاشا لله **"الذي يريد أن جميع الناس يخلصون"** أن يُحدِر أحداً إلى القتل – وإنما لأنه فقد حريته بإرادته. وبمفارقة روح الله يتسلمه الشيطان فتستحيل توبته، وفي ندمه المدمّر يعمد إلى قتل نفسه.

ومع هذا، يمكن القول إن **ليس كل من ينتحر يكون مجدفاً بالقطع**، فبعضهم قد يكون مريضاً عقلياً، وبعضهم قد لا يكون في كامل وعيه عند

انتحاره، أو قد يكون مضطرباً نفسياً وغير مسئول – حتى قانوناً – عن أفعاله. وفي غير ذلك من الحالات، فنحن لا نعرف تماماً ما دار وقتها في عقل المنتحر ودفعه للتخلص من حياته بلا رجعة؛ كيف استحكمت الحلقات حوله من ظروف وملابسات و لم تترك له مخرجاً حتى أنه لم يستطع منها فكاكاً.

نعم.. نحن يصعب علينا الحكم على المنتحر مهما عرفنا من أسباب، **ولكن الله يعرف كل شيء. فلندع له الحكم والمصير. نحن فقط نصلي ونتوسل ونطلب الرحمة ولا نملك أكثر**[٧].

قبل السقوط :

في تعليقه على انحراف الكتبة والفريسيين إلى التجديف على الروح القدس، أوضح الرب أن هذا هو المتوقع منهم، **فالشجرة تعرف من ثمرها وأن من فضلة القلب يتكلم الفم، وأن الإنسان الشرير من الكنز الشرير في القلب يخرج الشرور** (مت ١٢: ٣٣-٣٥).

---

(٧) رغم أن الكنيسة تصلي على كل الراقدين (وهي في رجائها في رحمة الله ومعرفته بضعف البشرية ونقصها، لا تطلب فقط من أجل غفران السهوات والزلات لهذه النفس ولكن أيضاً ما فعلته بمعرفة، وأن يفتح لها الله باب الفردوس والملكوت لتدخل وتتنعم هناك)، ولكنها لا تسمح بالصلاة على المنتحرين (رغم ندرة أعدادهم) باعتبار أنهم وقد ختموا حياتهم بجريمة قتل، حرمهم موتهم التوبة عنها، فهم بالقطع قد ماتوا بغير توبة، فكيف تطلب لهم الكنيسة الغفران؟ فإذا أضفنا أن انتحارهم يعني أنهم فقدوا رجاءهم أي فارقهم روح الله، فهم إذاً قد جدّفوا وارتكبوا الخطية التي لا تغتفر.

وربما يكون تعليم الكنيسة بعدم الصلاة على المنتحرين بغير تمييز في حاجة إلى مراجعة، خاصة وأن الصلاة على الراقدين ليست من أجل المنتقل وحده، وإنما هي أيضاً من أجل تعزية الأهل والأصدقاء، خاصة إذا ما كان منتحراً، فنحن هنا إزاء مأساة تستدعي المساندة وطلب معونة أبي الرأفة وإله كل تعزية، فضلاً عن أن الصلاة هي لحث الجميع على الاستعداد لملاقاة الرب.

ونظن أنه مع التقدم العلمي الكبير في المجال الطبي والنفسي، ومع وجود عدد من الأساقفة الأطباء في مجمع كنيستنا، ربما يتحقق الرجاء في أن **تسمح الكنيسة بالصلاة على الأقل على حالات خاصة من المنتحرين**، ووقتها يمكن صياغة صلوات خاصة غير تلك المعتادة على الراقدين.

بل نبلغ إلى القول، لم لا يتسع قلب الكنيسة الرحيم كقلب سيدها إلى الصلاة على **كل** الراقدين (إلا من أعلن صراحة خروجه من الإيمان) دون استباق الحكم على أحد، وتترك الأمر كله للديان العادل (٢تي ٤: ٨)، فقط تصلي من أجل الرحمة للمنتقل، والعزاء لأهله وأحبائه. وسواء صلينا عليه أم لم نصلّ (كما في حالات المفقودين في الكوارث والحروب) فالأمر في النهاية هو لصاحب الأمر ومحب كل البشر.

فحالة **التجديف** لا تأتي فجأة، ولكنها تبدأ بالتباعد عما هو إلهي وروحي، والتحول تدريجياً إلى كل ما هو عالمي وجسدي. وبالإغراق في الشر واستعذاب الخطية، والتعود على الفساد، مع تجاهل صوت الضمير، يحزن الروح القدس (أف ٤: ٣٠) ويتحجر القلب. وباستمرار مجافاة الله وإيهام النفس كذباً أن شيئاً لم يتغير، بالتمسح بقشور الدين، والتسويف أمام دعاوي التوبة، والتهرب من مواجهة الروح، يخمد صوت الضمير. وكلما غرق الشخص أكثر في بحار الشهوة كلما صعب عليه الرجوع. وشيئاً فشيئاً يجد نفسه أسيراً في أحضان الشيطان، وهكذا ينحدر إلى الصدام مع الروح، وفقدان مخافة الله. وبانطفاء شعلة الروح (١تس٥: ١٩)، يفقد الإنسان المعونة الإلهية وتتعذر التوبة، ويدخل في حالة فجور وانحدار إلى الهلاك باستهتار وبغير ندم. هكذا يبلغ إلى إحدى حالات التجديف على الله[٨].

وعن **الارتداد عن الإيمان**، وهو إحدى حالات التجديف الأخرى، كتب **معملنا القديس بولس** في رسالته إلى العبرانيين محذراً مَن آمنوا من اليهود من بؤس المصير إن هم ارتدّوا عن المسيح بعد اختبار الخلاص والتراجع والانسحاب إلى الأعمال الميتة والحياة القديمة الناموسية، مستثيراً وعيهم إلى الخطر المحدق بهم "**لأن الذين استنيروا مرة، وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي، وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه**" (عب٦: ٤-٦). فنصيب المرتدين الذين ينسلخون من الروح القدس دون أسف أو ندم هو الرفض

---

(٨) بين هؤلاء مدمنو الشهوات والملذات الجسدية والمسكرات والمخدرات، وعصابات القتل والسرقة والإرهاب، والمتاجرون بالأعراض ومحترفو تجارة الجنس والعري والنجاسة بكل جسارة وتبجح لجمع المال على حساب كرامة الإنسان كمخلوق إلهي وليس كسلعة لحم رخيص في سوق النخاسة والبيع الحرام، الذين لا يرجعون عن انحرافهم.

الأبدي من الرحمة الإلهية " **لا توجد بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين**" (عب١٠: ٢٧) لأنهم بتوجههم المحزن الذي اختاروه بكامل إرادتهم **هم كمن "داس ابن الله، وحسب دم العهد الذي قُدّس به دنساً، وازدرى** (احتقر) **بروح النعمة**" (عب١٠: ٢٩) وما أشد هولها من خطية؟! هكذا يعرض معلمنا بولس بشاعة هذا الانحراف وكيف يطعن الله في الصميم ومن هنا كان التحذير أنه "**مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي**" (عب١٠: ٣١).

وفي نفس الصدد يكتب **معلمنا القديس بطرس** عن **المرتدين عن الإيمان إلى حياة الخطية "لأنه إذا كانوا بعدما هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح يرتبكون أيضاً فيها فينغلبون، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل، لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر من أنهم بعد ما عرفوا يرتدّون عن الوصية المقدسة المسلّمة لهم، قد أصابهم ما في المثل الصادق: كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة** (عادت) إلى **مراغة الحمأة** (التمرغ في الطين)" (٢بط ٢: ٢٠-٢٢).

على أنه ينبغي التأكيد **أن كل من ترك الإيمان مخدوعاً لأسباب مادية أو جسدية أو حتى عقيدية، أو بسبب الخوف والاضطهادات ثم عاد تائباً مستغفراً فسيُغفر له حتماً**. والكنيسة لا تعيد عماد الذين ينكرون الإيمان فترة ثم يرجعون نادمين، وقد توقع عليهم عقوبة كنسية بهدف ردعهم وتأكيد عودتهم[٩].

(٩) قبل سنوات (٢٠٠٥) تركت الشابة الأردنية **رُبَي قعوار** (وهي ابنة قس إنجيلي) الإيمان بالمسيح إلى دين آخر، بل وتزوجت مغربياً ورافقته إلى الولايات المتحدة. وهناك أخذت تدعو الكثيرات إلى دينها الجديد لخمس سنوات، إلى أن اكتشفت خطأها الكبير. فانفصلت عن زوجها وعادت تائبة (٢٠١٠/٧/٧) وشاهد الملايين اعترافها على "**قناة الحياة**" المسيحية. واجتهدت في استعادة من ضللتهم من قبل إلى الإيمان المسيحي من جديد.

لقد ظلت **خطية التجديف على الروح القدس** مصدراً لقلق الكثيرين ظلوا نهباً للوساوس، وبلغ اليأس ببعضهم كل مبلغ خشية أن يكونوا قد ارتكبوا هذه الخطية وحق عليهم الهلاك الأبدي: ربما يوم أن فقدوا أعصابهم في ضيقتهم واتهموا الله بإهمالهم، أو ساءلوه عن عدله الغائب، أو مساندته للأشرار، أو غيره من سقطات الضعف البشري، أو حتى عندما انخدعوا وتركوا الإيمان ثم عادوا نادمين.

فالندم والقلق والضيق بعد الزلل يعني أن الروح القدس حتى وإن أحزنه السقوط لا يزال في القلب، يبكّت ويدين ويستثير التوبة التي هي باب العودة إلى الله المكتوب عنه أنه "غافر الاثم وصافح عن الذنب .. لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يُسَرّ بالرأفة" (مي٧:١٨)، **وأن من يُقبل إليه لا يخرجه خارجاً** (يو٦:٣٧).

فلتسترح من ثم النفوس التي يعذبها الشك أنها قد تكون قد سقطت في هذه الخطية، **فاضطرابهم وشكوكهم هو دليل براءتهم**. وليحذروا من الخوف المبالغ فيه الذي يسلب المرء سلامه، فهذا من عمل الشيطان الذي يسعى لإسقاطه في اليأس وفقدان الرجاء، وهكذا يضمن هلاكه.

وعلى العكس، فالمجدفون يتقسى قلبهم جداً، ويفقدون القدرة على التوبة، ولا يتراجعون عن عنادهم وصلفهم ولو بلغوا ساعة الاحتضار. وهناك من القصص عن أمثال هؤلاء الذين لا يطيقون، حتى وهم يعانون سكرات الموت، رؤية أب الكنيسة الذي قد يأتي به ذووهم، الذين ينفطر قلبهم حزناً عليهم، لمساعدتهم وهدايتهم في ساعتهم الأخيرة، دون أن يستجيبوا لتوسلاتهم. فهؤلاء قد فارقهم روح الله وبغتهم روح رديء مُعادٍ لخلاصهم ويقودهم قسراً إلى الموت الأبدي.

والذين هم للمسيح لا يمكن أن يجدّفوا عليه، والذين لا يريدون أن يتخلوا عن الله لا يمكن أن يتخلى عنهم الله "فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو٨:١٧).

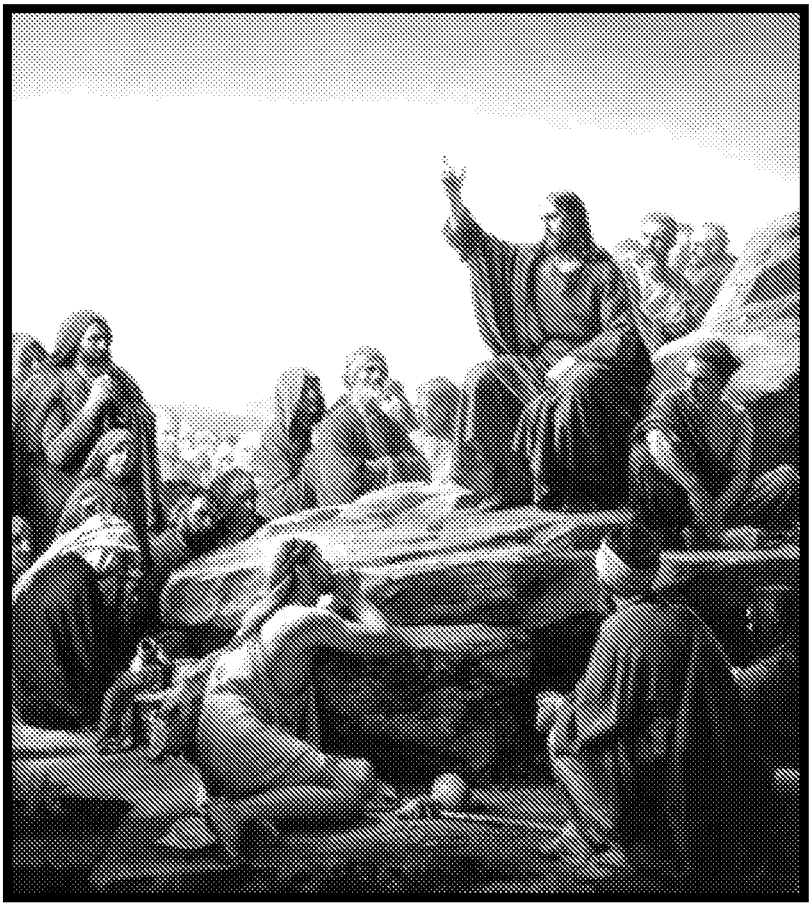

شريعة المسيح

" سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم " (مت ٥: ٤٣، ٤٤)

قضية الدين والقانون والدولة

+ الدين والشريعة والقانون
+ الدين والدولة من منظور كتابي
+ الفصل بين السياسة والدين

الدين والشريعة والقانون

مما يقال عن أنه كان هناك ضرورة لمجئ أديان أخرى بعد المسيح، أن العالم كان في حاجة إلى شريعة جديدة واقعية تحكم الناس، لأن ما جاء به المسيح من تعاليم لا يصلح لتنظيم أنشطة المجتمعات. فتحويل الخد الأيسر عندما يُلطم الخد الأيمن (مثلاً) (مت ٥:٣٩)، يعبّر عن شريعة خيالية، قد يمارسها المتصوفون، ولكنها لا تصلح لعالمنا. لأن الآخر الذي ننصاع بتخاذلنا لعدوانه سوف يتجاسر أكثر، فبقدر ما نتراجع نحن بقدر ما يتقدم هو، ولن يتوقف حتى يقضي علينا. فمثل هذه الوصية في النهاية تجعل العالم أكثر شراً . وعلى أي حال، هكذا يقولون، فالمسيح نفسه أعلن أنه لم يأت قاضياً يحكم بين الناس (لو١٢:١٤)، وأن مملكته ليست من هذا العالم (يو١٨:٣٦)، أي أنه في الحقيقة لم يدّع أنه جاء بقانون، مما يتحتم معه أن يأتي قانون يسوس الناس ويحقق العدل بينهم.

ما مدى صحة هذا الكلام ؟

وهل مبادئ المسيح كما يقول الناقدون هي مثالية ظاهرياً إلى الحد الذي لا يمكن تفعيلها، وأنها بالتالي لا تصلح لعالمنا الحاضر؟

وقبل هذا كله وبعده، هل جاء المسيح بالفعل بشريعة كقانون بين الناس ففشلت عند اختبارها، حتى احتاج العالم لشريعة تناسب أحوال الناس بصورة أفضل؟

وهل من علاقة في الأساس بين الدين والقانون؟

ها نحن نجيب على هذه الأسئلة تباعاً.

(١) الوصايا العشر وفجر القانون :

يمكن القول إن الله قد وضع أساس القوانين في **وصاياه العشر**، التي تسلّمها **النبي موسى** على جبل حوريب قبل ٣٥ قرناً (خر٢٠:١-١٧). فإضافةً إلى الأمور المختصة بعلاقة الإنسان بالله بصورة مباشرة، فهناك تلك التي تتعلق بالآخر: من إكرام الوالدين، وتحريم القتل والزنا والسرقة والشهادة الزور واشتهاء من وما ينتسب للغير.

ولتحقيق العدل وتأمين الحياة ولردع الناس عن ارتكاب الجرائم كانت العقوبة " **نفساً بنفس، وعيناً بعين، وسناً بسن، ويداً بيد، ورجْلاً برجْل، وكيًّا بكيّ، وجُرحاً بجرح، ورضًّا برضّ**" (خر٢١:٢٣-٢٥، لا ٢٤:٢٠، تث ١٩:٢١، مت ٥:٣٨)؛ "**من قتل إنساناً يُقتل**" (لا ٢٤:٢١).

والقوانين التي وُضعت في القرون التالية شرقاً وغرباً استندت بصورة ما إلى الوصايا العشر، ولكنها توسعت لكي تغطي حاجات الناس التي تضاعفت بمضي الزمن وتشعبت.

(٢) المسيح يكمّل الناموس:

المسيح عندما جاء لم يلْغ القوانين أو يغيّرها، لأنه لم يأت بقوانين غير السائدة. وكان القانون الروماني يغطي معظم أرجاء العالم في ذلك الوقت الذي كانت تحكمه روما.

الرب في تعليمه اتجه لتغيير الناس. فبعد تأصّل الشريعة القديمة التي هدفت لسيادة العدل وضبط سلوك البشر، جاء الرب بشريعة **العهد الجديد**، شريعة الحب التي توقف تيار الخصومة والعداء، الذي يغذيه الانتقام والثأر المتواتر[1]، وتجبر الخصم على التراجع وتربحه حليفاً للمودّة والسلام. وسوف يكون التغيير بطيئاً وفردياً ولكنه سيتحقق في نهاية المطاف حيث تطرد العملةُ الجيدة العملة الرديئة بعد أن كان العكس.

وبيّن الرب أن التغيير سيتحقق، لا بقدرة الإنسان ولا بقوته، وإنما بروح الله (زك٤:٦). فالإنسان، بالإيمان بالمسيح، يصير ابناً لله (يو ١:١٢)، وفي المسيح يستطيع كل شئ (في ٤:١٣)، وبدونه لا يقدر على فعل شئ، كما قال الرب نفسه (يو ١٥:٥). فمبادئ المسيح هي بالفعل مستحيلة بدون شخص المسيح ولكن به تصبح "**وصاياه ليست ثقيلة**" (١يو ٥:٣).

فتغيير طبيعة الإنسان ليكون أهلاً لملكوت السموات، يجعله صالحاً أيضاً للحياة الحاضرة، منفذاً بكل رضًى للقانون الأرضي مساهماً في جعْل العالم مكاناً للسلام والحب، وبالتالي جعْل القانون صديقاً يُحترم لا عدواً يُسعى لتجاوزه والإفلات منه. فالذين تسودهم الخطية وغرور الغنى والشراهة والطمع والتعصب يكرهون القانون وينشرون الفساد والتمييز ويثيرون الاضطراب والانقسام في المجتمع.

---

(١) ولا تزال بقايا شريعة الثأر في صعيد مصر تدمر العداء والانتقام بين الأُسرلأجيال بلا نهاية، رغم جهود الحكومات في محاصرة هذا التيار الجارف.

ويمكن القول إن شريعة المسيح، وإن لم تأت بديلاً للقوانين، فإنها أرست قواعد **المساواة** بين البشر " **ليس يهودي ولا يوناني. (ختان وغرلة، بربري سكيثي)، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع (بل المسيح الكل، في الكل)**" (غل ٣:٢٨، كو٣:١١)، وجعلت القانون هو الفيصل في حياة الناس، وفيها صار **التسامح** فضيلة عظمى هي علامة السمو والرفعة الإنسانية، حتى أن أكثر العقائد تتمسّح فيها وتتزيّن بها وتخفي بها قصورها وتناقضاتها، وهي التي جعلت العالم يسعى لاقتراب الدول وتعاونها، فينشئ "**الأمم المتحدة**"، ويتجه نحو السلام ويجتهد لتفادي الحروب بعد أن عانى ويلاتها طويلاً.

(٣) عن شريعة المسيح :

شريعة المسيح تخلق إنساناً جديداً "**إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة**" (٢كو ٥:١٧) ؛ "**ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة**" (١كو٢:١٤) ، ولا يحتمل التراجع أمام المعتدي مهما كانت النتائج وقد لا يسمح حتى بالوساطة مع العدو لإنهاء الخصومة وإحلال السلام. وهو إن لُطم على الخد الأيمن سيلطم من لطمه على خدّيه.

ولكن تبعية المسيح تغيّر قلب الإنسان وتمنحه قوة الصمود والشجاعة وضبط النفس والإمساك بالمعتدي متلبسّاً بالخطأ. والرد على المُعتدي بمثل ما اعتُدى يريح قلب المعتدي، ويعفيه من الشعور بالذنب، في حين أن الصمود أمامه والامتناع عن الرد الفوري على عدوانه واستجوابه عن سبب عدوانه (يو١٨:٢٣، أع ٢٢:٢٥-٢٨) يضعف موقفه (فلا مبرر لديه بالفعل). فهو قد تجاوز وتهوّر بغير أن يخطئ إليه أحد. وحتى لو كان متصلّفاً و لم يتراجع على

الفور، فهو قد بدا مخطئاً أمام الجميع، وقد يأتي الاعتذار آجلاً أو عاجلاً إن انتصرت إنسانيته.

موضوع اللطمة مجرد مثال، والتوقف وضبط النفس وعدم التعجّل برد الصاع صاعين يحتاج إلى معونة إلهية، وإلى مساندة الروح الذي يمنح الوصية قوة تنفيذها. وهدف الوصية دائماً هدف عظيم، وهو تحقيق المحبة واستئصال الشر والعداء، وانتصار الخير، وتمجيد الله صانع الخيرات، والبشارة بعهد جديد بين الله والإنسان.

(٤) عن محبة الأعداء :

يقول الرب **"سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم"**(مت ٥:٤٣، ٤٤، لو ٦:٢٧). والقديس بولس ينادي بجدوى المعاملة المختلفة للعدو **"إن جاع عدوك أطعمه وإن عطش فاسقه لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه"** (رو ١٢:٢٠)، أي أنك تعيد إليه إنسانيته التي كان العداء والتعصب قد أفقداه إياها وجعلاه يضل الطريق.

والآيتان تتكلمان عن موقف شخصي. فأنا مُطالب، بمعونة إلهية، أن أحب عدوّي وليس عدو صديقي أو جاري أو عدو وطني. كما أن اللص الذي يقتحم بيتي ليس عدوّي الشخصي، فأنا لا أعرفه من قبل وهو لا يعرفني، وأنا مُطالبٌ أن أدافع عن سلامتي وأحمي عائلتي وممتلكاتي. وغريزة المِلْكية، التي أودعها الله فيّ، تهدف إلى ضمان سلامتي وسلامة عائلتي، وأن أحافظ على ممتلكاتي – التي هي أصلاً عطية الله ونصيبه فيها محفوظ – ولا أتطلع إلى ممتلكات غيري. غير ذلك هو الإهمال والإهدار وعدم الأمانة.

وحماية حياتي تجعلني أدافع عن الهبة والنعمة التي أعطاني إلهي، إلا عندما يريدها هو استشهاداً أو موتاً، أما غير ذلك فغريزتي التي أودعها الخالق فيّ تجعلني أقاوم

الاعتداء عليّ وأتفادى الأخطار دون أن أفكر في الاعتداء على أحد.

وإن تسليم اللص أو المعتدي للعدالة في النهاية يحمي المجتمع من شره، كما أن عقابه يهدف إلى إصلاحه وإنقاذ نفسه من الانحراف وإعادته إلى صوابه.

فالوصية المسيحية لا تشجع الفوضى، ولا تدعو للخنوع والجبن وسيادة الخوف، وإنما إلى الانتصار على الشر **"لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير"** (رو١٢: ٢١) وشجاعة المواجهة [٢]، وعدم الخوف من الموت.

(٥) إنه عهد جديد :

كما ذكرنا فالمسيح لم يأتِ بقانون أو شريعة مدنيّة للتعامل بين الدولة والمواطنين وإنما جاء بعهد جديد لحياة حسب الروح (رو ٨: ١٣).

+ الرب سلّم بأن ما يسود في المجتمعات المدنية هو القانون المدني الوضعي **"إعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر"** (مت ٢٢: ٢١). فأمور التقاضي والمواريث والعقوبات والتجارة والمال والدفاع وغيرها، هي ما يتفق عليه البشر وممثلوهم وحكّامهم.

+ **والعهد الجديد** لم يُعلن به الرب قيام دولة وإنما **خلاص البشر**. فالوصايا توجَّه للفرد المؤمن في علاقته مع الله ومع إخوته البشر (**تحب الرب إلهك .. وتحب قريبك كنفسك**). ووصية محبة العدو خاصة بالعدو الشخصي وليس بعدو الآخر أو المجتمع أو الدولة أو الكنيسة، وهدفها إنقاذ العدو من خضوعه لأسر الكراهية وإيقاف دائرة العداء وغلبتها بالحب.

---

(٢) في ٢٠٠٥/٣/١٢ أستطاعت الأميريكية **آشلي سميث** أن تغيّر حياة قاطع طريق (**برايان نيكولز**) بعد أن قادها إلى بيتها وقيّدها، ولكنها بتماسكها وإيمانها فتحت معه حواراً شخصياً، وقرأت له فصلاً من كتاب روحي عنوانه "**الحياة الهادفة**" (The Purpose Driven Life (by Rick Warren، وجعلته يرجع عن شره، حتى أنه سلّم نفسه للشرطة ودخل السجن طوعاً، وأخذ يبشّر رفاقه أيضاً حتى بعد خروجه من السجن.

+ وعدم مقابلة العدوان بالعدوان لن يكون مع المجرمين واللصوص معتادي الإجرام والخارجين على القانون. فعدم عقابهم وردعهم لا يتيح إصلاحهم وتقويمهم، وهو يسلب المجتمع سلامه وأمنه ويشجع على الفوضى وهدم أسس الدولة، ويتناقض مع العدل الإلهي.

+ ومملكة المسيح ليست من هذا العالم (يو ١٨:٣٦)، والمسيح لم يأتِ إلى العالم مَلكاً أرضياً (يو ٦:١٥)، أو قاضياً (لو ١٢:١٤) ليوزع مواريث أو ليضع قانوناً جديداً للعقوبات، غير الذي كان في العهد القديم، حيث وُضعت أسس القوانين التي تحقق العدل. والرب خضع للقانون القائم ودفع الضريبة رغم مواطنته (مت ١٧:٢٤-٢٧). **والقديس بولس** حثّ المؤمنين على دفع الضرائب **"لأجل هذا توفون الجزية أيضاً فأعطوا الجميع حقوقهم. الجزية لمن له الجزية ، الجباية لمن له الجباية"** (رو ١٣:٦، ٧).

+ والمسيحي يمكن أن يخضع لأي قانون وضعي[٣]، ويمكن أن يعترض عليه كمواطن إذا رأى أنه يتجاوز العدل[٤]، وهو مهموم بقضايا وطنه، وقد ينضم إلى حزب سياسي يرى أنه يحقق الخير لبلده، ويمارس حق انتخاب ممثليه وحكامه، وقد يشترك في التظاهر أو الإضراب السلمي، أو قد يحتج على الاعتداء عليه (كما فعل الرب مع خادم الهيكل الذي لطمه أثناء محاكمته أمام رئيس الكهنة – يو ١٨:٢٣)، أو على تجاوز حقوقه كمواطن (كما حدث مع الرسول بولس – أع ٢٢:٢٥)، أو حتى قد يرفع دعوى أمام القضاء أو الرئيس (كما فعل القديس بولس كمواطن روماني – أع ٢٥:١٠-١٢).

---

(٣) **"لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة. لأنه ليس سلطان إلا من الله"** (رو ١٣:١)، **"فاخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب... خافوا الله. أكرموا الملك"** (١بط ٢:١٣).

(٤) لأن العدل أساس الحكم ".. **أو للولاة فكمرسلين منه** (من الملك) **للانتقام من فاعلي الشر والمدح لفاعلي الخير"** (١بط ٢:١٤).

+ مبادئ المسيح وإرساليته خاصة بإنقاذ الإنسان من نفسه ومن ضغوط العالم المادي الشرير ومن إغراءات إبليس، ونجاته من الموت الأبدي الذي كان سائداً عليه قبل مجئ المخلص. وهي توفّر قاعدة ثمينة للتعامل الإنساني، الذي تحل فيه المحبة محل العداء والتوجس، والتسامح محل الانتقام، وأن يفعل الإنسان مع الآخرَ ما يريد من الآخَر أن يفعله به (مت ٧:١٢، لو ٦:٣١). وهو يبادر بنفسه لكي يغيّر الآخَر المُعادي، ويجعل الحياة أفضل وأرقى، ومن العالم محلاً للسعادة والتعاون والسلام وأُخوّة البشر، مهما طال زمن الحروب والظلم والقسوة والاضطهاد والمعاناة والويلات من كل نوع.

+ من هنا يصير لغواً أن يقال إن الشريعة التي جاءت بعد شريعة المسيح كانت بديلاً لها لأن هذه لم تكن صالحة. فالمسيح لم يأتِ بشريعة مدنية أو قوانين للعقوبات وغيرها، فهذه كانت قائمة بالفعل، ولا تزال، وشريعة المسيح هي لإعداد الناس للحياة في الملكوت السماوي، والخلاص من الموت الأبدي، والتعامل الإنساني المستند إلى الحب.

وإذا احتاج العالم لتعديل شرائعه وقوانينه فعنده هيئاته التشريعية ومؤسساته القانونية التي تضع قوانين للناس على الأرض. ولا يتطلب الأمر قيام دين جديد، فهذه ليست مهمة الدين، أي دين، ولكن غايته العظمى هي تغيير الإنسان من الداخل، ليس فقط لحساب الأرض ومعاملاته مع البشر، وإنما في الأساس لحساب مصيره الأبدي.

الدين والدولة من منظور كتابي

عندما خلق الله الإنسان دعاه للعمل في الأرض وحفظها (تك ٢:١٥)، ولكنه لم يضع له قوانين الحكم، بل تركه يشكّل مؤسسات الحكم، ويضع أسس المِلكية، ونُظُم الزراعة وتوزيع المحاصيل، وسائر القوانين المحقِّقة للعدل في المجتمع الذي نَشأ زراعياً طبقياً. وكان الملك أو رئيس الجماعة هو الحكَم بين الجميع.

في مرحلة تالية، أرسى الله القواعد الأساسية للعلاقة بينه وبين الإنسان، وبين الناس وبعضهم البعض، في **الوصايا العشر**، التي تضمن أن يسود العدل ولا يتجاوز الفرد حدوده ليعتدي على الآخرين: **لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور** (أي لا للكذب)، **لا تشته ما لقريبك**: بيته، امرأته، عبده، أمَتَه، ثوره، حماره، أو أي شيء (خر ٢٠:٣-١٧)؛ ثم جمعها كلها في وصية **محبة الله والقريب** التي "**يتعلق بها الناموس كله والأنبياء**" (تث٦:٥، ١٠:١٢، ٣٠:٦، مت٢٢:٣٧-٤٠، لو١٠:٢٧).

عن شعب الله :

الكتاب المقدس يتكلم عن علاقة بين الله وشعب اختاره إذ قبله آباؤهم[1]. كانت هناك شعوب أخرى حول الشعب العبراني وكانوا يديّرون شؤونهم بأنفسهم: من بينهم المصريون (تك ١٠:٦، ١٢: ١٠، ١٢)، والأشوريون (تك ٢:١٤، ١٠:١١)، والأراميون (تك١٠:٢٢)، والبابليون (تك ١١:٩)، والكلدانيون (تك ١١:٢٨)، والكنعانيون (تك١١:٣١، ١٢:٦)، والأوريون (تك١٤:٧)، والموآبيون (تك١٩:٣٧)، والإسماعيليون (تك٣٧:٢٥)، والكوشيون (تك١٠:٦)، والعمونيون (تث ٢:٢٠) وغيرهم (تك ١٥:١٩-٢١). وكان **شعب الله** (خر ٣:٧، عب ٤:٩، ١١:٢٥) تحت **قيادة الله المباشرة** أيام **الآباء**: إبراهيم واسحق ويعقوب وموسى ويشوع، والقضاة ومنهم دبورة وجدعون وآخرهم صموئيل.

ولكن الشعب قرّر الاستقلال عن قيادة الله، وطلب ملكاً يقضي لهم كسائر الشعوب (١صم٨:٥)، فمسح لهم صموئيل **شاول** البنياميني ملكاً بأمر الله (١صم ١٠:١). ولكن شاول عصى الله وكانت نهايته أليمة. ثم كان **داود** الملك الثاني (٢صم ٢:٤)، الذي جمع في نفسه أيضاً النبوة والكهنوت. وخَلَفه **سليمان** (١مل ١:٣٩)، الذي كان ملكاً وحكيماً أكثر منه نبياً. ولكنه زاغ وراء آلهة غريبة لنسائه، فكانت نهاية القيادة الإلهية المباشرة للحكم وصارت من خلال **الأنبياء**.

انقسمت المملكة فيما بعد، ثم عانت الحروب والسبي مرات، وكانت الويلات والمَذلّة. لكن الله كان يرسل الأنبياء (إيليا وأليشع وإشعياء وإرميا وحزقيال وغيرهم) لإنذار الملوك والشعب للرجوع والتوبة.

---

(١) وفيما بعد ضم الله **الأمم** الذين آمنوا به إلى **شعبه** (أع ١٥:١٤).

الملكوت لا المملكة :

بمجيء المسيح ينكشف قصد الله من اختيار شعبه ليكون باكورة لسائر الشعوب التي ستقبل الخلاص، ولإيضاح أن الله لا يطلب مملكة دائمة هنا على الأرض (يو١٨:٣٦) وجاء وقت المملكة الأبدية، **ملكوت السموات**، الذي يدخله المؤمنون بالمسيح بعد الموت والقيامة؛ وأن المملكة التي على الأرض يحكمها **قيصر** (أو من يقوم مكانه) حسب القوانين التي يتواضع عليها الناس والتي تستند إلى الإرهاصات الأولى في الوصايا العشر، والتي تتنوع بحسب الظروف وتطور الزمن والتاريخ والجغرافيا. وطلب الرب من مؤمنيه في العالم **أن يعطوا ما لقيصر لقيصر** (بحسب قوانينه) **وما لله لله** (بحسب شرائعه ووصاياه) (مت٢٢:٣١، مر ١٢:١٧، لو ٢٠:٢٥).

وأيام المسيح، كان هناك احتلال روماني لنصف العالم بما فيه مناطق خدمته، في اليهودية والجليل والسامرة. ولكنه لم يَدعُ إلى ثورة على المحتل وإنما ترك الأمر للناس. المهم أن يخضعوا للقانون باعتبار أنه يهدف إلى العدل. والكتاب يذكر أن **السلاطين الكائنة هي مرتبة من الله** لمكافأة من يفعل الخير والانتقام من فاعلي الشر، **وأن السلطان هو خادم الله للصلاح**، وأن المسيحي لا يخضع للقانون خوفاً من العقوبة وإنما **التزاماً بضميره المسيحي** (رو١٣:١-٧). والرب يحضّ على اتباع التراضي والمسالمة، والتسامح وقبول الآخر، منعاً لتردّي العلاقات بين الناس وتجاوز القوانين، وهنا سيتدخل الشرطي ليقود الخارج على القانون إلى القاضي الذي يحكم عليه بالسجن لردعه وتأديبه (مت ٥:٢٥، ٢٦).

الدين والدولة :

الدين، أي وصايا الله وشرائعه، هو لخلاص الناس ودخولهم الملكوت، **والدولة** هي مؤسسة أرضية لخدمة الجماعة البشرية تسّن قوانين لحياة الناس على الأرض، ويُفترض أن تسعى للعدل والحرية وسعادة البشر وتقدمهم ورفاهيتهم وحصار الشر والانحراف.

الدين ينظم علاقة الإنسان بربه، **والدولة** بسياساتها تنظم علاقة المواطن بوطنه وأقرانه من المواطنين.

الدولة ليست البشر، ولكنها المؤسسات والنظم التي تخدم وتدير وتنظّم الأنشطة البشرية في بلد ما.

الدولة لا دين لها. فهي ليست شيئاً عاقلاً مادياً وإنما كيان اعتباري يتعامل مع البشر الذين هم مواطنو الدولة.

الدولة ليست كائناً حياً. فهي لا تأكل أو تشرب أو تتنفس، وهي لا تصلي أو تصوم، ولا تؤمن أو تكفر؛ بينما **المواطنون** هم الذين لهم **دين** أو ليس لهم، ويصلّون ويصومون أو لا يصلّون أو يصومون.

قد تتجاور كلمتا **الدين والدولة**، ولكنهما لا يجتمعان أو تنشأ بينهما رابطة، لأن لكل منهما خصائصه ودوره ومجاله. **فالدين ليس للدولة وإنما للبشر**.

الدولة تتبع نظاماً سياسياً معيناً: فهي يمكن أن تكون : ديمقراطية، اشتراكية، شيوعية، دكتاتورية، جمهورية، ملكية، ولكن لا يمكن أن يكون لنظامها السياسي **دين** معين.

الدين لا علاقة له بالحكم، ويمكن أن يتعامل مع أي نظام سياسي، وإن كان يتوافق أكثر مع النظم العادلة، ويعاني تحت النظم القمعية المستبدة التي ترفضه.

الدين يحتضن العالم؛ ومؤسسته (**الكنيسة**) تصلي من أجل الدولة والنظم السياسية (١تي٢: ١، ٢). وهي تؤازر العدل والمساواة والحرية، وتساند الدولة في مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية، وتعزّي وتضمد الجراح وقت المحن والكوارث والحروب، وتدين الظلم والتمييز والطبقية والقسوة، **ولكنها لا تعمل بالسياسة**، ولا تقف مع حزب بعينه، ولا تصدر أحكاماً بالسجن أو الإعدام. وما جرى في القرون الوسطى من تدخّل الكنيسة في شئون الحكم، وتحوّلها إلى دولة، كان تجاوزاً لا يُغتفر، وعاراً لحق بالكنيسة، وإكليل شوك جديداً على رأس المسيح، وسلاحاً في يد أعداء الإيمان. وحسناً فعلت الكنيسة فيما بعد أن اعتذرت عن سقطات الماضي، وفي رجوعها إلى الحق والصواب اكتسبت التقدير والاحترام واستعادت الثقة.

عن الدولة الدينية:

التعريف الشائع عن **الدولة الدينية**[٢] هو أنها تلك الخاضعة لحكم رجال الدين (**ثيوقراطية** Theocratic)، أو التي يحكمها مدنيون ولكن حسب الشريعة الدينية (مقابل حكم الشعب أو باسم الشعب: **ديموقراطية** Democratic). الأكثر دقة (حسب موسوعة السياسة والدين) أنها **"النظام السياسي الذي يدّعي تمثيل الإرادة الإلهية**[٣] **على الأرض والتي يفسّرها بشر داخل إطار سياسي معين.**

---

(٢) سادت **الدولة الدينية** أوروبا خلال العصر الوسيط وحتى عصر النهضة Renaissance. وكان الملوك الإنجليز يحكمون بموجب **"الحق الإلهي"** أساساً للبقاء فوق المساءلة حتى ثورة إنجلترا في ١٦٨٨. كما حكم العرب الدول التي فتحوها **حكماً دينياً** من المدينة أولاً ثم من دمشق فبغداد، وكذلك كان حكم العرب في الأندلس، والخلافة العثمانية في استنبول، ومثل الحكم الحالي في إيران والسودان والصومال.

(٣) **الدولة الدينية** تنتهج التمييز الديني كما تنتهج دول **الأبارتيد** Apartheid التمييز أو الفصل العنصري ضد الملونين، الذي كان سائداً في جنوب أفريقيا حتى أواخر القرن الماضي، وكما كانت بعض ولايات الجنوب الأميركي حتى الستينات من القرن الماضي.

الدولة الدينية إذاً، رغم ظاهرها، هي في حقيقتها مؤسسة سياسية بحتة، وممارسة للرئاسة والحكم والقيادة والتشريع لحساب بشر يدّعون التفويض الإلهي، ويستخدمونه غطاءً لسعيهم ورضاهم بالمكان الأول والسيادة. وقد يُضطرون إلى التسلط والاستبداد مستغلين في ذلك كل وسائل القوة والقمع متسترين بعباءة الدين. فهم حتى إن بدأوا بغايات شريفة قد ينتهون إلى مجرد طلاّب سلطة ومال ومغانم وخدمة مصالحهم وأقاربهم وأتباعهم وكل من يلوذ بهم ويواليهم. وهم سيظلّون بشراً، يصيبون ويخطئون، وليسوا فوق الانحراف والاشتهاء وحب الذات، ومع هذا يرون أنفسهم أصحاب قداسة وفوق النقد والمؤاخذة أو الخروج عليهم باعتبار أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة.

الدولة الدينية تعبد النصوص بغير اجتهاد بل هي تحارب العقل وتحرم الاجتهاد، وتعيش في الماضي بغير تجديد، تعادي التطور والحداثة. **ولا تُجاري العصر ومتغيّراته كأنه ضد الدين**، فهي مع الجمود والرجعية، ومآلها إلى التخلف والفشل، والانعزال عن الزمن والعالم من حولها.

الدولة الدينية ردّة إلى الماضي السحيق، عندما كان رجل الدين يقوم بدور الطبيب والحكيم والمنجّم تاركاً للزعيم دور الإله والقائد. بمضي الزمن وبزوغ أنوار التحّضر بدأ التخصص وتحدد دور رجل الدين، وتم الفصل بينه وبين أدوار أخرى صارت للطبيب والمعلم والعالم والحاكم والسياسي. المناداة إذاً بالدولة الدينية في عصرنا الحاضر هي ارتداد لعهود البدائية والبداوة، وتحميل رجل الدين مهاماً ليست له، ليصير حاكماً وحكيماً وعالماً ومفتياً في كل أمر وهذا المستحيل بعينه.

الدولة الدينية، للمفارقة!، هي عدو الحريات الدينية، وهي تعتقد أنها تملك وحدها الحقيقة المطلقة، من هنا فلا يمكن أن تسعى للالتقاء مع الآخر، بل هي تستبعد من لا يدينون بدين قادتها أو مذهبهم أو سياستهم الذين يتم تكفيرهم، إن لم يودعوا السجون والمعتقلات، أو يتم التخلص منهم بالقتل، كأنه دفاع عن الدين والدين منهم براء.

وعلى مدى العصور قتل الملايين باسم الدين. وفي العقود الأخيرة رأينا من يسمونهم بالانتحاريين، أو الاستشهاديين، الذين يفجّرون أنفسهم وسط من يريدون قتلهم، وأحياناً وهم يصلّون في دور عبادتهم، طاعة لقادتهم الدينيين أو لعقيدتهم الدينية التي تستحل قتل المختلفين في الدين، تنفيذاً لمآرب سياسية تلتحف بالدين(٤). وعندما يتصاعد العنف الديني ويُطعن الوطن بالاقتتال الطائفي، لا يجد المختلفون في الدين أو السياسة مفراً للنجاة بأنفسهم غير التروح إلى خارج الأوطان، ربما إلى غير رجعة، طالما بقى الحكم الديني(٥).

في **الدولة الدينية** يمكن أن تُستحل كل الموبقات باسم الدين وهو منها براء. هكذا يجتمع النقيضان: الدين وضده، فتنتشر الأمراض الاجتماعية من الرياء والكذب وتبرير الانحرافات، والتدين الشكلي الظاهري بصورة التقوى الكاذبة، محبة الكلام واللسان، وجمع المال تحت ستار الدين، والتمسك بقشور الدين من ناحية الملبس والمأكل بينما القلب يمتلئ بالشرور والشهوات.

وكم دان الرب الرياء الذي ساد الحياة الدينية في أيامه، ولم يتحفظ في مواجهة الكتبة والفريسيين الذين كانوا يلتزمون بتعشير النعنع والسذاب والكمون تاركين **"أثقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان"** (مت٢٣: ٢٣) فضللوا بسطاء الناس(٦) وجعلوهم أبناء لجهنم.

---

(٤) والرب حذّر تلاميذه وتابعيه مسبقاً مما سوف يأتي عليهم من خاصتهم باسم الدين "**سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله**" (يو١٦: ٢).

(٥) انخفضت نسبة المسيحيون في الوطن العربي تحت وطأة التمييز الديني والاضطهاد العنيف في النصف الثاني من القرن العشرين وما بعده. ففي **القدس** (كرسي أورشليم) كان المسيحيون يمثلون ٥٠٪ من السكان في سنة ١٩٢٠ وصاروا في التسعينات ١٠٪؛ وكانوا ١٧٪ في سائر **فلسطين** وهم حالياً ٢٪؛ وكانوا في **لبنان** ٥٥٪ أوائل الثلاثينات وهبطوا إلى الثلث حالياً؛ وكانوا يشكّلون الثلث في **سورية** (كرسي أنطاكية) أوائل القرن العشرين وهم الآن حوالي ١١٪؛ وكان عددهم في **العراق** في إحصاء ١٩٧٧ ٢,٠٤٨,٠٠٠ ، وصاروا في ١٩٨٧ ١,٧٥٠,٠٠٠ وهبطوا إلى ٧٠٠,٠٠٠ في ٢٠٠٣، وهم حالياً حوالي ٣٥٠,٠٠٠. وقد تصاعدت نسبة هجرة **الأقباط** إلى الخارج بدءاً من ستينات القرن الماضي، وارتفعت مؤخراً من جديد.

(٦) كما تضلل الفتاوي اليوم العوام والجهال بما يشجع على السرقة والقتل ويحلل الزنا تحت مسميات خادعة.

وهكذا تصير **الدولة الدينية** (وعنوانها المضلِّل "**الدولة المدنية ذات المرجعية الدينية**"!) نبعاً للشرور والآثام والآلام والظلم وتعاسة البشر. وفوق هذا فأصحابها يشوّهون الدين لأنهم يوحّدون بينهم وبينه، ويسيئون إليه بنقائصهم وعيوبهم وانحرافاتهم، فتنعكس ظلماً على الدين الذي سيتحمل أوزار وخطايا "الحكم" وسوءاته، والتصرفات التعصّبية التمييزية، وانحرافات رجال الدين؛ ويصير الدين توأماً للسياسة التي تستقيم وتنحرف وتستخدم كل الوسائل بما فيها الكذب والانتهازية والوصولية والتحالف حتى مع الشيطان. في النهاية يتحول القادة والدينيون إلى طغاة مستبّدين، ويؤول حكمهم إلى الخراب والانهيار.

ولا يقل استغلال الدين من جانب السياسيين خطراً عند توظيفه لتمرير القوانين لمصلحة النظم الحاكمة فيصير الدين خادماً لأغراض البشر وتطلعاتهم الأرضية، بما في ذلك إعلان الحروب أو التمييز بين المواطنين أو الأطماع الذاتية.

محاولة ربط الدين بالدولة يجعل الدولة عملياً في مرتبة أرفع من الدين الذي يحتاج إلى حماية الدولة، وهذه إهانة للدين باعتباره متصلاً بالذات العليا الكونية التي هي أبقى من الزمان والمكان. وعندما يتضمن الدستور نصاً على أن هناك **ديناً رسمياً للدولة** بغير إشارة إلى حرية الاعتقاد وتفعيلها على أرض الواقع، فهو يشير، ربما دون وعي، أن الدين يستقوي بالدولة(!) وليس بمرجعيته الأسمَى، واتصاله بمن هو فوق الكل وبضمائر البشر. وهو، والحالة هذه، كأنه يدين بوجوده إلى مادة في الدستور الذي هو صناعة بشرية مستحدثة، وعمرها موقوت كأعمار البشر؛ في حين أن الدين دائم، سابق ولاحق على الدساتير. والدين عصيٌّ على التغيير، بينما الدساتير ليست دائمة ويمكن تغيير موادها حسب الحاجة بل وإلغاؤها كلياً واستحداث غيرها. فارتباط الدين بالدولة هو حطٌّ من قدر "الدين" قد لا يدركه المنحازون للدين الساعون لارتباط الدين بالدولة والدستور المكتوب.

عن الدولة المدنية: [٧]

على العكس من الدولة الدينية، التي تبدو كالنبت الغريب الذي يعادي الحياة، فإن **الدولة المدنية** أو **الوطنية**[٨] (كمعظم دول العالم الحديث) هي ببساطة الدولة الطبيعية، هي **دولة الوطن** وليست **دولة الديانة**. دولة القانون والعدل والحرية، كما هي دولة العلم والعقل، التي يقودها بشر مثلنا تفوّضهم الأمة وتعزلهم، ويستندون إلى القانون الوضعي. وهؤلاء قد يكونون في حياتهم الخاصة متدينين أو غير متدينين أو حتى بلا دين، ولكن هذا لا ينعكس على تعاملهم مع المحكومين. فالكل أمام القانون سواء: مواطنون كاملو الأهلية، يمارسون حريتهم وحقوقهم الكاملة في إطار العدل دون تمييز من جهة عقائدهم الدينية أو السياسية أو عِرقهم أو جنسهم أو لونهم. ليس هناك مقرَّبون من الحكام يأخذون كل شيء ومستعبدون لا يأخذون شيئاً. **والشعب** هو مصدر السلطات والسيادة الذي يشرّع لنفسه ويضع القوانين، ويحاسب الذين جاء بهم عبر الانتخابات الحرة لمدد محددة، وهذا يضمن ألا يتحول الحاكم إلى مستبد يقمع المواطنين بالقوة، إذ يمكن للشعب أن يسحب منه الثقة ويغيّره.

والدولة المدنية، التي يعمد أعداؤها إلى تشويهها بأنها قرينة الإلحاد، هي لا تنكر الأديان والعقائد أو تعاديها، كما أنها لا تنحاز إلى دين بعينه بل تحترم كل الأديان والمعتقدات مهما تعددت، **وهي في هذا أكثر عدلاً من الدولة الدينية**، إذ أنها تضمن حرية العبادة لكل فئات المجتمع، وتنظم إنشاء دور عبادهم حسب الحاجة بأفضل مما توفره الدولة الدينية التي تجعل للدولة(!) ديناً رسمياً يستمتع أصحابه فقط بكل الحقوق ويأتي غيرهم من الأديان والعقائد الأخرى في المراتب التالية من المواطنة فيعانون التمييز والعنصرية وربما الاختطاف والقتل وهدم دور عبادهم أو حرقها أو تفجيرها.

---

(٧) أو العَلمانية، فمن الخطل أن نقول: دولة مدنية ولكن ليست عَلمانية!. ولاختلاط مفهوم الدولة العلمانية في أذهان الكثيرين فقد خصصنا لها الفصل السابع من هذا الكتاب.

(٨) بتعبير الكاتب أحمد عبد المعطي حجازي (المصري اليوم – ٢٠١٣/٥/٢٤).

بل أن **الدولة المدنية** تشجّع بشكل ما الأديان كمصدر للتقويم والأخلاق وتربية الضمير وحسن المعاملة واحترام القانون مما يرسي قواعد السلام ويحاصر الشر. وفي نفس الوقت فهي لا تتدخل في الجوانب الروحية والشخصية للدين: العبادة والتقوى والشرائع والممارسات. وهي كدولة مدنية وليست دينية لا تجبر أحداً على السلوك بحسب الدين أو تعاقب غير الملتزمين فهذه ليست مهمتها، ولكنها تكفل للجميع حرية العبادة أو حرية عدم الالتزام، وهذا حسابه عند الله.

ولاشك أن ممارسة التدين تحت ضغوط الدولة الدينية وقوانينها وجماعاتها يلقي بالشبهات حول صدق التدين واستقامته وتجرده من الرياء خشيةً أو إرضاءً. على العكس، **فالتدين في الدولة المدنية أكثر صدقاً لأن هذا هو اختياره الحر بكامل إرادته. وهو لا ينتظر جزاء أو يخشى عقاباً من أحد، ولا يقصد غير وجه الله وحده الذي عيناه تخترقان أستار الظلام.**

الإنجيل جعل الحكم مدنياً "اعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر" (مت٢٢:٢١، مر ١٢:١٧، لو٢٠:٢٥)، أي فَصَل بين السياسة والدين؛ وجعل أمور **العبادة** أمراً بين المخلوق وخالقه، وهي علاقة لا مساواة فيها بل يسلّم فيها الإنسان نفسه لإلهه. هذا لا يعني انقسام قلب المواطن المؤمن بين "قيصر" و"الله". **الله في الحقيقة يملك كل شيء: الإنسان وقيصر والعالم**، ولكنه كلّف "قيصر" بالحكم على الأرض وترسيخ القانون وسياسة الناس بالعدل، وعلى قدر التزامه سيكون الحكم عليه من الله، فإن ظَلَم أو تجاوَز حق الله فسوف ينحّيه الله ويعاقبه في الوقت المعيّن. فالحاكم لن يكون بعيداً أبداً عن يد الله، ونهايات الحكام الأشرار ساطعة بادية لكل عين (أف ٦:٩، كو٣:٢٥).

المؤمن يؤدي واجبه تجاه قيصر بالأمانة، وفي المقام الأول يريد أن يُرضي الله والضمير. فإن تعارض ما يطلبه قيصر مع وصيته لله فسوف يستخدم المؤمن الوسائل القانونية المتاحة للاعتراض على أمر قيصر، ويتحمل النتائج مهما تكن **"لكي يرضى من جنده"**، وهكذا يشترك "في احتمال المشقات كجندي صالح

ليسوع المسيح" (٢تي٢:٣، ٤). وظروف المواطن المؤمن ستكون هنا أفضل حالاً بالطبع في الدولة المدنية عنه في الدولة الدينية، حيث يكون الإعتراض على الحاكم "بأمر الله" تعدّياً على الشريعة وتجاوزاً غير مسموح به.

ومن ناحية أخرى، فالمؤمن الملتزم يصلي من أجل الحاكم مهما كان إيمانه لكي يسير في حكمه بالحق والعدل وليصنع الخير للجميع. وفي الكنيسة أواشٍ (طِلبات) كثيرة من أجل الملك أو الرئيس والجيش والوزراء، وكل من هم في منصب في الدولة، لكي يمارسوا عملهم بالأمانة وعدم التمييز بمؤازرة "**ضابط الكل**". ففي استقامة الحاكم يسود العدل وتنعم الكنيسة بالسلام. فهي، من ناحية، مسئولية الكنيسة من أجل الرؤساء، كما أنه من صالح الكنيسة أن تتفادى الوقيعة والخصام والاضطهاد، فهذا ينعكس عليها سلباً ويعطل كرازتها، وهكذا يُحرم البعض من نعمة الإيمان والخلاص.

مصر اليوم في مرحلة مخاض وتحول. وهي أمام مفترق طرق، منها ما يؤدي إلى السلامة والازدهار، ومنها ما ينقلها إلى عصور الظلام والجهل والتخلف والاستبداد.

والمسيحي الحق يبالي بما يجري لأنه يؤثر على حياته الروحية والعالمية، ومستقبله ومستقبل أولاده. وهو مُطَالب بأن يؤدي واجبه كمواطن يحب وطنه ومواطنيه، ويعلن انحيازه لما يسهم في خروج بلاده من عنق الزجاجة إلى رحابة النور والحرية والمساواة، وتشارك بأصالتها وتاريخها الحضاري والإيماني في سلام العالم وتقدمه، وهي تستحق ذلك وجديرة به.

الفصل بين السياسة والدين

عبرة التاريخ الإنساني ودروسه تقول إنه **من الصواب والضروري الفصل بين الدين والشريعة من ناحية والدولة والسياسة والقانون والحُكم من ناحية أخرى.**

+ وسائل الدين غير وسائل السياسة. **الدين** يسعى لمجد الله ويتكلم بالحق والاستقامة ويدين الانحراف والزيف، و**السياسة**، وهي تتأرجح بين الممكن والمستحيل، تسعى لإرضاء الناس أو إلهائهم ولو على حساب الحقيقة والحق. ومن أجل حماية الدولة والرؤساء يُبَرّر الظلم والكذب والتجسس والقسوة والقتل وكل المحظورات بل وإعلان الحرب لتأكيد القوة. **فاختلاط الدين بالسياسة يسئ للدين ويفسد السياسة ويسبب التعاسة للجميع.**

+ ليس من الحكمة في شئ أن يحوّل رجال الدين شرائع الدين من ارتباطها في جوهرها بعلاقة الانسان الروحية مع الله عبادةً وأمانةً وسلوكاً، وانعكاسها على علاقته بإخوته في الإنسانية حباً وخدمةً ومسالمةً، لأن تصير قانوناً للحكم والسياسة

والدفاع والإدارة والقضاء والتجارة والاقتصاد والمال والعلم والتعليم وغيرها (وهذه أمور زمنية خاضعة للتطور والتغيير لتتلاءم مع حاجات الناس التي تتغير).

هذا يحوّل الدولة، التي هي كيان أرضي مدني، إلى مؤسسة دينية تميّز بين الناس على أساس الدين، أي تفتقد العدل والمساواة وهما أساس القانون، فتهدم قواعد المواطنة التي يُفترض ألا تفرّق بين المواطنين بحسب معتقداتهم، وهي تحوّل رجل الدين، وهو بشر تحت الآلام والضعف، إلى رجل سياسة ودولة يحكم بأمر الدولة وظل الله على الأرض – كما كان يقال – وهي أمور عفا عليها الزمن وطوتها الأيام منذ عصور الظلام، وعانى منها الجميع سواء رجال الدين أو رجال الحكم، كما عانت منها السياسة وعانى الدين، وهي تجعل الدين الثابت لكل زمان ومكان والمتصل بالله المطلق، يرتبط بأحوال الدنيا النسبية والتي تتغير كل يوم وتتطور، وهي تعرّض الدين من ثمّ لتحمّل أوزار قصور القوانين وضعف البشر، ويصير بالتالي هدفاً لسهام من يناوئ الدين ويبحث عن ثغراته.

+ عندما زالت الحواجز بين الكنائس والقصور، واختلط رجال الكنيسة برجال الحكم والسياسة، منذ أن أُعلنت المسيحية ديناً للإمبراطورية الرومانية، وحتى العصور الوسطى عندما صارت الكنيسة دولة تحكم وتحرم وتحاكم من لا يروق لها من المواطنين أو المفكرين والعلماء وتصدر عليهم أحكاماً بالموت[1]، جاءت

---

(١) ولا ننسى "**محاكم التفتيش**" في أسبانيا ذات السمعة السيئة، أو اعتراض الفاتيكان وغيره على اكتشافات علماء وفلسفات مفكرين عظام غيَّروا وجه الحياة بحجة أنها ضد الإيمان. ويأتي إلى الذهن سريعاً اسم **نيكولاس كوبرنيكوس** الفلكي البولندي (١٤٧٣-١٥٤٣) الذي اكتشف أن الشمس هي مركز الكون المحيط بنا Heliocentric System ، وأن الكواكب تدور حولها وليس حول الأرض كما يبدو ظاهرياً، وقد تردّد طويلاً في إعلان ما انتهى إليه خوفاً من الكنيسة و لم ينشره في كتاب إلا وهو على فراش الموت (١٥٤٣). وقتها لم تعر الكنيسة الأمر اهتماماً لانشغالها بانشقاق مارتن لوثر (١٥٢١)، ولكنها تنبهت إلى ذلك عندما ظهر بعده **جيوردانو برونو** (١٥٤٨ - ١٦٠٠) الذي وإن بدأ راهباً إلا أنه بسبب جرأة أفكاره أُجبر على الخروج من الدير (١٥٧٦) وعمل بالفلسفة ثم بالفلك وأيدَّ نظرية كوبرنيكوس، فقُبض عليه (١٥٩٣) واتُّهِم بالهرطقة، ولكنه لم يتراجع عن اعتقاده فحُكم عليه أولاً بالسجن في قبو مظلم لثمانِ سنوات، بعدها أُحرق حياً في سوق المدينة. (البقية على الصفحة المقابلة)

المتاعب والآلام للجميع. فرجال الدين استعذبوا الرئاسة ومجد العالم وحياة القصور وتتويج الملوك، ورجال الحكم استخدموا قوة الدين لحسابهم ولتغطية شهواتهم وحروبهم واقتتالهم[٢].

وإذ تنازلت الكنيسة عن دورها كصوت الحق، المتجردة كسيدها المترفعة عن المال ("**لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم**" – مت ١٠:٩، "**لا تحملوا كيساً ولا مزوداً**" – لو ٩:٤، "**ليس لي فضة ولا ذهب**" – أع ٣:٦ ، ".. **ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل**" – أع ٤:٣٤ "**لتكن فضتك معك للهلاك**" – أع٨:٢٠ "**كفقراء ونحن نغني كثيرين**" – ٢كو٦:١٠)، التي تنقذ من الموت وتهب الحياة لا أن تحكم بالموت، وتعلمت المواءمة وغضّ الطرف، وانحبس صوتها الذي يدين الحرام، زادت أموالها ولكن خبا نورها. إلى أن تغيرت الأحوال، وتراجعت كل من الكنيسة والدولة إلى مواقعها الحقيقية، واستقل كل منهما عن الآخر، فاستعادت **الكنيسة** قوتها كشاهدة للمسيح والإنجيل والبشارة بالخلاص والصلاة من أجل الحكام وكل من في منصب، وإدانة الانحراف والظلم، **والدولة**

في نفس الوقت تقريباً ظهر **جاليليو جاليلي** (١٥٦٤-١٦٤٢) الفيزيائي والفلكي الكبير الذي اخترع التلسكوب (١٦٠٩) فأكد عملياً صحة ما قال به **كوبرنيكوس**. وفي البداية رحّب الفاتيكان باختراعه (١٦١١) مما شجعه أن ينشر ما اعتقد به في بحث صغير (١٦١٥) ولكن الكنيسة انتفضت فأدانته هو وكوبرنيكوس بالهرطقة (١٦١٦) ولما نشر نظريته (١٦٣٢) حاكمته الكنيسة وحُكم عليه بالحرم والموت (١٦٣٣) وخُفّف الحكم، بعد قسره على التراجع علناً لإنقاذ حياته، إلى الإقامة الجبرية في بيته ومات (١٦٤٢) بعد أن كان قد فقد بصره (١٦٣٧).

[وقد استندت الكنيسة في اعتراضها على نظرية مركزية الأرض إلى ما جاء في الكتاب عن أن يشوع .. وقت حربه مع الأموريين – كلم الرب قائلاً "**يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي أيلون فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه.. فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تُعجِّل للغروب نحو يوم كامل. ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده** ..." (يش ١٠:١٢-١٤). وقد أصبح معروفاً أن ما جرى هو في حقيقته توقف الأرض والقمر (لا الشمس) عن الدوران حتى طال النهار وتحققت الغلبة لإسرائيل]. وقد ظلت مأساة اضطهاد العلماء تشوّه وجه الكنيسة الكاثوليكية حتى صدر اعتذار الفاتيكان بعد أكثر من ثلاثة قرون في عهد **البابا يوحنا بولس الثاني** (١٩٧٩) بإلغاء الحكم القديم على جاليليو، ثم قبول نظرية كوبرنيكوس وجاليليو (١٩٩٣).

(٢) الحرب بين الكاثوليك والبروتستانت في أيرلندا الشمالية (ذات الأغلبية الكاثوليكية) كانت في واقعها حرباً سياسية من أجل استقلالها عن بريطانيا (البروتستانتية) وليست حرباً دينية.

تحررت من استغلال رجال الدين واستغلالهم لها وصارت تحت رقابة الشعب وممثليه والقانون ورجاله وضامنة بدستورها لحرية العقيدة دون تدخل أو انحياز[٣] .

+ أن تتحول القوانين المتعلقة بالأمور الزمنية إلى أوامر دينية يجعلها تابوهات Taboos يستحيل الاقتراب منها حتى لو ثبت قصورها وضررها. عندما تكون القوانين اجتهاداً بشرياً يمكن تغييرها عند اكتشاف عيوبها لتكون أكثر ملاءمة لخدمة المجتمع وتأمينه وضبط إيقاعه. **فالقوانين جُعلت لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل القوانين.**

+ عندما يتعاظم تدخل الدين (وهو في الواقع تدخل رجال الدين الذين يسترون شهوتهم للحكم والرئاسة والنفوذ والتسلط تحت غطاء الدين) في أحوال الناس اليومية، خاصة مع تعدد الاتجاهات السياسية وأديان المواطنين في الدولة[٤]، فيما يأكلون ويلبسون[٥] وغيره من التفاصيل الصغيرة، ألا يؤدي ذلك إلى اضطراب أحوال الناس وسيادة الاختلاف والتمييز وفقدان السلام وحرية الإنسان، والانشغال بالقشور والمظهر عن الجوهر، وإثارة التساؤلات عن الحرام والحلال المتعلقة بالأمور الزمنية، وطلب الفتاوي في توافه الأمور وأيسرها، بعد تراجع العقل عن التفكير، أي التنازل عن أبرز ما ميّز به الله الإنسان عن غيره من الكائنات، ويسلمون أمورهم كي يسيّرها لهم رجال الدين؟!

---

(٣) ما جرى في القرون الوسطى من محاكمات دينية للعلماء نرى مثله حتى الآن من محاكمات تعقدها المجامع الدينية للكتاب والفنانين والمفكرين في بعض البلاد بحجة أن آراءهم ضد الدين. كما نرى كيف استُخدم الدين في منطقتنا غطاءً للإرهاب والقتل الجماعي وتزيين الانتحار لصغار السن لقتل الآخرين معَ الوعد بالمكافأة في الآخرة.

(٤) حتى الذين بلا عقيدة سياسية هم سياسيون وعقيدتهم أنهم بلا عقيدة سياسية. وحتى الملحدون الذين بلا دين هم أصحاب دين ودينهم أنهم بلا دين! **"الذين ليس عندهم ناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم"** (رو ٢: ١٤).

(٥) حُكم مؤخراً على صحفية سودانية بالجلد لارتدائها سروالاً في الطريق العام (!) لاعتبار فعلها هذا كسراً للشريعة، واضطرت الدولة تحت ضغط الرأي العام للعفو عنها مع تغريمها.

وبدل أن يصير الدين قوة روحية سامية تهذب النفوس وتوجهها نحو الله، يتحول إلى ممارسات شكلية، ومصدراً للسلطة والغنى ومؤسسات عالمية وإعلامية وبنوك وغيرها. فالدين ينحرف عن هدفه ويُستخدم لحساب أطماع البشر في هذا العالم. وعلى المستوى الاجتماعي، ينتشر الفساد جنباً إلى جنب مع التدين الظاهري وزيادة التعصب، وتتراجع الثقافة والتفكير العلمي، وتزداد الفوارق بين فئات المجتمع.

فك الارتباط بين الدين والدولة ليس ضد الدين، كما قد يتوهم البعض، بل هو – على العكس – في صالح الدين، أي أنه يحفظ للدين مكانته السامية في نفوس من يؤمنون به، كما يُبقي على مكان الدين مصونة مستقلة عن الدولة الخاضعة للزمن وتقلباته. فالإمبراطوريات والحكومات والدساتير مآلها كلها للإنحلال والتغيير، بينما الدين باق لأن مداه يضرب في الأبدية، ومبادؤه تتجاوز الزمان الحاضر وأمور الحياة اليومية إلى المجالات الروحية والضميرية المتعلقة بالمصير.

الدين والسياسة إذاً لا يلتقيان أو يجتمعان. فالدين ثابت والسياسة متغيرة، والدين مطلق والسياسة نسبية تقبل الصواب والخطأ والمراجعة والمحاسبة والنقد والانتقاد؛ ومن يمارسونها ليسوا فوق المساءلة لأنهم بشر. والذين يدّينون السياسة يخلطون بين النسبي والمطلق، أي بين المتغير والثابت، والنتيجة تعريض الاثنين للخطر وبالتالي تعريض الوطن كله للفشل والهلاك.

وهكذا تصدُق هذه المقولة القديمة الحديثة "**لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين**"، **لأن اختلاط الدين والسياسة كارثة على كليهما**.

فالدين يهبط من عليائه ليتحول إلى سلعة يتداولها الناس، فيكذبون ويراءون

وينافقون الحاكم ويمنحونه غطاءً تبريرياً لكل قراراته (التي ربما هي ضد الدين!)؛

والسياسة تفتقد روح الديمقراطية والمساواة وخدمة الشعب والمجتمع، أو تصطبغ بالتحيز والتمييز والمحسوبية والظلم والقسوة، ونهب الثروات والتربح والرشوة وجمع الغنائم، وتقسيم المجتمع إلى مؤمنين وكفار.

هكذا يفقد **الدين** كرامته ونقاءه وموقعه المتفرّد، وهكذا تتلوث **السياسة** وتفقد استقامتهاونزاهتها وتجردها، فتنقسم الأمة إلى جماعات متناحرة وتسود الكراهية، وقد تنزلق الأمة إلى حروب عرقية ودينية، وتهجير وتطهير، إلى آخر هذه القائمة التعسة، ونهايتها الإنهيار والخراب وهزيمة الجميع.

سيظل المسيح وتابعوه **"نور العالم"** (مت٥:١٤، يو ٨:١٢)، وسيظل إنجيله سُلماً للحياة الأبدية وليس دستوراً للحكم، وستظل سلامة العالم الحاضر، ونجاح الأمم، وتقدم الحياة، وعدالة الدولة، وكرامة الدين مكفولةً بالفصل الصارم بين الدين والسياسة، وليبق دوماً **"ما لقيصر لقيصر وما لله لله"** (مر ١٢:١٧، لو ٢٠:٢٥) من أجل الخير للجميع.

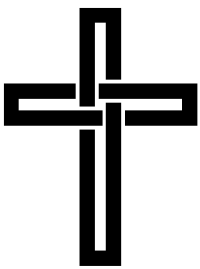

قضية العَلمانية

+ عن المفهوم السياسي للعَلمانية
+ عن المفهوم الكنسي للعَلمانية

عن المفهوم السياسي للعَلمانية

يختلط اصطلاح "**العَلمانية**" في الأذهان في مجتمعنا، ويتعرض قصداً أو جهلاً بمعناه وظروف نشأته إلى تشويهه بالأكاذيب والأوهام بما يدفع البعض إلى تفادي استخدامه باعتباره تعبيراً مشبوهاً سيء السمعة يقترن بمعاداة الأديان والميل إلى الإلحاد، ويستبدلون "**بالدولة العَلمانية**" اصطلاح "**الدولة المدنية**" الذي يرونه أكثر قبولاً ولا يصدم مشاعر من يسيئون الظن بالعلمانية.

وهذا الفصل هو محاولة لشرح مفهوم "**العَلمانية**"[1]، والظروف التي واكبت نشأتها قبل قرون لإزالة ما أحاط بهذه الكلمة من ظلم وسوء فهم في منطقتنا وبلادنا. وأرجو من القاريء أن يحتمل جفاف هذه المادة بالنظر إلى

(١) استعنّا في إعداد هذا المقال بمقالات نشرت خلال السنوات الأخيرة لعدد من المفكرين والكتاب بينهم د. عادل جندي، د. مراد وهبة، د. حازم الببلاوي، د. هالة مصطفى، د. عصام مصطفى، العفيف الأخضر، عبد المعطي حجازي، د. عبد المنعم سعيد، إضافة إلى مصادر أخرى.

أهمية إحاطته بها، كمواطن وكمسيحي، تُقبِل بلاده على تغيير لا يُدرَك مداه الآن، والذي لابد من إسهامه في أن يجعله تغييراً إلى الأفضل.

أصل المصطلح :

هناك تعبيران في اللغات الأوربية مقابل ما يترجم إلى العربية **بالعَلمانية** (بفتح العين) [٢]:

(١) **سيكيولارزم** Secularism أو Secularity (من Saeculum **سيكولوم** اللاتينية) والتي تعني حرفياً **العصر** أو **الجيل** أو **القرن**، ولكنها في العصور الوسطى كانت تعني **العالم** أو **الدنيا** أو **هذا الزمان** (أو **الكون : موندوس** Mondus أو **موندوم** Mondum اللاتينية أو **كوزموس** Cosmos اليونانية)، مقابل الكنيسة ورجالها، أو المؤسسة الدينية (الذين ينتمون بحكم خدمتهم الروحية إلى السماء والسمويات وليس إلى هذا العالم).

وفي قاموس أكسفورد : **سيكيولار** Secular **العَلماني**، هو من ينتمي **للحياة الدنيا** وما يتعلق بها، أي **مدني، زمني، غير كهنوتي، غير ديني، غير مقدس** (مقابل من ينتمي **لحياة الكنيسة** أو مكرس لخدمة **الدين**).

وفي مجال التعليم تشير الكلمة إلى موضوعات غير دينية. **والعلمنة** Secularization هي تفعيل العلمانية في الفرد والمجتمع والطبيعة [٣].

وقد استخدم مصطلح Secularism لأول مرة في ١٦٤٨ عند توقيع صلح وستغاليا وعلمنة ممتلكات الكنيسة. وبداية ظهور الدولة القومية الحديثة في

---

(٢) لتأكيد اشتقاق الكلمة من "**العالم**" وليس من "**العِلم**" يعمد البعض إلى كتابتها "**العالمانية**".

(٣) يقصد **بعلمنة الفرد الإنساني** أن تسوده العقلانية، ويعرف أنه جسد وروح ككل البشر، فينزع عنه التسلط والتعالي، وبالنسبة للحاكم، أي ادعاء بالألوهة، فالكل متساوون.
أما **علمنة الطبيعة** فتعني سيادة التفكير العلمي عند التعامل معها فتنحسر أفكار الخرافة والسحر التي منبعها الجهل.

أوروبا. واستخدمه الإنجليزي جورج هوليوك (١٨٤٦) بالمعنى الحديث أي فصل الدين والعقائد عن الدولة أو الحياة السياسية.

(٢) **لاييك** Laïc (من الأصل اللاتيني **لائيكوس** Laïcus المشتق من اليوناني Laïkos أو Laos أي **الشعب**). وحسب معجم لاروس، فهو على مستوى العالم والدولة يعني المنتمي لعموم الشعب والمستقل عن المؤسسات الدينية، وكنسياً صار المصطلح يعبر عمن ينتمي للشعب مقابل من ينتمي للكهنوت. وصَكّ المصطلح في القرن التاسع عشر الفرنسي في دينانـد بويسون. والتعبيران الإنجليزي والفرنسي كما نرى يتكاملان وإن لم يكونا متطابقين.

وكان أول من ترجم مصطلح Laïcité **بالعَلمانية** هو المصري (القبطي) **لويس بقطر**، أحد مترجمي الحملة الفرنسية في معجم فرنسي- عربي، طُبع لأول مرة في مارس ١٨٢٨. وفيما بعد تبنّى هذا المصطلح مجمع اللغة العربية في القاهرة.

المعنى العام للمصطلح :

يتضمن التعريف العام **للعَلمانية** في وقتنا الحاضر ثلاثة عناصر :

(١) عدم تسلط الدين (أو أي معتقد) على الدولة ومؤسسات المجتمع والأمة والأفراد.

(٢) حرية الضمير والعبادة والدين والعقيدة.

(٣) وقوف الدولة دون تحيز على مسافة واحدة من جميع الأديان والمعتقدات، بحيث تتساوى كلها في الحقوق والواجبات.

ويشير إليها معجم روبير الفرنسي أنها "**ذلك التنظيم السياسي للمجتمع الذي لا تمارس فيه الدولة أي سلطة دينية ولا تمارس فيه الكنيسة أي سلطة سياسية**".

العَلمانية ليست إذاً عقيدة وفلسفة مقابل العقيدة الدينية : عدواً لها أو بديلاً عنها، وإنما هي عقد اجتماعي لحماية العقائد الدينية ومنع استغلالها لأغراض السياسة والحكم، وأيضاً لتجريد الحكم من أي صبغة قداسة أو عصمة باسم الدين بما يتيح مراقبة الحكام ومحاسبتهم باعتبار أنهم يحكمون باسم الشعب. فالهدف في النهاية هو التمييز بين المجالين السياسي والديني، **وفصل عقيدة الدين عن عقيدة السياسة**. فلا يتحول "الدين" إلى "سلطة" أو "السياسة" إلى استبداد وقهر. ولكن في نفس الوقت، فإن ممارسة العبادة هي من صميم الحقوق والحريات المدنية للأفراد والجماعات التي تكفلها وتحميها الدولة.

وهذه الأهداف متكاملة رغم أنه أحياناً يتم التركيز على أحدها بحسب مصلحة الجماعات المكونة للأمة. فالمتدينون ينحازون بالطبع لحرية العقيدة والعبادة ولكنهم ربما يترعجون من إتاحة الحرية للملحدين أيضاً؛ وغير المتدينين يتمنون استبعاد الدين تماماً من الحياة وليس فقط فصله عن العمل السياسي (كما كان سائداً خلال الحكم الشيوعي)؛ وأصحاب الأغلبية الدينية لا تروقهم المساواة مع الأقليات الدينية، ويصير على الدولة العلمانية المثالية مسئولية كفالة حرية العبادة للجميع دون تجاوز، وألا تتحيز "مع" أو "ضد" أي عقيدة دينية، كما تمنع أية مظاهر للتعصب أو التمييز الذي يؤدي إليه.

خلفية تاريخية :

العلمانية لم تنشأ تلقائياً بغير عناء، وإنما هي ثمرة نضال طويل للبشرية وتضحيات غالية للتوصل إلى طريق آمن للتحرر والتقدم، بعد معاناة على مدى قرون من طغيان الحكام من ناحية، واستبداد رجال الدين أو من يحكمون ويتحكمّون باسم الدين من ناحية أخرى(٤).

---

(٤) ربما كان إعلان **العهد الأعظم** Magna Carta في بريطانيا (١٢١٥) أولى الخطوات على طريق تحرير البشر باعتبارها أول وثيقة عرفها العالم عن المواطنة والحقوق المدنية للأفراد.

وربما كان لميلاد **العلمانية** في أوروبا في بيته تختلف جذرياً عن منطقتنا ثقافياً وفكرياً واجتماعياً وسياسياً ما أدّى إلى خلط كبير في الأذهان. فهي هناك **لم تكن فصلاً بين الدولة والدين، وإنما بينها وبين الكنيسة** بعد المعاناة من تصاعد نفوذ الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا في العصور الوسطى(٥)، واستبدادها بالسلطة استناداً إلى مبدأ الحكم بالتفويض الإلهي. فكانت **"محاكم التفتيش"** في أسبانيا، وكانت المحاكمات للعلماء(٦) الذين في إعمالهم للعقل والعلم نادوا بدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، الأمر الذي رأته الكنيسة مناقضاً للنصوص الكتابية. وإزاء هذه الأوضاع نشأ الفكر العلماني للحد من سلطان الكنيسة والذي بدأ في إطار الكنيسة نفسها (في ١٥٢٠) بانشقاق الراهب **مارتن لوثر** Martin Luther الألماني (١٤٨٣-١٥٤٦) **وجون كالفن** John Calvin الفرنسي السويسري (١٥٠٦-١٥٦٤)، ونشأة البروتستانتية أو ما يعرف **بثورة الإصلاح** Reformation وبدء **عصر التنوير**(٧).

دَعَم هذا الفكر قيام **الثورة الأميريكية وإعلان الاستقلال** (٤ يوليو ١٧٧٦)، الذي تُوّج بإصدار الدستور الفيديرالي الموحَّد للولايات المتحدة (١٧٨٧)، الذي يشير إلى **"أن الناس جميعاً خلقوا متساوين ومُنحوا من خالقهم حقوقاً بعينها لا يمكن انتزاعها - منها الحياة والحرية"**. وفي ١٧٨٩ كانت **الثورة الفرنسية** - كبرى الثورات الإنسانية في التاريخ المعاصر، وهي التي أرست أول إعلان واضح بشأن الحقوق والحريات الأساسية للأفراد، وأولها

---

(٥) التي امتدت عشرة قرون : ٤٧٦-١٤٥٣.

(٦) نيكولاس كوبرنيكوس (١٤٥٣)، جيوردانو برونو (١٥٩٣)، جاليليو جاليلي (١٦٣٢).

(٧) على يد الفيلسوف الألماني **إيمانويل كانط** Immanuel Kant (١٧٢٤-١٨٠٤) صاحب كتاب **"نقد العقل الخالص" ونظرية المعرفة** التي تعتمد على قيام العقل بنقد ذاته كي يحدد النطاق الذي يستطيع فيه أن ينتج معارفه بكامل قدراته، أما ما يتجاوز إمكانياته فهذا يظل عصيًّا على الإدراك العقلي. فتفكير العقل الإنساني ميدانه النسبي لا المطلق. وبالتالي فالتنوير يصبح ممكناً في إطار **التفكير في النسبي بما هو نسبي والتفكير في المطلق بما هو مطلق بغير خلط**، وهذا هو المضمون الفلسفي للعلمانية.

حرية العقل والتفكير، وهو "**الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان**" (ليصبح "**الإعلان العالمي لحقوق الإنسان**" الذي أقرّته الأمم المتحدة في ١٩٤٨).

وفي ١٩٠٥ أصدرت فرنسا قانوناً يؤكد بشكل محدد على "**الفصل بين الكنيسة والدولة، أو فصل الكنيسة عن الدولة**"، **وهو المعنى الأوروبي للعلمانية**، أي **منع تدخل الدولة في شئون الكنيسة والأديان ومنع الكنيسة من التدخل في شئون السياسة**. ولما تم تعريب هذا المبدأ إلى "**الفصل بين الدين والدولة**" صار مثيراً للالتباس وموضع مناوأة الكثيرين. بينما التطبيق العملي والترجمة الصحيحة للمبدأ بما يتلاءم مع واقعنا التاريخي والسياسي هو: **استبعاد تدخل رجال الدين في الحكم المدني أو اشتغالهم بأمور السياسة**. فأمور السياسة والحكم هي من أمور الحياة الدنيا الحاضرة، التي ليس لأحد فيها سلطة مقدسة تمتنع على التقييم أو المحاسبة أو الاعتراض. كما أن أموراً مثل التعليم العام والقانون تصير محايدة بالنسبة للدين والعقائد.

هكذا قامت **الدولة المدنية** الحديثة، التي انبثقت من أطلال إمبراطوريات العصور الوسطى، والتي اقتسم فيها الأمراء والسلاطين الحكم مع رجال الدين، دون أن يكون للشعب من دور غير الإذعان وخدمة الحكام، الذين لم يتركوا لهم غير الفتات.

عالمٌ جديد :

تحت قيادة المنادين بالحرية والمساواة والكرامة، التي تتحقق بها إنسانية الإنسان، انتفضت الشعوب مطالبة بحقوقها في الحياة الكريمة. ومن خلال آلاف الشهداء تأسست الدساتير الحديثة المستندة إلى **العلمانية**، التي فصلت بين الدين والشريعة من جانب، والدولة والسياسة من الجانب الآخر. وحققت **الديمقراطية** أي **حكم الشعب لنفسه** من خلال ممثليه المنتخَبين، والذين يمكن

تغييرهم إن أخلّوا بواجباتهم أو قصّروا في أدائهم. ويضبط إيقاع الجميع، حكاماً ومحكومين، قانون واحد أجمعوا عليه.

فالحرية الدينية مكفولة بغير انحياز إلى دين بعينه، وحق **المواطنة** هو للجميع دون تمييز بين الطبقات والأعراق والألوان والجنسين. وبجهود التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، يتاح أن يتمتع الجميع بحياة آدمية لا ينسحق فيها الفقير أو المريض أو محدود القدرات، وإنما يحتضن الوطن الضعفاء فيه قبل الأسوياء، فيصير **الدين لله والوطن للجميع**، أي يصير الدين علاقة حرة بين الإنسان وإلهه، أما الوطن فملكية مشتركة وساحة تتسع للكل، يتقاسمون فيها أفراحهم وأتراحهم، ويواجهون معاً تحديات الحياة ومصاعبها ونوائبها ويتغلّبون عليها بالعمل المشترك.

وهكذا **يستقل الدين عن السياسة فلا يستغل أحدهما الآخر**. **فالعلمانية** تكفل لنا الإخلاص **لمبادئنا الدينية** بغير تظاهر أو إدعاء، والإخلاص **لواجباتنا الوطنية** بغير إخلال أو تعارض. فهي تشبع **حاجة الإنسان الأساسية للدولة** حيث النظام والقانون، **وحاجة الإنسان الأساسية للدين** حيث الإيمان والمساندة الروحية والنفسية وراحة الضمير والإجابة عن سؤال المصير. كما إنه يبقى للدين دوره في مجال القيم والأخلاق المجتمعية، وفي مواجهة الإشكاليات التي يفرزها التقدم البيوتكنولوجي: مثل نقل الأعضاء وتعريف الموت والاستنساخ واستخدامات الخلايا الجذعية وغيرها.

وتجدر الإشارة هنا أنه في كثير من البلاد التي تتبنّى **العَلمانية المجتمعية** يحتفظ الدين فيها بدور مؤسسي وإن كان رمزياً. فملكة بريطانيا تترأس شكلياً الكنيسة الإنجليكانية، وفرنسا تُعتبر مع الفاتيكان حامية الكاثوليكية، ودساتير بعض الدول الأوروبية تنص على الدين أو العقيدة السائدة، ولكن بغير تمييز ديني. وفي الولايات المتحدة، رغم الفصل السياسي الواضح للكنيسة عن

الدولة، فإن دور الدين واضح في المجتمع وحرية العبادة مكفولة ربما أكثر مما في أوروبا. والعلمانية في تركيا، ذات التراث الإسلامي الكبير، يكفلها الدستور والجيش. كما تنص دساتير دول أخرى، ذات صبغة دينية، على العَلمانية، مثل مالي وكوت ديفوار وأوزبكستان، ولا ينص دستور أندونيسيا، وهي أكبر الدول الإسلامية في العالم، على دين للدولة، أو يحتوي نصاً يتعلق بالشريعة.

عن العَلمانية والدين :

كما بيّنّا آنفاً، فإن **العَلمانية** في أساسها ليست منهجاً ابتدع لمقاومة الدين، فالذين دفعتهم الظروف التاريخية، والتي جاز بسببها الملايين المحن والمظالم، إلى المناداة **بالعَلمانية** كحل لا بديل عنه، لم يكونوا ملحدين أو كفاراً، وإنما هم سعوا لتمكين كلٍّ من الدين والعمل السياسي من الحركة الحرة دون اختلاط، فيحتفظ الدين بجلاله ومكانته الرفيعة واتصاله بالمطلق، ويصير الحكم أمراً متعلقاً بالأرض، ويقوم عليه بشر يختارهم الناس ويخضعون للمحاسبة والتغيير، ويلتزم الكل بالقانون الذي يسود على الجميع بغير تمييز.

+ بالطبع فإنه يمكن لديكتاتور يعادي الدين أن يتبنى العلمانية، ولكن مجافاة الدين في هذه الحالة لا تعود إلى العَلمانية، وإنما إلى نظام الحكم المستبد الذي هو في حقيقته يعادي العَلمانية من زاوية غياب الحرية، وقهر المواطنين المتمسكين بالدين واضطهادهم، كما كان الحال أثناء الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي السابق (ودول أوربا الشرقية التي دارت في فلكه) لأكثر من سبعة عقود (١٩١٧- ١٩٩١).

فمجال **العلمانية** هو **ما ليس دينياً** Non-religious، أو ما هو مستقل عن الدين أو محايد تجاهه، **وليس ما هو ضد الدين** Anti-religious، والفرق جليّ واضح. وطبقاً لتعريف بانجر[٨] **فالعَلمانية** هي **"الاعتقاد والممارسات التي لا**

(٨) الذي أورده **الدكتور عبد الوهاب المسيري** نقلاً عن معجم السوسيولوجي (علم الاجتماع) المعاصر **لتوماس فورد هولت**.

علاقة لها بالجوانب غير المطلقة (أي النسبية) للحياة الإنسانية، فهي ليست معادية للدين ولا هي بديل للدين".

بالطبع فإنه متاح في **الدولة العَلمانية** أن يعبّر المعادون للدين عن رأيهم، ولكن ليس هذا لأن العَلمانية ضد الدين، فإنه متاح أيضاً بنفس المقدار أن يعبّر المنحازون للدين عن رأيهم، وأن يباشروا دعوتهم بكل وسيلة بصورة أفضل بما لا يقاس بما في **الدولة الدينية** التي لا تسمح لغير أتباع الدين الرسمي بنشاط علني، وإن لم تكافحهم كما تكافح الأوبئة!

+ فصل "الدين" ومؤسساته عن الدولة والحكم يضمن ألا يتحول "الدين" من سلطة سامية إلى سلطة بشرية غاشمة، تفتش في الضمائر، وتُملي على الناس ما يتفق مع مصالحها ويحقق أطماعها، وألا يتحول الحكام إلى آلهة يحكمون اغتصاباً، ولا يخضعون للحساب، ولا يعتمدون سلطتهم من الأمة، كما يحول دون استغلال الدين لترتكب باسمه الآثام لحساب البشر الخطاة.

+ **في الدولة العَلمانية** تصبح العبادة أمراً شخصياً مقدماً لله وحده دون ضغوط اجتماعية أو حكومية. فالمتدين لن يُكافأ من جهة العمل أو من الدولة على تدينه، وغير المتدين لن يحاكم أو يُضار بسبب عدم تدينه. وبالتالي يصير الاتجاه إلى الله حراً نابعاً من الإيمان وحده وليس رياءً أو إرضاءً للناس، وهذا يضمن نموه ودوامه. أما التدين بضغط الجماعة أو المجتمع أو القانون فهو مهدد بالتوقف إن تحرّر من الضغوط لأن العلاقة هنا مفتعلة وليست أصيلة.

+ ربما بسبب إتاحة الحرية قد يتراجع التمسك بالدين بنسبة ما، ولكن يبقى أن المتمسكين بالدين تحت هذه الظروف هم صادقون في اعتقادهم، بدرجة أكثر من المتدينين في الدولة الدينية، حيث يمكن أن يختلط التدين هنا بالتظاهر والضغط الاجتماعي، بالضبط كما أن الملتزمين بالطهارة والعفة في مجتمع يتاح فيه كل صنوف الفساد، هم أصدق وأقوى وأوضح اختياراً من

هؤلاء المحافظين في مجتمع هو بطبيعته مغلق محافظ متستّر. فقد يكونون متعففين إجباراً باعتباره الاختيار الأوحد، ومنهم من ينفض عنه ثوب الالتزام فور أن ينتقل إلى مجال تتاح فيه حرية السلوك.

+ لا شك أن للدين، بوصاياه للمؤمنين، انعكاساته الإيجابية في الدولة العلمانية وإنجاحها، حتى وإن كان هذا يتم بغير إعلان. فمن أعظم الوصايا المغيّرة للمجتمعات: **محبة القريب كالنفس** (لا ١٩:١٨، مت ١٩:١٩، ٣٩:٢٢، مر ٣١:١٢، رو ٩:١٣، غل ١٤:٥، يع ٨:٢)، وأن تسود المحبة والمبادرة علاقات الناس ("**بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً**" – غل ١٣:٥) وأن يخرج الفرد من ذاته إلى الآخرين ("**لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً**"– في ٤:٢).

ويوصي الكتاب بإنكار الذات والتضحية والغيرية ("**مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة**"– رو ١٠:١٢)؛ والتعاون والمساعدة من أجل نجاح العمل ("**اقبلوا بعضكم بعضاً**"– رو ٧:١٥)؛ والانحياز للمسالمة قدر الاستطاعة ("**حسب طاقتكم سالموا جميع الناس**"– رو ١٨:١٢؛ "**سالموا بعضكم بعضاً**"– ١تس ١٣:٥)؛ واللطف وأدب الحديث ("**كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين**" – أف ٣٢:٤)؛ وتشجيع المبتدئين ومساندتهم ("**نحتمل أضعاف الضعفاء**" – رو ١:١٥)؛ كما يحث على الأمانة (لو١٦:١٢)، والصدق ("**تكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه**"– أف ٢٥:٤)، والتسامح ("**كونوا... متسامحين**"– أف ٣٢:٤) والاستفادة من الوقت وعدم إهداره ("**مفتدين الوقت**"– أف ١٦:٥).

ومن ناحية أخرى فالكتاب ينهي عن الشر والإساءة للغير "**كونوا كارهين الشر**"– رو٩:١٢؛ "**امتنعوا عن كل شبه شر**"– ١تس ٢٢:٥؛ "**لا تصنع شراً**

للقريب"- رو ١٣:١٠) والفساد بأنواعه ("**هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة**"- ٢ بط ١:٤)؛ والشهوة الردية ("**فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية**"- كو٣:٥)؛ والعادات الرديئة والإدمان ("**لا تسكروا**"- أف ٥:١٨)؛ والكذب ("**اطرحوا عنكم الكذب**" - أف ٤:٢٥؛ "**لا تكذبوا بعضكم على بعض**"- كو ٣:٩)؛ والكلام الرديء والقبيح والثرثرة ("**لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم**"- أف ٤:٢٩؛ "**اطرحوا عنكم.. الكلام القبيح**"- كو٣:٨)؛ والفتن والاغتياب "**كثرة الكلام لا تخلو من معصية**" - أم ١٠:١٩، جا ٥:٣)؛ والرياء ("**تحرزوا من خمير الفريسيين الذي هو الرياء**" - لو ١٢:١؛ "**اطرحوا كل مكر والرياء**"- ١بط ٢:١)؛ والانتقام ("**لا تنتقموا لأنفسكم**" - رو ١٢:١٩؛ "**لا تجازوا أحداً عن شر بشر**"- رو ١٢:١٧)؛ والسرقة وأخذ ما لا يُستحق ("**لا تسرق**"- خر٢٠:١٥، تث ٥:١٩، مت ١٩:١٨، مر ١٠:١٩، لو ١٨:٢٠، رو ١٣:٩؛ "**لا يسرق السارق فيما بعد**" - أف ٤:٢٨؛ والطمع ("**الطمع الذي هو عبادة الأوثان**"- كو ٣:٥؛ "**لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه**"- ١تس ٤:٦؛ والرشوة والاستغلال ("**لا تأخذ رشوة**"- خر ٢٣:٨، تث١٦:١٩؛ "**ملعون من يأخذ رشوة**"- تث ٢٧:٢٥)؛ والتمييز والمحاباة والتعصب ("**لا تنظروا إلى الوجوه**"- تث ١:١٧، ١٦:١٩؛ "**محاباة الوجوه ليست صالحة**"- أم ٢٨:٢؛ "**لا يكون لكم إيمان ربنا يسوع المسيح في المحاباة**"- يع ٢:١).

فالمؤمن الذي يتبع الوصايا هو بلا شك مواطن صالح، وهو بسلوكه المستقيم وانفتاحه على الكل وأمانته وتعاونه ورفضه للشر والانحراف يجسّد التأثير الإيجابي للدين في الدولة العَلمانية، التي تشجع السلوك الأخلاقي لمواطنيها، وتواجه الخارجين على القانون وتُنزل بهم العقاب، لأن هذا في صالح الجميع.

دفاع ضد مزاعم باطلة :

(١) بعض الذين يزعمون أن **العَلمانية** تعادي الدين يهرفون بما لا يعرفون، وبعضهم (ومنهم من يشتقّون مصطلح العلمانية خطأ من "العِلم" ويعمدون إلى نطقها بكسر العين) يقرنونها بالإلحاد والمادية وإنكار القيم الدينية، وبعضهم، من المتاجرين بالدين، شهود زور يكذبون عن عمد لتضليل العامّة ليُحكِموا سيطرتهم عليهم.

فالعَلمانية ليست ضد الأديان (بل ولا يمكن أن تكون ضدها)[٩]، **وإنما هي ضد الدولة الدينية** أي ضد قيام سلطة دينية معصومة[١٠]، ولكنها في ذات الوقت تعترف بالحريات الدينية للجميع دون تمييز كحق من حقوق المواطنين، ولا يصير بناء دور العبادة لكل الأديان مجالاً للتوتر والفتن. فهي تحترم كل الأديان والمعتقدات، ولا تتدخل في شئونها طالما لم يتم الاعتداء على الحريات العامة. **العَلمانية في حقيقتها تحل مشكلة تعدد العقائد والأديان في المجتمع.**

ودول الغرب "**العَلمانية**" ليست دولاً ملحدة – حتى وإن وجد فيها ملحدون، فهذه حريتهم – ولكنها لا تجعل القيم الدينية هي الحاكمة سياسياً، وإنما هي متاحة للمواطنين في حياتهم اليومية، كل بحسب إيمانه. ومعروف أن أكثر من نصف الأمريكيين – على سبيل المثال – منتظمون بصورة ما في الذهاب إلى الكنيسة، والأغلبية تفضل الزواج الديني عن المدني. وعند افتتاح دورة الكونجرس سنوياً تُتلى آيات من الكتاب المقدس، وعضو الكونجرس

---

(٩) من يدّعون بغير ذلك هم فاقدو الثقة في عقيدتهم الإيمانية أو الجهلاء، الذين يحسبون أنهم يحمون الدين من المعرفة والعلم والعقل! ولا يليق بالمتدينين الأسوياء أن يتوجسوا من كلمات من نوع العَلمانية والليبرالية بسبب السمعة الرديئة التي يصبغها بعض المتعصبين عليهما.

(١٠) ينبغي التمييز بين الدين ورجل الدين، وبين الدين والأصولية الدينية. فرجل الدين بشر وما يقوله خاضع للعقل ولا يؤخذ بغير تمييز. والدين ونصوصه ثابتة، أما الأصولية فهي نتاج بشري يصيب ويخطيء. وقد يعتمد على تفسير شاذ للنصوص ولابد من إخضاعها للعقل.

الجديد يقسم على كتابه المقدس بحسب ديانته. وكل الوحدات العسكرية في الجيش الأمريكي (حتى خلال العمليات التدريبية والحربية) لها قس (أو رجل دين حسب ديانات الجنود) يرتدي الملابس العسكرية.

(٢) ما يشاع عن اتهام العَلمانية من قبل بعض الدينيين، بأنها وراء تراجع التدين وانتشار الانحلال في المجتمع الغربي[١١]، هو استنتاج سطحي لا يصمد أمام التقييم والتحليل العلمي، خاصة وأن مظاهر الانحلال والفساد هي قائمة أيضاً في الدول الدينية وإن كان تحت ستار، كما ينتشر فيها أيضاً الرياء والتدين الكاذب خوفاً من الانتقاد وتحت تأثير الضغط الجماعي.

وفي الحقيقة فإن تراجع التدين وانتشار الفساد في مجتمع الحرية راجع من ناحية إلى انحراف قلب الإنسان (تك ٦:٥)، والرضوخ إلى إبليس، وطاعة الجسد والانحصار في اللذة واللحظة (**نأكل ونشرب لأننا غداً نموت**"- ١كو ١٥:٣٢)، وأيضاً إلى ضعف الكرازة وانحسار الرعاية الكنسية من ناحية أخرى.

والمؤمن الحقيقي لا يتمسك بإيمانه لأن إبليس قد أعلن استسلامه وأن الجو المحيط به كله صار مقدساً، ولكنه متمسك بإيمانه لأنه مؤمن حقيقي ورغم الظروف المعاكسة. فلا بديل عنده غير التزامه بمخلصه وإنجيله، كما ظل يوسف وموسى ودانيال والفتية منتمين إلى الله رغم كونهم يعيشون في أرض غريبة ووسط من يعبدون آلهة مضادة.

فالعالم يبغض أولاد الله ويضطهدهم (يو ١٥:١٨، ١٩، ١٧:١٤)، والذين ولدوا حسب الجسد يضطهدون الذين ولدوا حسب الروح (تك ٢١:٩، غل ٤:٢٩). ولكن أولاد الله ليسوا مضطرين للخروج من العالم (١كو ٥:١٠) وأن يعيشوا في كوميونات مغلقة كي يظلوا على سلوكهم المسيحي، بل يتحتم

(١١) كما كتب قبلاً أحد الكتاب الدينيين في جريدة الأهرام (٢٠١١/٧/٢٧).

عليهم أن يبقوا في العالم نوراً وكرازةً وشهادةً وملحاً للأرض.

وأمام صوت الله منذ القديم "**قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر**" (تث٣٠:١٥)، فهناك الملايين الذين يختارون الموت كل يوم، ولكن هناك أيضاً ملايين يختارون الحياة. فالحياة والموت متجاوران.

(٣) هل من **أحزاب دينية** في دول الغرب **العَلمانية؟!**

ما يطلق عليه **أحزاب مسيحية** في أوروبا هي **أحزاب عَلمانية** وتعمل داخل أطر علمانية تماماً، ولا تدخل في سياستها أي أمور دينية ولكن تسميتها لها أصولها التاريخية.

وتعود إرهاصات **الديمقراطية المسيحية** إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، رداً على التهم التي وُجهت إلى الكنيسة أثناء الثورة الفرنسية بأنها تعادي الديمقراطية، ليس فقط سياسياً ولكن أيضاً اجتماعياً. فقيل أنها تحابي الأغنياء والأقوياء، وتنحاز للملكيات الاستبدادية، ضد المطالب السياسية والاقتصادية العادلة للطبقتين الوسطى والدنيا. وقد عانت الكنيسة الأهوال أثناء الثورة، مما حفز رجال دين ومؤمنين عاديين (عَلمانيين بالمفهوم الكنسي) للتصدي لفظائع الثورة، ولتقديم برنامج يهدف لتحسين الأوضاع الاجتماعية للطبقات الضعيفة.

وكانت قد نشأت في بافاريا الألمانية حركة أسمها "**العمل الكاثوليكي الشعبي**" (والتي انضم إليها فيما بعد المحافظون البروتستانت)، واسمها الديني كان يعني أن المسيحيين، بمبادئهم في رعاية الفقراء والأرامل والأيتام منذ القرون الأولى للمسيحية، هم أوْلى بالدفاع عن حقوق العمال الذين كانوا يعانون البؤس أواخر القرن التاسع عشر.

وفيما بعد قامت في دول أوروبية أخرى تجمعات سياسية أخرى بنفس الأهداف، وساد اسم **الديمقراطية المسيحية** ذات المعنى السياسي الأشمل، والتي يؤكد أتباعها على أهمية التراث المسيحي والأخلاقيات المسيحية في مجال حقوق الإنسان وحياة المجتمع. وتوجد حالياً **أحزاب ديمقراطية مسيحية** في معظم دول الاتحاد الأوروبي، أكبرها في ألمانيا، كما توجد أيضاً في بعض دول أمريكا الجنوبية والفيلبين واستراليا.

والمرجعية الدينية، في كل الأحزاب **"الديمقراطية المسيحية"**، هي الالتزام بقيم ومباديء أخلاقية مثل الكرامة الإنسانية والعدالة والمساواة والمسئولية الاجتماعية والمواطنة الفعالة والأمانة والشفافية، **ولكن لا يوجد في أي منها دعوة لإقامة دولة دينية مسيحية، أو أن تكون الشريعة المسيحية مصدراً للقوانين، أو عدم مساواة بين الجنسين،؛ أو تمييزاً للدين المسيحي عن غيره.**

فضائل أخرى للعَلمانية :

إضافة إلى فضائل **العَلمانية** في الحفاظ على **الدين** كقيمة عليا، وحمايته من الدخول في معترك السياسة وأطماعها وأوزارها واستغلالها له، ووسائلها التي لا تتفق مع سموه ونقائه، وتجريد السياسة والسياسيين من أي حصانة أو قداسة كان يُحتمى بها في عصور الظلام، وإخضاع النظم السياسية للمساءلة والمعارضة والنقد والانتقال، فإن للعلمانية انعكاساتها الإيجابية في مجالات كثيرة أخرى:

+ **فالعَلمانية** ضرورة لقيام **الديمقراطية**. فربما يمكن أن تقوم دولة ديكتاتورية علمانية! ولكن لا يمكن أن تقوم دولة ديمقراطية بغير العلمانية. فالحرية والمساواة والاستنارة لا يكفلها للمواطنين إلا سيادة العلمانية حيث الجميع سواء، لا تهددهم أفكار الشمولية أو ظلمات التخلف أو نيران التعصب والطائفية. والديمقراطية من جانبها تساند العلمانية إيجابياً، وتحفظ لها وجهها

الإنساني، وتصونها من الشطط والتطرف بأن تتحول إلى مطلق مسلَّم بـــه ولا يمكن مساءلته. وكل المباديء العظيمة يمكن أن تنحرف إذا زينـــت لنفـــسها الاستبداد والتسلط.

+ **في الدولة العَلمانية** يتم الفصل بين **العمل والـــدين**. فاحتياجـــات العمل تسدّها أكفأ العناصر وأفضلها بغّض النظر عن الدين أو العنـــصر أو اللون أو الجنس أو غيره. ومادام العمل قد توفّر له خير العناصر تأهيلاً فهذا ضمان النمو الاقتصادي وتقدم العلم والمعرفة، بما ينعكس إيجابيـــاً علـــى رفاهية المجتمع وحل مشاكله وتمتع العاملين بحقوقهم.

فالدولة العَلمانية لا تعرف التمييز الديني عند التعيين في الوظـــائف، ولا يمكن أن تحرم أصحاب دين معين من تولي وظائف بعينـــها، خاصـــة المناصب الكبرى والقيادية، ولا يمكن أن تشكك في وطنية أحد لاعتبارات دينية، ولا يمكن أن يشوب تقييم الأداء والمكافأة أو العقوبة في مؤســـساتها انحيازات دينية، ولا تصطبغ ساحات العمل فيها بسمات دينية، أو تـــسمح باستلاب وقت العمل أو التهرب من أدائه في ممارسات دينية. فالخلط بـــين العمل والدين إساءة لكليهما.

+ **في العَلمانية** يشرق سلطان **العقل والعلـــم والحـــضارة**، ويحـــدث التحول من التفكير النقلي إلى التفكير النقدي؛ كما ينحسر تأثير الأدعيـــاء والدجّالين الذين يجدون المجال أمامهم متسعاً في الدولة الدينية، خاصة مـــع انتشار الأمية حيث يختلط **التدين بالجهل** والخرافة والغيبيات.

في العَلمانية لا يصير العلم مناوئاً للدين، كما قد يظن البعض. **فالعلم الصحيح لا يمكن أن يتنافى مع المفهوم الـــصحيح للنـــصوص الدينيـــة.** فكلاهما طريق لمعرفة الله، ولكن يظل لكل منهما مجاله ووسائله (التجريب

والتفسير العقلي مقابل الإيمان). والاتفاقات بينهما كثيرة وهي تزيد مع التقدم العلمي والتكنولوجي وجهود المجتهدين المخلصين للدين والعلم. على أنه ينبغي التأكيد أن **الدين** لم يأت لإضافة معرفة علمية، وإنما لهداية الإنسان إلى طريق أفضل للحياة، وميدانه القلب والروح وما فوق العقل، وليس ضده، و**العلم** آفاقه المعرفة وميدانه العقل، الذي هو هبة إلهية يتميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات، إلى جانب روحه الخالدة.

+ **العَلمانية** تساند **حرية الإنسان ومساواة الكل** كخليقة الله المنتسبة لأب واحد وأم واحدة، بتأكيدها على المواطنة أو العرق أو الدين أو اللون أو الجنس. فهي صارت ضامنة للعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان وسيادة القانون على الجميع كباراً وصغاراً، ولا مجال إذاً للتعصب أو استعلاء دولة أو عرق، بما أدى في الماضي إلى الحروب بين الدول والتطهير العرقي (كما جرى في ألمانيا وجنوب أفريقيا والبوسنة)، ولكن تحالف الدول المنادية بالحرية تصدى لهذه النكسات وصحح المسار من جديد.

ومن السهل المقارنة بين أوروبا الحروب الدينية (المستترة خلف الصليب)، وأوروبا وأمريكا المنفتحتين الآن على كل الجنسيات والأديان وقبولهما المهاجرين من كل مكان، بل وإمكان قيام الوحدة الأوروبية فالاتحاد الأوروبي العابر للحدود والجنسيات واللغات والثقافات والاقتصاديات بل والعداءات والحروب!

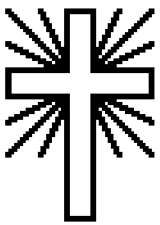

عن المفهوم الكنسي للعَلمانية

إذا تحولنا إلى **المجال الكنسي**، نجد **للعَلمانية** معنى يختلف عما لها في **المجال السياسي** Secularism الذي **تفصل** فيه ما بين **العمل السياسي** والحكم من جانب، و**رجال الدين** من جانب آخر. فالعَلمانية في الحياة الكنسية Laity هي فقط **تميّز** من ناحية بين رجال الدين المكرسين: **الأسقف والكاهن والشماس** (**الإكليروس** Clerics, Clergy, Kleros)، وسائر شعب الله (لاؤس Laos اليونانية) غير المكرسين (**العَلمانيين** Laymen, Laypeople؛ العلماني Layman, Lay Laïkos, اليونانية) من ناحية أخرى، ولكنها **لا تفصل** ما بين الجانبين اللذين يكوّنان معاً **جسد المسيح** الواحد، أي **الكنيسة التي رأسها المسيح**.

والعَلمانية والعَلماني كلمتان مستحدثتان في القاموس الكنسي، فهما لم تردا في الكتاب المقدس بعهديه [1]. وحتى عندما استخدمت كلمة **عَلماني**

(١) وحتى كلمة "**كليروس**" Kleronomia – التي وردت ١٣ مرة في العهد الجديد – لم تأت بمعناها الذي نعرفه اليوم، وإنما بمعنى "**قرعة**" (٩ مرات، أكثرها يتعلق بالقرعة التي ألقيت على= =ثياب

لأول مرة في الكتابات المسيحية، باللغة اليونانية، أوائل القرن الثالث، كان لها معنى يختلف عما نعرفه اليوم، فقد كانت تطلق على **الرجال** المسيحيين الذين تزوجوا مرة واحدة. ثم صارت **للنساء** أيضاً بدءاً من القرن الرابع. وتدريجياً أخذت المعنى المعروف اليوم للتعبير عن الرجال والنساء، في جماعة المؤمنين، ممن لا يحملون إحدى الرتب الكنسية الثلاث، عندما بدأ أيضاً يطلق على هؤلاء لقب "كليروس". (ومع بداية الرهبنة صار مستقراً أن **الرهبان والعذارى** يمثلون طغمة مستقلة).

واشتقاق الكلمة في العربية يأتي من كلمة **العالَم** Cosmos، باعتبار أن المقصود **بالعَلمانيين** هم من يشتغلون في العالم، مقابل **الإكليروس** المتفرغين للعمل الكنسي والرعوي. وقد وردت كلمة **العَلماني** في كتاب **(مصباح العقل) لابن المقفع المصري** في القرن الحادي عشر[٢]، وقصد بها المؤلف، المؤمن من غير رجال الدين. ولم يعمد الكاتب إلى شرح الكلمة وتأصيلها بما يعني أنها كانت معروفة ومتداولة من قبل.

على أنه ينبغي التعامل مع الكلمة بشيء من التحفظ، عند استخدامها في المجال الكنسي، وأن يُحصر معنى **"العالَم"** في المكان وحده. **فالعالَم** بالمعنى الكتابي الروحي هو عموماً المجال المضاد **للحياة المسيحية**، والموضوع في الشرير (١يو ٥:١٩)، والذي برئيسه إبليس يقاوم أولاد الله، والذي نهايته الهلاك والفناء، وقد غلبه المسيح، ومن يتبع المسيح عليه إذاً أن يخرج من "العالم" ويستقل عنه. ومن هنا فكلا العلمانيين والإكليريكيين ليسوا من العالم: **"لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم** Kosmikos **بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم"** (يو ١٥:١٩).

المسيح عند الصليب)، و**"نصيب"** (٣ مرات- أع١:١٧، أف ١:١١، ١بط ٥:٣)، و**"ميراث"** (عب١:٤). فكلنا في الأساس **"كليروس"** أي نصيب وميراث الرب **"خلص شعبك بارك ميراثك.."** (البركة الختامية في القداس الإلهي).

(٢) في حوار مع الكاتب اللبناني **جورج طرابيشي**.

عن البداية :

"يشهد التاريخ المسيحي المبكر، كما تسجله أسفار العهد الجديد، أن الكنيسة المسيحية كشعب الله وجسد المسيح وهيكل الروح القدس (وأيضاً ملكوت الله، أهل بيت الله، رعية الله، عروس المسيح) هي الجماعة الكاملة للمؤمنين المعمَّدين. تضمهم هذه الجماعة، هناك عدد صغير من الرجال (والنساء) ذوي مؤهلات خاصة جداً، بعد التمييز والاختبار، تقبلوا وضع يد ثانية (شرطونية Cheirotonia) **كأسقف، كاهن، شماس**[٣] **أو شماسة**[٤] أو (في الكنيسة الأولى) أرملة مكتتبة، بمشيئة الله ونعمة الروح القدس وباتفاق كل الجماعة.

يساعد **الأساقفة الكهنةُ والشمامسةُ**، وأيضاً أعضاءٌ من الجسد أُعطوا مواهب كاريزمية من الله مثل: التعليم، التنبؤ، الكرازة، التدبير، الشفاء وعمل المعجزات.

---

(٣) كانت بداية **الشموسية** في الكنيسة الأولى، عندما اتسعت الخدمة وأضيف للكرازة والتعليم خدمات المحبة الأخرى التي أُطلق عليها **خدمة الموائد**. فدعا الاثنا عشر المؤمنين لانتخاب سبعة رجال **"مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة"** (أع٦: ٢، ٣)، وكان بينهم **استفانوس**، الكارز المقتدر وأول شهداء الإيمان المسيحي (أع ٧: ١)، **وفيلبس** الذي اجتذب السامرة للإيمان (أع ٨: ٥) ومبشر الوزير الحبشي ومعمّده (أع ٨: ٣٥، ٣٨) فأسهم بكرازته في امتداد الإيمان إلى شرق القارة الأفريقية، وأقام القديس بولس في بيته في قيصرية وقد صار له "أربع بنات عذارى كن يتنبأن" (أع ٢١: ٨، ٩). وبعد ثلاثة عقود من نشأة الكنيسة كانت قد استقرت خدمة الشمامسة وشروطهم **"كل بعل امرأة واحدة مدبّرين أولادهم وبيوتهم حسناً لأن الذين تشمسوا حسنا يقتنون لأنفسهم درجة حسنة وثقة كبيرة في الإيمان الذي بالمسيح يسوع"** (١تي ٣: ٨-١٣). ولقرون ظل **الشماس** مكرساً مثل الكاهن للخدمة وله دور يعتد به فكان ينقل الجسد والدم للمرضى في البيوت. وحتى الآن، في الكنيسة اليونانية، فالشماس مكرس، كبير السن ويطلق لحيته، ويلبس زيّاً كهنوتياً، ويبخّر في الكنيسة. ولكن معظم الشمامسة في كنيستنا حالياً ليسوا مكرسين ويقتصرون على القراءة (**أناغنوستوس**) وترديد الألحان (**ابصاليتس**) وخدمة المذبح. وفي كتاب **"مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة" للقس أبي البركات** المعروف **بابن كبر** (+١٣٢٤م)، ما يشير إلى وجود رتبة **كبير مرتلين** (آرشي إبصاليتس).

(٤) يكتب القديس بولس إلى الأسقف تيموثاوس عن خدمة **الشماسات** diakonessa, deaconess، بأن يُختَرن من الأرامل (**إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة، امرأة رجل واحد، مشهوداً لها في أعمال صالحة..**) (١تي٥: ٩، ١٠). وقد نمت خدمتهن خلال القرنين الثالث و الرابع، وإن لم يُستخدم لهن هذا الاسم حتى أوائل القرن الرابع. وقد خفضت الدسقولية السن إلى ٥٠ عاماً وفيما بعد صار أربعين. والشماسة كانت تساعد الكاهن أثناء تعميد النساء وتشرف على تعليم النساء الموعوظات وتفتقد النساء في البيوت. ونشأت في كنيستنا قبل عقود خدمة **المكرّسات**.

وفيما بعد خوّل الأساقفةُ **الكهنة** أن يتولوا قيادة جماعات صغيرة أو متباعدة من المؤمنين، وبدأ الكهنة يعظون ويعلّمون بكلمة الله، ويقودون خدمة الأسرار وحياة الجماعة. وفي كل هذا كان **الشمامسة والشماسات** يساعدون في العمل السرائري والخدمة. ثم نشأت رتب لخدمات أخرى (**كرئيس الشمامسة** Archdeacon) و**مساعد الشماس** Subdeacon، **القاريء** Reader، **المرتل** Singer، **ومراقب الباب** Door keeper. وتكونت بعدها **جماعات نسكية**، فيما يبدو، من الطغمات الأولى للأرامل والعذارى.

على أن **كنيسة الله**، جسد المسيح الواحد، لاهوتياً وروحياً وقانونياً، تضم **الكل** وليس عدداً صغيراً من المعمَّدين صاروا أساقفة وكهنة وشمامسة لخدمة كل المؤمنين المعمَّدين"[٥].

جسد واحد وشعب واحد :

الإكليروس والعَلمانيون هم جميعاً **شعب الله** "**وأما أنتم** (الكل) **فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدسة وشعب اقتناء**" (١بط ٢:٩)، الذي هو في الأساس كل من آمن واعتمد[٦] ودخل في عهد مع الله. فكل مسيحي ممن تضمهم الكنيسة، خداماً ومخدومين، هو Laïkos **لائيكوس**، أي عضو ضمن **شعب الله الواحد** في عهده الجديد "منعماً لنا بالميلاد الذي من فوق بواسطة الماء والروح. **وجعلنا له شعباً مجتمعاً**، وصيّرنا أطهاراً بروحك القدوس"

---

(٥) الأب **توماس هوبكو** Thomas Hopko (٢٠٠٤) من كتاب: **قول الحق في المحبة: التعليم والكرازة والشهادة في الأرثوذكسية المعاصرة.**

Speaking the Truth in Love:

Education, Mission and Witness in Contemporary Orthodoxy.

The work of Christian Laity ; pp.97-114. St Vladimir Seminary Pess.

(٦) في المعمودية يصلي الكاهن من أجل المعتمد بأن يجعله الله "خروفاً في القطيع المقدس للمسيح، عضواً مكرّماً في الكنيسة الجامعة، إناءً طاهراً، ابنا النور، وارثاً للملكوت".

(قداس القديس باسيليوس)، أي جسد المسيح الذي تفيض على أفراده **المواهب** والنعم من **الرأس** بالروح القدس "**وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين. لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح.. بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح (رأس الجسد الكنيسة)**" (أف١: ٢٣، ٤: ١١-١٥، ٥: ٢٣، كو ١: ١٨). ومن الشعب يخرج المتفرغون المكرسون والمؤمنون العاديون لخدمة الرب وإنجيله.

فالتكوين الطبيعي للكنيسة ككل هو: **أسقف وكهنة وشمامسة وعَلمانيون**. وكما جاء في سفر الأعمال "**الرسل** (الأساقفة Episkopos) **والمشايخ** (الكهنة Presbyteros, Elders) **والإخوة** (العَلمانيون) يهدون سلاماً إلى.." (أع ١٥: ٢٣).

وهم جميعاً أعضاء في **الجسد الواحد "فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد** (الافخارستيا)" (رو١٢: ٥، ١كو ١٠: ١٧) "**جسد واحد وروح واحد**" (أف٤: ٤). كما إنهم جميعاً **تلاميذ وتلميذات** للسيد. فكل من أرسلهم الرب للخدمة دُعوا تلاميذاً، كما إنه طلب من تلاميذه أن يذهبوا **ويتلمذوا** الكل (مت٢٨: ١٩). والمؤمنون الجدد سُمّوا في سفر الأعمال **تلاميذاً** (أع ٦: ١، ٧، ٩: ١٩، ٢٥، ٢٦) قبل أن يُدعوا **مسيحيين** (أع١١: ٢٦) بدءاً من أنطاكية. والكتاب يذكر **حنانيا**، الذي أرسله الرب لشاول وفتح عينيه وعمَّده، **كتلميذ** في دمشق (أع ٩: ١٠)، كما يذكر **طابيثا كتلميذة** في يافا وهي التي أقامها **القديس بطرس** من الموت (أع ٩: ٣٦، ٤١).

علاقات وثيقة :

واقع الأمر، أن العلاقة بين الإكليروس والعَلمانيين (أي سائر المؤمنين) هي علاقة عضوية وثيقة جداً. فالعَلمانيون - وهم الغالبية - هم الذين يختارون - من بينهم - الإكليريكيين، ويقدمونهم إلى الأسقف (عند ترشيح الكاهن) أو إلى رئيس الأساقفة (البطريرك) (عند ترشيح الأسقف). بل إنهم، مع الإكليروس، هم الذين ينتخبون البطريرك. كما أن العلمانيين المتزوجين هم آباء وأمهات من يُدعَوْن للبتولية أو الرهبنة، فضلاً عن كل الإكليريكيين.

العَلمانيون، إذاً، هم الأساس والقاعدة التي يأتي منها الأساقفة والكهنة (والرهبان) لرعايتهم "**مأخوذ من الناس، يقام لأجل الناس والله لكي يقدم قرابين**" (عب٥: ١). **فلا غنى للشعب عن الإكليروس، ولا غنى للإكليروس عن الشعب. فالكنيسة هي كيان واحد متآلف ومتصالح.** وكما كتب الأب توماس هوبكو[٧] أنه "**بحسب الطبيعة الخاصة للحياة المسيحية، فلا يوجد تقسيم بين الديني والدنيوي، أو الروحي والمادي، أو الإكليريكي والعَلماني. فكل شيء يعمل بالله ومن أجله، وبنعمة الله وقوته. وكل أعضاء الجسد يعملون معاً: كل واحد فيما يخصه بحسب موقعه ودعوته وخدمته ضمن الجسد**".

خدمة مشتركة :

والليترجية Liturgy، في معناها الأصيل، هي **خدمة الشعب**، فالكل متحدون في رفع قرابينهم في صلح وسلام. وكل صلوات الكاهن هي بصيغة الجمع، فهو يصلي باسم الشعب وعنهم: نسأل ونطلب، نقدم، نشكرك، لمجدك، نسبحك، نباركك، نرفع، ندخل، نصعد، ننال، نتناول.. وهكذا.

---

(٧) المرجع السابق.

وفي **صلاة الصلح** يقف الكاهن موقف التوسل وطلب الغفران (**وطهرنا من كل دنس ومن كل غش ومن كل رياء ومن كل فعل خبيث ومن تذكار الشر المُلبس الموت**). كما يسأل في صلاة التحليل من أجل الشعب ومن أجل نفسه معهم (**حاللنا وحالل كل شعبك... وضعفي..**). وفي ختام القداس يقول: "**اذكر يارب ضعفي أنا أيضاً..**" وهو يطلب الغفران من الشعب "**أخطأت سامحوني**".

فالكاهن لا يستطيع أن يرفع القربان وحده بدون **الشعب** الشريك معه في الصلاة. وكما يقول **القديس يوحنا فم الذهب** "**الافخارستيا هي شركة الكل، فهي لا تقام بالكاهن وحده، بل بالشعب مع الكاهن**".

على أن العلاقة تراجعت في **العصور الوسطى** بين الإكليروس والشعب (العلمانيين)، إذ بدأ الأساقفة يتولون الحكم المدني باسم الإمبراطور، وقد تُقطع لهم ولايات يرأسونها، واقتصرت الخدمات والتعليم على الإكليروس، ودخلت الرهبنة ضمن الجهاز الكنسي، وأصبحت البتولية شرطاً للكهنوت.

وتدريجياً صار اشتراك الشعب في الليترجية اسماً بعد أن صارت الصلوات سرية، واقتصر تناولهم على مرة واحدة في العام، ومُنع المؤمنون من تناول الدم. وخوفاً من الإنحراف في التفسير منعت الكنيسة الكاثوليكية قراءة الكتاب في البيوت[٨]. بل كان الكتاب المقدس يُغلق بسلسلة في غير أوقات الخدمة الكنسية لمنع القراءة لغير الإكليريكيين. وتعطلت خدمة الكلمة للعلمانيين الذين لم يبق لهم من خدمة غير تقديم عطاياهم. على أن وضع العلمانيين في الغرب تحسن منذ القرن الماضي بعد **مجمع الفاتيكان الثاني** (١٩٦٢-١٩٦٥).

---

(٨) بل قد حرصت الكنيسة الغربية أن يبقى الكتاب المقدس (وسائر الصلوات) باللغة اللاتينية (التي لا يعرفها إلا الخاصة)، حتى عهد الملكة البريطانية **إليزابيث الأولى** (١٥٥٨-١٦٠٣) التي أمرت بترجمة الإنجيل إلى اللغة الإنجليزية، حتى يتاح لسائر الشعب قراءته وفهمه.

عن خدمة العَلمانيين :

خدمة الله هي في صميم إيمان المسيحي، وهي تكليف لكل أعضاء الكنيسة، إكليروساً وعَلمانيين، والفارق فقط هو نوع الخدمة المقدمة لله. فالإكليروس يخدمون الأسرار (وكلاء سرائر الله – ١كو ٤: ١)، وهم مسئولو الخدمة في الكنيسة كل بحسب رتبته. **فالأسقف** هو راعي الإيبارشية Parish، والمسئول الأول أمام الله والكنيسة عنها، وهو يضع يده على **الكاهن** المسئول عن كنيسة بعينها ويتابع خدمته، **والشماس** معاون للأسقف والكاهن.

ولكن للعَلمانيين أيضاً خدمتهم، وأعطيت لهم المواهب الكثيرة من الله لأداء هذه الخدمة التي تبنى الكنيسة، وتوجّه وتساند وتعزي المؤمنين. وبعض الخدمات مثل القراءة والترتيل وخدمة القداس والتعليم، وزيارة المرضى والمساجين، ورعاية الفقراء والمحتاجين، والاهتمام بممتلكات الكنيسة، كان يقوم بها فيما مضى الإكليريكيون. أما اليوم فأي مؤمن ملتزم، رجلاً أو امرأة، تتوفر له الموهبة والدعوة والقدرة، يمكن أن يباركه الأسقف أو الكاهن للقيام بالخدمة، بغير طقوس رسمية للتعيين، وذلك في مجالات الرعاية والاستشارات النفسية والإرشاد الروحي وإدارة الكنيسة وأمورها المالية.

والمؤهلون لهذه الخدمات هم من عبّروا عن إيمانهم وحبهم للرب في مجالين: **أولهما** وسط العائلة وبين الأصدقاء والجيران، **وثانيهما** خلال العمل اليومي في وظائفهم وسائر أعمالهم[٩] (وهو ما ينبغي توفره بالطبع في المرشحين للكهنوت). وهو ما أكّد عليه **القديس بولس** في رسالته **للأسقف تيموثاوس "وإن كان أحد لا يعتني بخاصته، ولاسيما أهل بيته، فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن"** (١تي ٥: ٨). فممارسة وصية المحبة تبدأ في البيت، وفي

(٩) **الأب توماس هوبكو** (المرجع المذكور ص ١٨٢).

مجال الاحتكاك اليومي بالآخر. والعَلماني: الطبيب والمعلم والمحامي والقاضي والسياسي ورجل الأعمال والخادم الاجتماعي والعالِم والفنان والرياضي ووكيل النيابة والشرطي والضابط، مطالَبون مشدّداً أن يكونوا نماذج في الأمانة والعفة وحسن المعاملة والاجتهاد في أداء عملهم بأرقى مستوى، وليس فقط أنهم يعبدون الله بالروح والحق ومنتظمون في حضور الكنيسة ويشتركون في احتياجات القديسين، وإلا صاروا عثرة للكنيسة وإهانة للإيمان وفرحاً للعدو.

نماذج باهرة :

في حياة الكنيسة في كل جيل نماذج باهرة من مؤمنين عاديين من غير أصحاب الرتب الكهنوتية، رجالاً ونساءً، ممن هم نجوم في القداسة والخدمة والتعليم والنسك. وهم أثّروا ويؤثرون في حياة المؤمنين على كل مستوي، وأحلّتهم الكنيسة في أعلى مكان.

وفي المقام الأول تأتي **السيدة مريم العذراء** التي اختيرت لتكون أمّاً للمخلص، والشفيعة الأولى في الكنيسة التي تسبق كل القديسين والقديسات، إكليروساً وعلمانيين. وكانت **مريم المجدلية** أول من التقى بهم الرب بعد قيامته، وهي التي قامت بتكليف إلهي ببشارة التلاميذ بالقيامة. كما كان بيت **مرثا ومريم ولعازر** هو مكان راحة الرب في بيت عنيا. وكانت **نساء كثيرات** (بينهن **المجدلية ويوّنا امرأة خوزي وكيل هيرودس وسوسنّة**) يخدمن الرب من أموالهن (لو٨:٢، ٣). وكانت **ليدية** أول من قِبل المسيح في كل أوروبا على يد القديس بولس (أع ١٦:١٤، ١٥).

وكتبت **فيبي** خادمة كنيسة كنخريا في اليونان رسالة القديس بولس إلى أهل رومية وحملتها إليهم (رو ١٦)، وسلمت **لوئيس وأفنيكي** الإيمان العديم الرياء إلى الحفيد والابن **تيموثاوس** الذي صار فيما بعد كارزاً وأسقفاً بارزاً

(٢تي ١:٥)، كما أن **أكيلا وامرأته بريسكلا** الخياميين هما اللذان صححا مسار كرازة **أبلّوس الإسكندري** (المصري) إذ شرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق (أع ١٨:٢، ٢٦).

وفي الكنيسة الأولى، لم يكن الكارزون هم فقط أصحاب الأسماء الكبيرة، وإنما كان معهم غيرهم كثيرون **بذلوا أنفسهم لأجل اسم الرب** (أع ١٥:٢٦، ٢٧)، أعمالهم محفوظة في سِفر تذكرة تشهد لهم في اليوم الأخير.

وكيف ننسى شهيدات الإيمان **رفقة، ودولاجي، ودميانة، وبربارا،** وشهداء الإيمان الكبار **مارجرجس ومارمينا وفيلوباتير مرقوريوس** وغيرهم ممن لم يكونوا إلا عَلمانيين.

وماذا نقول عن آباء البرية معلمي المسكونة في تكريس الحياة للرب والنسك وحياة القداسة: **الأنبا أنطونيوس، والأنبا بولا، والأنبا مقار، والأنبا باخوميوس، والأنبا شنوده** وأولادهم، الذين كانوا نجوم البرية ومؤسسي الرهبنة على مستوى العالم، و لم يكونوا من الإكليروس، ولا حتى كانوا شمامسة.

وبسطاء آخرون اختارهم العناية الإلهية لأعمال تمجد الله، فهذا **سمعان الخراز**، الإسكافي المجهول من الكل، الذي على يديه تمّت معجزة نقل جبل المقطم، والتي أحبطت مؤامرة الأشرار على الكنيسة في عهد الفاطميين، وصار المكان الذي ارتبط به مكاناً للصلاة يأتي إليه الآلاف من الداخل ومن الخارج.

العلمانيون وخدمة الكلمة :

خدمة الله والكرازة باسمه ليست وقفاً على أحد، بل هي مسئولية كل مؤمن. وفي الكنيسة الأولى كان التلاميذ والرسل هم طليعة المبشّرين بالخلاص ولكنهم لم يكونوا وحدهم. وسفر الأعمال يسجّل عن **الرسولين بولس وبرنابا** أنهما **"أقاما في أنطاكية يعلمان ويبشران مع آخرين كثيرين**

أيضاً بكلمة الرب" (أع ١٥:٣٥). ومن هنا فإن خدمة الكلمة اليوم وتفسيرها ليست قاصرة على الإكليروس وتمتنع على العلمانيين.

وفي الطقس الكنسي، فإن رتبة **الأناغنوستس** (القاريء) لا تعتبر ضمن طغمات الرتب الكنسية، ولكنها خطوة مؤهِّلة لمساعد الشماس (**ابيذياكون**) قبل أن يرسم شماساً. ولكن يفترض في من ينالها أن يكون عارفاً بالكتاب المقدس يقرأه صحيحاً ويتفهمه ويفسره (وهذا ينطبق أيضاً على خدام مدارس الأحد سواء كانوا ضمن درجات الشموسية أم لا) كما كان مسموحاً للشماسات أن تعلم النساء خاصة الموعوظات.

وخلال العقود السابقة على مجيء **البابا كيرلس السادس** (١٩٥٩-١٩٧١)، كانت أعداد قليلة فقط من الكهنة (بل ومن الأساقفة) من كانوا يخدمون الكلمة ويعظون في الكنائس أو يؤلفون الكتب[١٠]، وكان معظم الذين يقومون بهذه الخدمة، وعظاً وتعليماً وتأليفاً وترجمة، هم من العَلمانيين، أو من رتب الشمامسة الذين تباركت بهم الكنيسة أواسط القرن الماضي[١١].

كما أن **مدارس الأحد**، بعد تأسيسها على يد **الأرشيدياكون حبيب جرجس** (الذي امتدت خدمته ثلث قرن: ١٩١٨-١٩٥١)، صارت حقلاً مباركاً خرج من تربته الخصبة العشرات من كبار خدام الكلمة العلمانيين الذين غيروا حياة الآلاف، ومنهم من صاروا فيما بعد رهباناً وكهنة وأساقفة

---

(١٠) أشهرهم **الأنبا لوكاس** مطران منفلوط، **الأنبا باسيليوس** مطران الأقصر وإسنا وأسوان، **القمص مرقص سرجيوس**، **القمص إبراهيم لوقا**، **القمص إبراهيم عطية**، **القمص يوسف الديري**، **القمص بولس باسيلي**، **القمص أنطونيوس أمين**.

(١١) بينهم الخدام الكبار **اسكندر حنا**، **عياد عياد**، **حافظ داود** (**القمص مرقس داود**)، **بانوب عبده**، **يسى حنا**، وأعضاء **جمعية أصدقاء الكتاب المقدس** التي تأسست أوائل القرن الماضي بهدف نشر المعرفة بكلمة الله وحفظها.

بل إن منهم من صار بابا الكرازة المرقسية. فهم بالفعل من أحدثوا النهضة التي نتمتع بها اليوم[١٢].

وفيما بعد فقد صارت دراية المرشح للكهنوت بكلمة الله والتأمل فيها وتفسيرها وتعليمها شرطاً هاماً لرسامته إضافة إلى تقواه وعفته وقدرته على الرعاية.

ولكن هذا لا يحرم الكنيسة بالطبع من الاستفادة من العَلمانيين المختبرين الأتقياء دارسي كلمة الله. ووحدة الشركة بين العَلمانيين والإكليريكيين في المسيح هي التي تجعل خدمة العَلمانيين للكلمة والتعليم هذه أمراً طبيعياً يمجد الله وكنيسته. وعلى صعيد الواقع فإن عدداً كبيراً من أساتذة الكليات اللاهوتية والإكليريكية هم عَلمانيون، إضافة بالطبع إلى الأساتذة الآخرين من الأساقفة والكهنة والشمامسة.

العَلمانيون وخدماتهم الأخرى :

إضافة إلى ما تقدم، فإن المجلس المركزي للكنيسة كلها ومجالس الإيبارشيات مع لجان الكنائس المحلية، وكلها منتخبة وممثّلة لجماعة العَلمانيين في الكنيسة (الشعب)، تقوم بالإشراف على الشئون المالية والإدارية والاجتماعية، وما يتعلق بمباني الكنائس ومشروعاتها من متابعة وصيانة وغيرها، والاتصال

---

(١٢) بينهم د. وهيب عطا لله (الأنبا غريغوريوس)، د. راغب عبد النور، لبيب راغب (القمص أنطونيوس راغب)، نظير جيد (قداسة البابا شنوده الثالث)، يوسف اسكندر (القمص متى المسكين)، سعد عزيز (الأنبا صموئيل)، رمزي عزوز (الأنبا يؤانس المتنيح)، سامى كامل (القمص بيشوى كامل)، د. جرجس عبد المسيح، د. سليمان نسيم، د. حكيم أمين (القمص غبريال عبد السيد)، كمال حبيب (الأنبا بيمن)، د. كمال حليم، د. نصحى عبد الشهيد، جورج عزيز (القمص إبراهيم عزيز)، أديب سيدهم (القس يوحنا سيدهم)، سمير خير سكر (الأنبا باخوميوس)، القمص بولس بولس، القمص تادرس يعقوب ملطي، ماهر راغب حنا (القس أغسطينوس حنا)، منير كيرلس (القس كيرلس كيرلس)، فيكتور بولس (القس إرميا بولس)، د. باسم لمعى (القمص داود لمعى)، وأجيال تالية بعدهم ممن لا يمكن حصرهم.

بمؤسسات الدولة. وكل أعضاء هذه المجالس واللجان مؤمنون أتقياء متطوعون للخدمة، يقتفون أثر أول جماعة قامت في الكنيسة، قبل ألفي عام، لتتولى الخدمات الموازية في الكنيسة لخدمة المذبح والكلمة، ليتفرغ لها أعمدة الكنيسة الأوائل **"لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد. فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذا الحاجة، وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة"** (أع ٦:٢-٤).

كما لا نغفل دور الجميعات المسيحية، التي تأسست منذ بداية القرن العشرين (وربما قبلها)، في خدمة الكنيسة وشعبها والذي امتد إلى مجالات التعليم والعمل الاجتماعي من رعاية الفقراء والمرضى والمعاقين والأيتام والمساجين والمتغربين، من إخوة الرب الأصاغر، طاعة لصوت الرب (مت ٢٥:٣٥، ٣٦)، ومن هذه الجمعيات: جامعة المحبة، الجمعية الخيرية القبطية، جمعية الإيمان، جمعية المحبة، جمعية السلام، جمعية التوفيق، جمعية الكرمة، جمعية ثمرة التوفيق، التي أسسها علمانيون أتقياء خدموا من خلالها الآلاف والآلاف على مدى السنين: علموا، وسدّوا الأعواز، وساندوا المحتاجين، ووقفوا إلى جانب من ظلمتهم ظروفهم، وعملهم لن يُنسى قدام الله.

وفي سنة ١٩٦٢، تأسست **أسقفية للخدمات العامة والاجتماعية** (وكان المتنيح **الأنبا صموئيل** أول أسقف لها) وكان معظم من عمل فيها من العلمانيين. وكانت مسئولة عن العلاقات مع الكنائس الأخرى والمؤسسات الكنسية العالمية، إلى جانب قيادة العمل الاجتماعي المسيحي في الكنيسة.

وفي السنوات الأخيرة نشأت ميادين جديدة للخدمة مثل خدمة **المشورة** Counseling، التي أقبل عليها الكثيرون، خاصة من السيدات، استعادوا بها دور **الشماسات** في افتقاد النساء، كما أن خدام المشورة لهم دورهم في مساعدة الكهنة في حل المشاكل الأسرية وإنقاذ بيوت الكثيرين من الانهيار.

العَلمانيون والتكريس للخدمة :

منذ أواسط القرن الماضي نشأت خدمة **الدياكونيـــة** Diakonia، وأيـــضاً **خدمة القرية**، التي كان خدامها العَلمانيون يجوبون القرى النائيـــة والمنـــاطق العشوائية المحرومة من الكنائس، على امتداد البلاد، وتعويضهم صغاراً وكبـــاراً بالتعليم والخدمات الاجتماعية المختلفة التي غيّرت حياة هذه المنـــاطق، كمـــا كانت تدريباً عملياً نادراً للمتطوعين من شباب الثانوي والجامعات، انعكست آثاره فيما بعد على خدمتهم الدائمة.

على أنه في السنوات التالية تصاعدت الحاجـــة إلى **مكرســـين** عَلمـــانيين يتفرغون للخدمة، لإنهاض التعليم في مدارس الأحد. وكانت في ســـنة ١٩٥٩ مبادرة **الأب متى المسكين** بتأسيس **بيوت للمكرسين**، وكان **بيت التكـــريس بحلوان** هو أول من وُضعت له لائحة نصّت على أن يقيم المكرسون المتبتلـــون معاً، على أن يظلوا في أعمالهم العالمية ويجمعون دخولهم معاً، ويجتمعون للصلاة والشركة ويخدمون الله كلٌّ في مجاله، إلى أن يتخلوا عـــن أعمـــالهم، ومـــن ثم يتكرسون تماماً للخدمة في فروع مدارس الأحد المختلفة، أو للكتابة الروحية أو للكرازة والدراسة والبحث وتفسير كلمة الله. وربما يتجه البعض للرهبنـــة أو الكهنوت بحسب دعوة الله لكل واحد. وهذا ما حدث بالفعل لأعضاء هـــذا البيت. وتأسس بعده **بيت التكريس لخدمة الكرازة** في حدائق القبة انبثقـــت عنه **مؤسسة القديس أنطونيوس والمركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائيـــة**، وحددت هدفها في ترجمة كتب الآباء وإيفاد مبعوثين لهذا النوع من الدراسة.

وفي غياب رهبنة خادمة في كنيستنا فإن الحاجـــة ملّحـــة إلى مكرســـين (ومكرسات) عَلمانيين للتفرغ لخدمات كثيرة مطلوبة: مدارس، مستشفيات، بيوت مسنّين ومسنّات، ملاجيء، بيوت للرعاية، بيوت للمغتربين والمغتربات، مؤسسات للمعاقين وغيرها.

كنيسة المسيح : إكليروس وعَلمانيون، وهم جميعاً شعب المسيح وخدامه.

ويا كل **العَلمانيين** في كنيستنا، لكم دوركم وعمل الله يستدعيكم، وعليكم أن تقدموا أنفسكم أولاً **كمؤمنين** طائعين للكلمة، **كأعضاء حية ثابتة في الكرمة** (يو١٥:٥، أف ٥:٣٠)، **كشعب** (تي ٢:١٤، ١بط ٢:٩، رؤ ٢١:٣) **ورعية وأهل بيت الله** (أف ٢:١٩)، **كجسد** (رو ١٢:٥) **وعروس للمسيح** (يو ٣:٢٩)، **وكهيكل ومسكن للروح القدس** (١كو٣:١٦، ٦: ١٩)، **كشركاء لآلام المسيح** (٢كو ١:٧، في ٣:١٠، ١بط ٤:١٣)، **وورثة الملكوت والحياة الأبدية** (تي ٣:٧، يع٢:٥).

واعلموا أن كلكم في المسيح يسوع **قديسون** (لا ١١:٤٤، ٤٥، ٢٠:٧، ٢٦) أي مخصصون ومُفْرَزون لله. ولكل منكم موهبته حسب اختيار النعمة (أف ٤:٧). فأنتم إلى جانب المكرسين في الكنيسة تكملون جسد المسيح الواحد **"لأننا جميعاً بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد.. فالآن أعضاء كثيرة ولكن جسد واحد"** (١كو ١٢:١٣، ٢٠).

فهلموا وراء السيد، احملوا نيره وتمموا عمله (٢كو ٨:١١) واثقين أن **"الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة"** (في ٢:١٣).

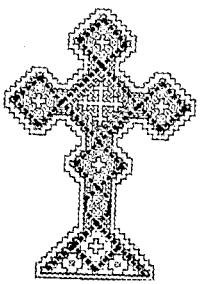

كتب صدرت من هذه السلسلة :

الكتـــاب الأول : **في السلوك المسيحي**
التدين المضاد.. ومقالات أخري (طبعتان)

الكتـاب الثانـي : **عـن المسيـــح**
يسوع المسيح الشفيع الكامل.. ومقالات أخري (طبعتان)

الكتـاب الثالـث : **المسيح في حياة الكنيسة والخدمة**
عثرة الصليب .. ومقالات أخري (طبعتان)

الكتـاب الرابـع : **شخصيات كتـابيـة**
١- القديس بطرس .. أول التلاميذ
٢- القديس بولس .. آخر الرسل (طبعتان)

الكتـاب الخامس : **قضـايـا إيمـانيـة**
المسيح يعرفنا عن ذاته.. ومقالات أخري

الكتـاب السادس : **في السلوك المسيحي (٢)**
نحن والصليب والخلاص.. ومقالات أخري

الكتـاب السابـع : **قضايـا إيمانيـة (٢)**
قضية الشفاعة.. ومقالات أخري

الكتاب الثامـن : **في السلوك المسيحي (٣)**
ضبط النفس.. ومقالات أخري

الكتـاب التاسـع : **في السلوك المسيحي (٤)**
رفاق الإيمان وخصومه

الكتـاب العاشـر : **قضايـا إيمانيـة (٣)**
الخطية التي لا تغفر ... وقضايا أخرى

فهرس بمحتويات كتب السلسلة

الكتاب الأول : في السلوك المسيحي (١)

١ – عندما يضيع الطريق
+ التدين المضاد
٢ – مخاوف البداية وأخطارها ٣١
+ قبلات العدو ٣٢
+ حملان وسط ذئاب ٤٠
٣ – هو الطريق ٤٥
+ اتبعنى ٤٦
+ بذل الذات ٥٥
٤ – التزامات الإيمان ٦٣
+ حياة التدقيق ٦٤
+ النمو ضرورة إيمانية ٧٩
+ قضية الغفران بين عمل الله وعمل الإنسان ٨٨
+ الموضع الأخير ٩٧
+ كيف نطلب وكيف يستجيب؟ ١٠٤
+ هل تختلف آلام المؤمنين ؟ ١١٠
+ مواقف لاختبار الإيمان ١٢٠
٥ – ثمار الحياة المسيحية ١٢٧
+ افرحوا ١٢٨
+ جدية الحياة المسيحية ١٣٩
+ الإيجابية سمة مسيحية ١٥٠
٦ – محاذير فى الطريق الروحى ١٦٥
+ ساعة الضعف ١٦٦

الكتاب الثاني : عن المسيح

١ – الميلاد ٩
+ ظلال الصليب على أحداث الميلاد ١٠
٢ – ما قبل الصليب ٢١
+ المسيح يعلم عن التوبة ٢٠
+ إقامة لعازر من الموت .. إعلان مبكر عن قيامة الحياة ٤٠
+ الحديث الأخير والصلاة الأخيرة ٤٧
٣ – الصليب ٥٧
+ المسيح فصحنا ٥٨
+ المسيح رئيس الكهنة العظيم والذبيحة الكاملة ٦٦
+ نعم...جاء ليموت كي يهبنا الحياة ٨٠
٤ – القيامة والصعود ٨٩
+ القيامة والخلاص ٩٠
+ القيامة والحياة الأبدية ٩٧
+ المهام الأخيرة ١٠٥
+ الصعود الإلهي بين عمل المسيح وحياة المؤمنين ١١٧
٥ – ما بعد القيامة والصعود ١٢٧
+ يسوع المسيح الشفيع الكامل ١٢٨
٦ – شمس البر ١٣٧
+ المسيح نور العالم ١٣٨
+ المسيح كلي الوجود ١٤٧
+ المسيح كلي المعرفة ١٥٤
+ المسيح كلي القدرة ١٧٠
٧ – قضية المسيح ١٨٧
+شهادة صحفي على صدق كلمة الله ١٨٨

الكتاب الثالث : المسيح في حياة الكنيسة والخدمة

١ – **الله ظهر في الجسد** ٩

+ وعلى الأرض السلام ١٠

٢ – **المسيح يقدم إلى الهيكل** ١٣

+ عيد التكريس للرب ١٤

٣ – **المسيح يبارك أرضنا** ٢١

+ العائلة المقدسة في مصر ٢٢

٤ – **صوم نينوى** ٣٥

+ الكنيسة وصوم نينوى ٣٦

+ أعظم من يونان ٤١

٥ – **عيد الصليب** ٤٧

+ الصليب في حياة المؤمن ٤٨

٦ – **الصوم الكبير وأسبوع الآلام** ٥٧

+ قراءة في أناجيل الصوم الكبير ٥٨

+ اسبوع الآلام وآفاقه الروحية ٦٤

+ عثرة الصليب ٧١

+ حول الترتيبات الطقسية لأسبوع الآلام

٩٦

٧ – **القيامة والكرازة** ١٠٧

+ القيامة والكرازة ١٠٨

+ قوة من الأعالي ١١٨

+ أتحبني ... ارع خرافي ١٢٧

٨ – **المسيح موضوع الكرازة والخدمة** ١٣٥

+ لمحات من الكنيسة الأولى ١٣٦

+ العمل الإلهي في الخدمة ١٥٧

+ الأرض الجيدة ١٦٥

+ عن خدمة المسيحي ١٧٣

الكتاب الرابع : شخصيات كتابية

القديس بطرس ... قصة حياة

نسجتها النعمة ٩

١ – من صيد السمك إلى صيد الناس ١١

+ البداية ١٢

+ الرفيق القريب ١٤

+ الصريح في الإيمان ١٦

+ صاحب التساؤلات ١٨

+ اندفاعات عاطفية ٢٠

+ النكسة ورد الاعتبار ٢٣

+ الوصايا الأخيرة ٢٦

٢ – القديس بطرس يقود الكنيسة الوليدة ٢٩

+ القديس بطرس يأخذ المبادرة ٣٠

+ القديس بطرس يتوشح بالقوة فيتألق ٣١

+ شهادة قوية ٣٣

+ لا لخدمة السيدين ٣٥

+ الآلام الأولى ٣٧

+ الروح يساند بالمعجزات ٣٨

٣ – خادم الأمم أيضاً ٣٩

+ إلى الأمم ٤٠

+ الرسولان بطرس وبولس ٤٢

٤ – الكلمات الأخيرة ٤٥

+ رسالتان ٤٦

٥ – إلى المجد ٥١

+ الشهيد ٥٢

القديس بولس ... آخر الرسل ٥٥

١ – المسيح يختار تلميذه الثالث عشر ٥٧

+ شاول (بولس) يدخل التاريخ المسيحي ٥٨

+ الرب يواجه شاول ٦١

+ رواية القديس بولس عن تحوله ٦٥

٢ – خدمة القديس بولس ٦٧

+ عودة إلى البدايات ٦٨

+ كرازته ورحلاته ٧٢

+ العودة إلى أورشليم ٨٧

+ إلى روما ٩٠

+ ما بعد سفر الأعمال ٩٤

+ القديس بولس شهيداً ٩٨

٣ – منهج القديس بولس في الخدمة ١٠١

+ لا أنا ... بل المسيح ١٠٢

٤ – القديس بولس معلم الكنيسة ١١١

+ الخلاص في رسائل القديس بولس ١١٢

+الثالوث الأقدس في رسائل القديس بولس١٢٤

+مبادئ القديس بولس الروحية والاجتماعية ١٣٣

+ في النظام الكنسي ١٤٧

٥ – القديس بولس ينبئ عن المستقبل ١٨١

+ اليهود والمسيح ١٨٢

+ المجئ الثاني للرب والقيامة الأخيرة ١٩٦

الكتاب الخامس : قضايا إيمانية (١)

- **١ – قضية الإيمان المسيحي** ٩
  - + المسيح يعرفنا عن ذاته ١٠
- **٢ – قضية الخلاص** ٥٣
  - + المعاني المختلفة للخلاص في الكتاب ٥٤
  - + هبة الحياة الأبدية للمؤمنين ٦٩
  - + عن الإيمان والأعمال ٨٢
  - + عن المجازاة ١٢١
- **٣ – قضايا المسيحى والعالم** ١٣٧
  - + قضية الاضطهاد ١٣٨
  - + قضية التسامح ١٥٠
- **٤ – قضية الملكوت** ١٦٣
  - + ملكوت الله..والإنسان ١٦٤

الكتاب السادس : في السلوك المسيحي (٢)

- **١ – نحن والتجسد** ٩
  - + التجسد والإنسان الجديد ١٠
  - + تجديد الحياة ٢١
- **٢ – نحن والصليب** ٣١
  - + نحن والصليب والخلاص ٣٢
- **٣ – نحن والقيامة** ٣٩
  - + القيامة وحياتنا العملية ٤٠
  - + معنا ولا نشعر به ٤٧
- **٤ – نحن والشهادة للمسيح** ٥٥
  - + نحن أيضاً تلاميذ ٥٦
  - + عندما يأتي الموت ٦٢
- **٥ – نحن وحياتنا الروحية** ٧١
  - + الروح القدس .. روح الحياة ٧٢
  - + البعد الداخلي للحياة الروحية ٧٥
  - + دعوة للاتضاع ٨٣
  - + حياة الشكر ٩٤
  - + الحياة في النور ١٠٠
  - + الميل الثاني ١٠٦
  - + الصوم المسيحي ١١٤
  - + انسى ولا انسى ١٢١
  - + المسيحي في مجتمع مضاد ١٢٨
  - + شباب خارج الأبواب ١٣١

الكتاب السابع : قضايا إيمانية (٢)

- **– قضية الصلاة والعبادة** ٩
  - + قضية الصلاة ١٠
  - + العبادة والتسبيح ٣٦
  - + العبادة واللغة ٥١
  - + القداس الإلهي..السماء علي الأرض ٦٤
  - + بين السبت والأحد ٦٨
  - + الناموس والأنبياء وعهد النعمة ٧٣
- **– قضية المؤمن والكنيسة** ٧٩
  - + الانتماء للكنيسة، مسئولية مشتركة بين الكنيسة والمؤمن ٨٠
  - + الكنائس التقليدية ورياح التغيير ٩٣
- **– قضية الشفاعة** ١٠٥
  - + قضية الشفاعة ١٠٦
- **– قضية الإنسان والحياة والزمن** ١٤٥
  - + رؤية مسيحية للجسد ١٤٦
  - + رؤية مسيحية للحياة والوجود ١٥٦
  - + الله والإنسان والزمن ١٦٧
  - + الإنسان وكوارث الطبيعة ١٧٨

الكتاب الثامن : في السلوك المسيحي (٣)

- **– أثقل الناموس** ٩
  - + أثقل الناموس .. الحق والرحمة والإيمان ١٠
  - + الحق ١٥
  - + الرحمة ٢٠
  - + رحمة لا ذبيحة ٢٧
  - + الإيمان ٤٠
- **– أمانة الله وأمانتنا** ٥٩
  - + أمانة الله ٦٠
  - + كن أميناً ٦٩
- **– ألوان من التعب** ٩١
  - + تعب وتعب ٩٢
- **– ضبط النفس** ١٠٥
  - + ضبط النفس ١٠٦
  - + ضبط الفكر ١١٢
  - + ضبط الحواس ١١٨
  - + ضبط الانفعال ١٢٩
  - + ضبط الشهوات ١٤١
- **– عن الصداقة** ١٥٧
  - + الصداقة من منظور كتابي ١٥٨

الكتاب التاسع: في السلوك المسيحي (٤)

□ رفاق الإيمان وخصومه ٩

□ رفاق الإيمان ١٣

١ – الرجاء ١٥

+ بين الرجاء البشري والرجاء المسيحي ١٦
+ موضوع الرجاء ١٩
+ غاية الرجاء وطبيعته ٢٢
+ الرجاء بين الإيمان والمحبة ٢٧
+ الرجاء بين العهدين ٣١
+ الرجاء ضرورة أساسية في الحياة الروحية ٤٠

٢ – الفرح في التجارب والآلام ٤٧

٣ – الصبر ٥٣

+ الصبر قرين الإيمان ٥٤
+ الصبر قرين الرجاء ٥٨
+ الصبر قرين المحبة ٦٠
+ الصبر في العبادة والخدمة ٦١
+ الصبر في التعامل مع الآخرين ٦٣
+ الصبر في التعامل مع السلطات ٦٥
+ الرب طويل الأناة ٦٧
+ صبر المسيح ٧١
+ صبر القديسين ٧٤

٤ – التوبة ٧٧

٥ – الاتضاع ٨١

٦ – عمل الرحمة ٨٥

٧ – الشبع والاكتفاء ٩١

□ خصوم الإيمان ٩٩

١ – الرياء ١٠٣

+ كلمة الله تدين وتحذّر ١٠٤
+ الرياء آفة العبادة والسلوك ١٠٦
+ الكتبة والفريسيون نموذج للرياء أيام المسيح ١١٠
+ إدانة الرياء في خدمة الرسل وتعليمهم ١١٣
+ رياء المجتمع ١١٨
+ بين المجاملة والرياء ١٢٠
+ خطورة الرياء ١٢٢
+ كيف ننجو من الرياء؟ ١٢٤

٢ – الذات وتداعياتها ١٣١

+ انكر ذاتك ١٣٢
+ نهوض الذات ١٣٤
+ الهم ١٣٦
+ القلق ١٣٩
+ الشك ١٤٥
+ الخوف ١٤٨

٣ – حزن العالم ١٥٧

+ عن حزن الموت ١٥٨
+ الحزن المقدس ١٦١
+ الحزن الرديء ١٦٤

٤ – غلاظة القلب وقساوته ١٦٩

+ عن قلب المؤمن ١٧٠
+ الكتاب وغلاظة القلب ١٧٢
+ المؤمن وغلاظة القلب ١٧٧

سطور من هذا الكتاب

لقد ظلت خطية التجديف على الروح القدس مصدراً لقلق الكثيرين ظلوا نهباً للوساوس، وبلغ اليأس ببعضهم كل مبلغ خشية أن يكونوا قد ارتكبوا هذه الخطية: ربما يوم أن فقدوا أعصابهم فى ضيقتهم واتهموا الله بإهمالهم، أو ساءلوه عن عدله الغائب، أو مساندته للأشرار، أو غيره من سقطات الضعف البشرى، أو حتى عندما انخدعوا وتركوا الإيمان ثم عادوا نادمين.

فالندم والقلق والضيق بعد الزلل يعنى أن الروح القدس ، حتى وإن أحزنه السقوط ، لا يزال فى القلب، يبكّت ويدين ويستثير التوبة ، التى هى باب العودة إلى الله ، المكتوب عنه أنه "غافر الاثم وصافح عن الذنب.. لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يُسَرّ بالرأفة" (مى ٧:١٨)، وأن من يُقبل إليه لا يخرجه خارجاً (يو٦:٣٧) .

فلتسترح من ثم النفوس التى يعذبها الشك أنها قد تكون سقطت فى هذه الخطية، فاضطرابهم وشكوكهم هو دليل براءتهم. وليحذروا من الخوف المبالغ فيه الذى يسلب المرء سلامه، فهذا من عمل الشيطان الذى يسعى لإسقاطه فى اليأس وفقدان الرجاء.

وعلى العكس، فالمجدّفون يتقسى قلبهم جداً، ويفقدون القدرة على التوبة، ولا يتراجعون عن عنادهم ولو بلغوا ساعة الاحتضار.

والذين هم للمسيح لا يمكن أن يجدّفوا عليه، والذين لا يريدون أن يتخلوا عن الله لا يمكن أن يتخلى عنهم الله " فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووراثون مع المسيح" (رو٨:١٧) .

نور الحياة